الناصية

مجلة فصلية تُعنى بقضايا الفكر والثقافة تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر عن مؤسسة أمجد الثقافية والخيرية

العدد السابع
يونيو-حزيران 2025-السنة الرابعة

السياسات الثقافية المستدامة

عمرو عقيل الأرياني

التعليم العالي في اليمن: بدايات واعدة ومآلات كارثية

عبدالرحمن الزبيري

تأثير الحرب في اليمن على الأوضاع الاقتصادية 2015-2023

سلمان المقرمي

في وسأوس البندقية الدّرداء

جمال الرموش

برق عدني

سمير محمد

الناصية

مجلة فصلية، تُعنى بقضايا الفكر والثقافة "تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر" عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

العدد (السابع) يونيو /حزيران 2025 -السنة الرابعة

رئيس التحرير/
أ.د. يحيى قاسم سهل

مدير التحرير/
محمد عبد الرحمن سيف

سكرتير التحرير/
ماجد الشعيبي

المراجعة اللغوية/
د،عباس حسن الزامكي

الإخراج الفني
مراد محمد سعيد

تصميم الغلاف
م. آيات فضل مبارك

مجلة الفكر والثقافة

تأسست في عدن عام 2021 م

عنوان المجلة : اليمن عدن- كريتر
009672260082
00967777808724
00967771812087
ايميل: mjltalnasy@gmail.com
الاشتراكات:
يتفق بشأنها مع هيئة التحرير
ثمن النسخة : 2000 ريال يمني
شهادة تسجيل رقم (5)4/12/2024
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية عدن:
2022/1201
طبع بمطابع (دبي) عدن

امسح QR
وتابعنا على مدونة المجلة

ماينشر في المجلة من مواضيع تعبر عن آراء كتابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر هيئة تحرير ها أو المؤسسة الصادرة عنها..

فهرس	2
الافتتاحية - رئيس التحرير	3

دراسات – بحوث – مقالات

تاثير الحرب على الأوضاع الإقتصادية في اليمن :(2015_2023). سلمان المقرمي	4

ملف العدد [اوضاع وقضايا التعليم في اليمن. ‹٢›]

التعليم العالى في اليمن : بدايات واعدة ومآلات كارثية.. عبد الرحمن الزبيري	17
نظام العليم العالي في اليمن. :حرب إستنزاف. فهمي خالد	33
قضية التعليم في فكر الفيسلوف. د. ابوبكر السقاف. عيبان محمد عبد الرحمن السامعي	48

الملف الثقافي. [أوضاع وقضايا الثقافة في اليمن. ‹١›]

العلاقة بين العلم والثقافة في المجتمعات العربية: اليمن. أنموذجاً قاسم عبده المحبشي	55
السياسات الثقافية المستدامة: رويةاستراتيجية لتحقيق التنمية الشاملة.. عمرو محمد عقيل الإرياني	77

نصوص

في وساوس البندقية الدرداء. جمال الرموش	92
تحدي. وضاح خالد حريري	97
برق عدني. سمير محمد	98
اغنية المطر. عبد الحكيم الفقيه.	101
حين اسقط ظلي جثة هامدة.. عادل العامري	103

فن

الفنان محمد سلطان وقراءة الهجرة في الاغنية اليمنية... عبد الباري طاهر	104

مدن وتاريخ وثقافة

يافع. ارضًا وإنسانًا... سالم المحبشي	105

مجتمع مدني

المجتمع المدني وعلاقته بالديمقراطية. مولود زايد الطبيب.	124

إصدارات	168
محددات النشر	144
تعرف علينا	145

الافتتاحية

رئيس التحرير

يصدر هذا العدد _السابع لمجلة الناصية في أيام عصيبة وغاية في التعقيد... سواء كان ذلك علي مستوى اليمن فاوضاع الشعب تزداد سوءا وبات المواطن يحمل هم حبة البيض. مع إنه يحترق بحرارة هذا الصيف القايض الذي لا تعمل فيه الكهرباء سَوى ساعتين في اليوم. مما أوصل حقاً السيل الزبى.، ومع ذلك يرى البعض بصيص أمل وذلك في رئيس الوزراء الجديد. لعل وعسى...

أما الإقليم وأقصى الشرق الأوسط فغطرسة القوة تشعل الإقليم، وليس بيد قوى السلام والتنمية أي وسيلة للحد بل ولجم هذا التوحش القائم بين قوى كبرى بالسلاح والتكنولوجيا، والمؤلم اننا لا نستطيع التنبوء إلى أين. ستذهب الحرب. ونأمل من قوى الحرية والسلام أن تحافظ على ماتبقى من الشرعية الدولية والقانون الدولي بإتخاذ كل السبل لوقف العسكرة، وألإلتزام بقواعد القانون الدولي، والجلوس للحوار، فليس غير الحوار طريق آخر...

تأثير الحرب في اليمن على الأوضاع الاقتصادية (2015 – 2023)

سلمان المقرمي (*)

مقدمة:

منذ اندلاع الحرب في اليمن عام 2015، شهد الاقتصاد اليمني تدهوراً غير مسبوق نتيجة الصراع المسلح، الحصار، والانقسام المؤسسي. أدى تدمير البنية التحتية، توقف القطاعات الإنتاجية، وانهيار الخدمات إلى تفاقم الفقر والبطالة، مما جعل اليمن من أشد الدول تأثراً بالأزمات الإنسانية. يستند هذا التقرير إلى بيانات من تقارير البنك الدولي، الأمم المتحدة، ومؤسسات دولية رسمية لتسليط الضوء على الأثر الاقتصادي للحرب خلال الفترة 2015-2023.

مباني مدمرة في عدن بسبب الحرب

انكمش الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 55.7% بين 2015 و2021، مع خسائر اقتصادية تقدر بـ200-170 مليار دولار، وتدمير بنية تحتية بقيمة تزيد عن 20 مليار دولار. انخفض نصيب الفرد من الناتج الحقيقي بنسبة 54%، بينما تفاقم الفقر ليشمل 17 مليون شخص في فقر مدقع بحلول 2023. انهيار العملة الوطنية، مع وصول الريال إلى 1,042 مقابل الدولار في 2021، أدى إلى تضخم بنسبة 100% في أسعار السلع في بعض الفترات. كما تسبب توقف مرتبات الموظفين وتراجع إيرادات الحكومة بنسبة 30% في 2023 في تفاقم الأزمة الإنسانية، حيث يحتاج 21.6 مليون شخص إلى مساعدات

يعكس هذا التقرير تحول اليمن إلى «اقتصاد حرب» يعتمد على الجبايات وتجارة الصراع، مع ظهور طبقة أثرياء جدد وسط انهيار الخدمات الأساسية. يهدف التقرير إلى تقديم رؤية شاملة للتحديات الاقتصادية، مع توصيات لدعم التعافي عبر تسوية سياسية واستثمارات في إعادة الإعمار

فتح موانئ الحديدة دون اتفاق شامل وتأثيره على اوضاع القطاع الخاص.

نصت الهدنة التي رعتها الأمم المتحدة بين الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا وجماعة الحوثي في اليمن في أبريل/ نيسان 2022 على تسهيلات لدخول سفن الوقود إلى موانئ الحديدة يبلغ عددها 18 سفينة وقود(1) خلال شهري الهدنة التي جددت مرتين وانتهت دون تجديد في الثاني من أكتوبر2022. (ودخلت فعليا وفق إحصائيات مؤسسة موانئ البحر الأحمر خلال نفس الفترة 147 سفينة وقود وسفن أغذية وبضائع متنوعة(2)، بمعدل شهري يصل إلى 24 سفينة تقريبا

ونتج عن مفاوضات بين جماعة الحوثي والسعودية في يوليو/ تموز ٢٠٢٢، تجاوز القرار الحكومي رقم 49 بشأن آلية الضرائب على مشتقات الوقود وخسرت الحكومة بموجبه ما يقارب350 مليار ريال وفق تصريحات محافظ البنك المركزي في عدن أحمد أحمد غالب خلال الفترة ما بين أبريل وديسمبر 2022(3) حيث قلص قدرة الحكومة على جباية الضرائب المتوجهة إلى موانئ الحديدة، وتحولت لصالح الحوثيين بأكثر من هذا المبلغ

وأدت مفاوضات مسقط بين جماعة الحوثي والسعودية، والتي عقدت في فبراير/ شباط 2023، إلى فتح موانئ الحديدة أمام السفن التجارية والغذائية وسفن الحاويات، ضمن إجراءات تسهل انسياب الحركة التجارية إلى موانئ الحديدة؛ شملت تخفيض المدة التي تقضيها السفن المتوجهة إلى تلك الموانئ بنسبة 96% وتخفيف تفتيش التحالف للسفن عقب تفتيش الأمم المتحدة لتلك السفن.(4)

وكان التحالف قد نشر قوات بحرية له تعمل على تفتيش السفن المتوجهة إلى الموانئ اليمنية، للتأكد من تنفيذ قرار حظر توريد الأسلحة إلى اليمن خاصة بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي 2216 الذي أضفى نوعا من الشرعية القانونية على عمليات تفتيش السفن المتوجهة إلى كل الموانئ اليمنية، وكان للتحالف منطقة انتظار للسفن المتوجهة إلى موانئ الحديدة منذ 2016، حتى فبراير2023، تفيد التقديرات أن منطقة الانتظار كانت تتراوح بين أسابيع إلى عدة أشهر.

بدأت تصل إلى موانئ الحديدة السفن التجارية وسفن الحاويات، دون تفتيش، ضمن اتفاق لم تعرف تفاصيله، واتُهمت الأمم المتحدة بأنها منحازة إلى الحوثيين وشن نقدا حادا على الضعف الذي أظهرته الحكومة في هذه النقطة.(5)

بررت الاجراءات بشأن ميناء الحديدة في الإعلان الأممي للهدنة في أبريل/ نيسان ٢٠٢٢، والتسهيلات التي قدمتها الحكومة في يوليو/ تموز من ذات العام، ومفاوضات مسقط في فبراير/ شباط ٢٠٢٣، بأنها تأتي من أجل معالجة الاحتياجات الإنسانية والاقتصادية.(6)

ووصفت بأنها إجراءات لتعزيز الثقة التي يتخذها تحالف دعم الشرعية لإنجاح جهود الأمم المتحدة لتحقيق ال 8سنوات سلام في اليمن، والتوصل إلى اتفاق لتجديد الهدنة وتوسيع المكاسب الاقتصادية والإنسانية للمدنيين في مناطق سيطرة جماعة الحوثي.(7)

تذكر المبررات التي تم ذكرها مجددا في فبراير2023 باتفاقية السويد 2018بشأن موانئ الحديدة التي أدت إلى وقف عملية السيطرة على موانئ الحديدة، وتحت المبرر الإنساني نص الاتفاق على أن تودع جميع إيرادات موانئ الحديدة في فرع البنك المركزي بالحديدة لصرف مرتبات الموظفين الحكوميين، لكن الحوثي استولى على كل تلك الإيرادات لصالحه

المنهجية:

تستند هذه الورقة إلى مقابلات مع 20 شخصا من تجار في صنعاء وعدن والحديدة وتعز، ومتعاملين مع موانئ الحديدة وعدن وشركة شحن في الصين، من التجار ومن قطاع النقل، ومسؤولين كبار في القطاع الخاص

كما استندت إلى سلسلة من الوثائق السرية التجارية، ووثائق رسمية، وسلسلة من التصريحات والبيانات والتقارير التي اتخذتها الحكومة أو الحوثي أو القطاع الخاص، أو المنظمات الدولية، وصولا إلى بيانات التحالف وتحديدا السعودية

أجريت معظم المقابلات عبر الهاتف، وتمت اللقاءات في الفترة بين فبراير وأكتوبر من 2023.

٧٥٪ من اطفال اليمن يعانون من سوء التغذية المزمن بسبب الحرب

تدمير أسس السوق الحر: إنشاء الاقتصاد الطفيلي

نصت المادة السابعة من الدستور اليمني على حرية النشاط الاقتصادي، وتضمنت حق التنافس المشروع، واحترام الملكية الخاصة، كما نصت المادة العاشرة منه، على حرية التجار والاستثمار.(8)

بمجرد التفاهم على فتح موانئ الحديدة أمام حركة التجارة، أصدرت وزارة النقل في حكومة الحوثي غير المعترف بها دوليا، وعدد من مؤسساتها سلسلة من القرارات التي تحد من حرية النشاط الاقتصادي، وحرية التجارة(9). وينص أحد القرارات الموجه إلى شركات الملاحة بأن أي شركة ملاحية لا تحول خطوط النقل والاستيراد إلى موانئ الحديدة بما فيهم التجار والموكلين خارج مناطق سيطرة الحوثي، قد تتعرض للإيقاف والمنع من النشاط التجاري والملاحي نهائيا في كل الموانئ اليمنية.(10)

بالتزامن مع القرارات الموجهة إلى شركات الملاحة، كانت مصلحة الجمارك توزع استمارات على جميع المستوردين الذين يمرون عبر المناطق التي تسيطر عليها الحكومة، تجبرهم فيها على التعهد باتخاذ موانئ الحديدة ومطار صنعاء الدولي منفذا وحيدا للاستيراد. الاستمارة التي أصدرتها هيئة الجمارك، حددت سفنا خاصة بشركة سبأ للملاحة لشحن البضائع من مناطق التصدير إلى موانئ الحديدة.(11)

تحتوي صيغة أخرى من التعهد المقدم لمنافذ الجمارك التي أنشأها الحوثي بين المحافظات التي يسيطر عليها والمحافظات التي تسيطر عليها الحكومة، على منح الجمارك الحوثية باتخاذ ما تراه مناسبا إن خالف التجار قرارها واستوردوا عبر غير موانئ الحديدة.(12)

بعد أشهر قليلة من فتح موانئ الحديدة حظرت مليشيا الحوثي الغاز المحلي المنتج في

مـأرب مـن الدخـول إلى مناطـق سـيطرتها، وبـدلا عنـه توجهـت إلى شرائـه مـن الخـارج، وبيعـه بأسـعار أعلى تزيـد قيمـة الأسـطوانة الواحـدة عـن 50 ريـالا سـعوديا بسـعر الصرف في صنعـاء

تـدمير نظـام السـوق الحـر، وحريـة النشـاط التجـاري، امتـد للأنشـطة الاقتصاديـة داخـل المحافظـات، إذ أصـدرت شركـة الغـاز التـي يسـيطر عليهـا الحـوثي تعمـيما يـجبر فيهـا كبـار مسـتهلكي الغـاز، في مراكـز المحافظـات، بـالشراء الـحصري مـن الشركـة، وتحديـد حصـة محـددة للاحتيـاج يلتزمـون بشرائهـا شـهريا، وتهديدهـم حـال شرائهـم مـن أي جهـة أخـرى.(13)

تصاعد الجبايات في موانئ الحديدة:

اسـتغلت حكومـة الحـوثي في صنعـاء تحويـل جـزء مهـم مـن النشـاط الاقتصـادي والحركـة التجاريـة والاسـتيراد إلى موانـئ الحديـدة لرفـع سلسـلة مـن الجبايـات والضرائـب على واردات موانـئ الحديـدة، بالإضافـة إلى عـدد مـن الصناديـق

وتشـمل الضرائـب المفروضـة بـدون قانـون، (يحـرم الدسـتور اليمنـي فـرض أي رسـوم إلا بقانون مـن مجلـس النـواب) دفعهـا نقـدا، عكـس مـا كانـت تـروج لـه مـن امتيـازات قبـل فتـح الموانئ

وفـرض مهـدي المشـاط قـرارا برفـع أسـعار الضرائـب لصالـح صنـدوق المعلـم بـدون قانـون، وألـزم الحكومـة بانتزاعهـا مـن التجـار بنسـبة 100% حتـى قبـل صـدور قانـون بذلـك (14)

كما رفعـت وزارة الماليـة أسـعار الـجمارك بنسـبة 100% في فترة لاحقـة لفتـح موانـئ الحديـدة، كما رفعـت نسـبة الضرائـب بـأكثر مـن 200% (15) وإيـرادات صنـدوق رعايـة الشـهداء التابـع للجماعـة(16) وسلسـلة أخـرى مـن الصناديـق

إقتصاد الحرب يرهق الوضع الإنساني المتفاقم في اليمن

وأرسلت حكومة الحوثي في صنعاء مشروع قانون لتعديل ورفع قيمة الضرائب والجمارك مرة أخرى، يتضمن المشروع منح رئيس المجلس السياسي الأعلى ورئيس الوزراء الحق في اتخاذ قرارات فرض رسوم جديدة أو رفعها دون العودة إلى مجلس النواب(17) وقد صدر القانون فعلا ومر دون إثارة رأي عام بعد عملية طوفان الأقصى والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وفق ما أكده عضو النواب في صنعاء أحمد سيف حاشد ومصدر تجاري.(18)

وفي جلسة لمجلس النواب الموالي للحوثي في صنعاء كشف عضو المجلس بسام الشاطر عن مشاريع قوانين جديدة تشمل رفع ضرائب المبيعات على القطاع التجاري بنسبة 12.5% وعلى القطاع الصناعي بنسبة 16.5% وضرائب جديدة على أرباح القطاع التجاري 4.5% وعلى أرباح القطاع الصناعي بنسبة 6.5%، بينما كشف أيضا عن ارتفاع في نسبة الضرائب الأخرى عما قبل فتح الموانئ بنسبة140%. تشير وثيقة أخرى إلى ارتفاع ضريبة القيمة المضافة بنسبة99%(19)

تأسيس شركات جديدة تتبع المؤسسات العسكرية الحوثية بالاستفادة من فتح موانئ الحديدة وإيرادات3

فور توقف الحرب في الحديدة أعلن الحوثيون برنامج الرؤية الوطنية لبناء الدولة وهي خطة حوثية طموحة لإعادة هندسة الدولة ومؤسساتها يشرف عليها القيادي أحمد حامد المعروف برئيس الرئيس في صنعاء. وضعت الخطة المرحلية الأولى لتلك الرؤية خطة لبناء شركات تجارية وصناعية في المنطقة الخلفية لموانئ الحديدة لتعزيز البنية التحتية لتلك الموانئ.(20)

أظهرت وثائق نشرتها وزارة الصناعة والتجارة في صنعاء عن منح تراخيص جديدة تتبع جماعة الحوثي كمؤسسة، مثل صندوق رعاية الشهداء(21) بينما منحت وزارة الصناعة والتجارة في صنعاء سعيد أحمد محمد الجمل ترخيصا جديدا لإنشاء شركة دواجن ومواشي في الحديدة، بعد أقل من شهر من إعادة فتح الموانئ.(22)

قالت مصادر تجارية كبيرة بما فيها تجار حوثيون(23) : إن الجماعة لجأت مؤخرا إلى عدد من الواجهات التجارية الجديدة التي نشأت في السنوات القليلة الماضية، لتأسيس شركات تتبع الطيران المسير، والقوة الصاروخية، واللجنة الاقتصادية العليا، وهيئة الزكاة وكبار النافذين بوزارة الصناعة والتجارة في صنعاء وغيرها من المؤسسات الإيرادية

ووفقا لما لا يقل عن 5 مصادر تجارية، فإن هيئة رعاية الجرحى الحوثيين، احتكرت قطاع النقل من موانئ الحديدة، وحرمت آلاف العاملين بالنقل من الميناء من مصادر أعمالهم. الاحتكار في النقل لم يقم على أساس المنافسة، ولكن على أساس النفوذ والقوة. يهدد سائقو نقل البضائع من موانئ الحديدة من تداعيات خطيرة عليهم قد تدفعهم إلى

بـدء احتجاجـات في الموانـئ

لاحقـا أصـدر الإعلام المـروري الحـوثي بيانـا يفيـد بقطـع طريـق صنعـاء الحديـدة الـدولي، المناسـب لمـرور الشـاحنات التجاريـة، ونقلـه إلى طريـق صنعـاء المحويـت الحديـدة. بالوقـت نفسـه أجبروا السـائقين مـن الحديـدة إلى صنعـاء على المـرور عبر محافظـة ذمـار أو محافظـة حجـة، وهـي طـرق غير مؤهلـة لمـرور الشـاحنات الكـبيرة بكثافـة، وأدى إلى أكثر مـن 10 حـوادث مروريـة نتـج عنهـا سلسـلة مـن الوفيـات، بيـنما احتكـرت طريـق صنعـاء مناخـة الحديـدة لشـاحنات المؤسسـة الاقتصاديـة التـي تعمـل شركات عـدة باسـمها(24)

بحسـب مصـادر مقربـة مـن عائلـة تجاريـة، فـإن جهـاز الأمـن والمخابـرات يقـف خلـف الإطاحـة بواحـدة مـن أهـم الشركات التـي تعمـل مـع الأمـم المتحـدة، وأسـس بـدلا عنهـا شركـة جديـدة، وانتـزع بالقـوة حـق العمـل(25)

أعلنـت وزارة الصناعـة والتجـارة في حكومـة الحـوثي منتصـف أغسـطس الماضي تسـليم مليـون و500 ألـف متر مربـع مـن الأراضي في مـا تسـمى المناطـق الصناعيـة لمسـتثمرين غير معـروفين، وجـاء في إعلان الـوزارة أن المنطقـة الصناعيـة مخصصـة لـعشرة مشـاريع اسـتثمارية بقيمـة197 مليـون دولار، مـن بينهـا محطـة كهربائيـة خاصـة تعمـل بالفحـم، ومجمعـات صناعيـة للسـمن والزيـوت والألبـان وغيرهـا(26). قـال تاجـر حـوثي «يريـدون إزاحـة القطـاع الخـاص السـابق كليـا مـن السـوق، لأنهـم يعتبرونهـم خونـة وعـملاء ولكنهـم عاجـزون عـن إقامـة المشـاريع البديلـة(27). كانـت قنـاة الهويـة الحوثيـة قـد قالـت في إحـدى حلقاتهـا إن هنـاك مخططـا لبيـع أراضي وعقـارات موانـئ الحديـدة نفسـها

بحسـب المعلومـات، فـإن بعـض الشركات الحوثيـة الجديـدة التـي ظهـرت مؤخـرا، دخلـت في نزاعـات تجاريـة مـع شركات أخـرى في مصر وتركيـا، خاصـة شركـة المحسـن التجاريـة التـي أنشـأها علي الهـادي، الـذي اقتحـم الغرفـة التجاريـة في أمانـة العاصمـة نهايـة مايـو الماضي(28)

سـبق لـعلي الهـادي الصديـق المقـرب لمحمـد المطهـر وزيـر الصناعـة في حكومـة الحـوثي، أن احتكـر كليـا نقـل وتوزيـع مـواد الإغاثـة التابعـة لبرنامـج الغـذاء العالمـي، وبلغـت قيمـة النقـل الـذي احتكرهـا وفـق الوثائـق المنشـورة في برامـج الغـذاء العالمـي والمنـظمات الدوليـة مـا لا يقـل عـن 158 مليـون دولار بين 2017/2022(29)

قـال تجـار إن علي الهـادي اسـتغل موقعـه مـع برنامـج الغـذاء العالمـي، ودخـل في شراكات متعـددة مـع كبريـات شركـة وشـبكات الصرافـة، واعـدا إياهـم بمزايـا عديـدة مـن برنامـج الغـذاء العالمـي.(30)

أطفال اليمن يموتون جوعاً بسبب الحرب

الموانئ لا تعمل بكفاءة: وأسعار الشحن إليها والتأمين مرتفعة عن الموانئ الأخرى:

شهدت حركة السفن في اليمن تراجعا كبيرا؛ إذ بلغ عدد السفن التجارية والغذائية والوقود الواصلة 4150 سفينة في 2010 انخفضت إلى 1794 في 2014(31)

تشكل الموانئ البحرية الشريان الرئيس لوصول البضائع إلى اليمن بنسبة 80% في 2016 وتراجع دورها إلى 59 % في 2018(32)

انخفضت الخطوط الملاحية الدولية المتوجهة إلى اليمن من 16 خطا ملاحيا في 2014 إلى 4 خطوط مع نهاية 2022(33)

تراجعت كمية السفن الواصلة إلى الموانئ اليمنية من 1794 في 2014 إلى 800 سفينة وناقلة وقود في 2020 و2021، وانخفضت الحمولة الصافية لتلك السفن من 17.9 مليون طن إلى 7.9 مليون طن في نفس الفترة بنسبة تراجع بلغت 55.1% عن قدرتها التشغيلية في 2014 (34)

كان ميناء الحديدة أكبر الموانئ البحرية اليمنية(35) قبل سقوط صنعاء، وتمثل الإيرادات الجمركية المتأتية منه ما مقداره 50% من إيرادات الموانئ البحرية، و40% من إجمالي إيرادات الجمارك والضرائب اليمنية في 2014، بمبلغ تجاوز مليار دولار.(36)

تستقبل موانئ الحديدة نوعا محددا من سفن الحاويات التي تحتوي على كرينات خاصة بها، كون الموانئ تفتقد إلى ذلك النوع من الآلات وتعطلها بسبب الحرب وتعطل الآلات والهياكل اللازمة لتشغيله(37) وقال البنك الدولي إن تفريغ السفن في موانئ الحديدة يستغرق عدة أيام وأسابيع مقارنة بساعات كان يعمل عليها في 2014(38) قدرت مؤسسة موانئ البحر الأحمر حاجتها إلى مبلغ يقترب من ملياري دولار لإعادة نشاط موانئ الحديدة

إلى ما كان عليه قبل سيطرتها على الموانئ(39) بينما قدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي قيمة المشاريع التي تحتاج أولوية على ثلاثة مراحل إلى مبلغ 50 مليون يورو تقريبا(40)

تشير أسعار الشحن إلى موانئ الحديدة وفق تصريحات عبدالوهاب الدرة وزير النقل في حكومة الحوثي إلى أن سعر الشحن إلى موانئ الحديدة للحاوية سعة 40 قدم، مرتفعة بمبلغ 2000 دولار، عن سعر نفس الحاوية إلى موانئ عدن.(41)

تبلغ قيمة التأمين الإضافي على حاوية الشحن إلى موانئ عدن سعة 20 قدما مبلغا وقدره 500 دولار، وعلى حاوية 40 قدما مبلغ وقدره 1000 دولار(42) يرتفع سعر التأمين إلى الحديدة عن عدن بنسبة 52%، وفق تقرير خبراء لجنة العقوبات الأخير عن اليمن

اعترف عبدالوهاب الدرة أن موانئ الحديدة تعمل حاليا بنسبة أقل من 35% من طاقتها(43) ومنشآتها تفتقد إلى الصيانة، ما يعني أن الإيرادات الضخمة للموانئ لم تعد بشكل إيجابي حتى على الموانئ نفسها

قال مسؤول بشركة شحن إلى موانئ الحديدة، إن التجار الذين يشحنون عبر موانئ الحديدة يعانون من إجراءات حوثية تعيق تجارتهم، شملت التركيز الشديد على الألوان، ونوعية البضائع بحجة أن الحوثي قد يصادرها لأنها مخالفة للآداب العامة، كما أن حمولة الحاوية الواحدة إلى موانئ الحديدة تقل بنسبة 4 طن على الأقل عن تلك المتوجهة إلى موانئ عدن، أفاد المصدر بأن معيار حمولة الحاوية الواحدة دوليا28 طنا تقريبا، يمنع الحوثي أي حاوية تزيد عن 24 طنا.(44)

قال تاجر استورد عبر موانئ الحديدة إن الحوثي يعمد إلى تغيير المنشورات السعرية، ويرفع سعرها بثلاثة أضعافها على الأقل عن سعرها الأصلي لرفع قيمة الجبايات التي ينتزعها(45) في منتصف سبتمبر الماضي نشرت محكمة الأموال العامة بأمانة العاصمة قائمة جلسات بالمحكمة، تشمل 16 قضية تجارية رفعتها شركات ضد هيئة الزكاة الحوثية التي انتزعت أموالهم بالقوة بينها شركات استيراد وشركات أخرى(46)، نشأ النزاع بين الشركات والزكاة الحوثية بفعل تغيير المنشورات السعرية وغيرها من طرق الجباية الحوثية. قال تاجر آخر إن الأولوية لدخول البضائع إلى موانئ الحديدة هي لتجار الحوثي مشيرا إلى أن بضائعه ممنوعة من الدخول ودفع عليها غرامات هائلة بينما بضائع المنافسين تدخل بسلاسة أكثر.(47)

شكا سائقون في موانئ الحديدة من الإجراءات البيروقراطية الطويلة، وغياب خدمات أساسية مثل موقف الشاحنات أو خدمات الإضاءة ليلا، أمام ساحة الجمارك في الموانئ.(48)

التوصيات:

-1 يجب (على الحكومة ووسطاء المفاوضات، مثل المبعوثين الدولي والأمريكي وغيرهم وكذا السعودية وسلطنة عمان) إجبار الحوثي على التراجع عن قراراته القسرية المتعلقة بنقل حركة التجارة قسرا إلى موانئ الحديدة، وترك ذلك لحرية السوق ومبادئ المنافسة

-2 المفاوضات المتعلقة بالشأن الاقتصادي يجب ألا تخالف الدستور والقانون، ومبدأ حرية السوق وحرمة الملكية الخاصة

-3 ينبغي أن يكون القطاع الخاص عبر هيئاته الشرعية المنتخبة طرفا رئيسيا في المفاوضات، وينبغي أن تحظى مواقف القطاع ورؤاه بدعم قوي من الأمم المتحدة والجهات الدولية الفاعلة في اليمن

-4 ينبغي تصميم المفاوضات الاقتصادية بمشاركة القطاع الخاص، وبما يضمن أن النشاط الاقتصادي المستقبلي بعد الحرب لا يعمل على تمويل الحرب ولا ضمن اقتصاد الحرب، بل يعزز السلام والتنمية وفق النظام الجمهوري والديمقراطي أو وفق الدستور النافذ

-5 يجب على الحوثي التراجع فورا عن الضرائب والجمارك والجبايات التي فرضها على التجار والحركة التجارية منذ فتح موانئ الحديدة، كما يجب التراجع فورا عن قانونه الذي يتيح لرئيس المجلس السياسي الأعلى والحكومة ووزير المالية فرض ضرائب وجمارك جديدة دون العودة لمجلس النواب

-6 يجب على الحوثي التراجع فورا عن إنشاء شركات تتبع فروعه المسلحة مثل قوة الطيران المسير، أو القوة الصاروخية أو هيئة الزكاة انطلاقا من موانئ الحديدة

-7 يجب على الحوثي التراجع فورا عن احتكار الأنشطة التجارية المرتبطة بموانئ الحديدة، مثل قطاع النقل والتخليص الجمركي، أو إغلاق طريق الحديدة صنعاء

-8 على القطاع الخاص أن يستمر برفع صوته واقتحام الغرفة التجارية بأمانة العاصمة، وتكثيف جهوده مع الفاعلين بالشأن اليمني خاصة الحكومة والسعودية والأمم المتحدة والحوثي والعمل على أن يكون شريكا فاعلا في المفاوضات الاقتصادية

-9 يجب ربط الملف الاقتصادي بالملف السياسي بشكل وثيق، وخلاف ذلك سيؤدي إلى حرب واسعة وتعقيد مسار التوحد مستقبلا كما في حالة العملة مثلا

-10 يجب على الحوثي وقف الحرب التي يشنها على القطاع الخاص في صنعاء ومناطق سيطرته، وعلى الاقتصاد الوطني عموما، بما فيها منشآت النفط وموانئ التصدير

-11 عدم التعرض للسفن في موانئ الحديدة أو توظيف القضاء لحجزها، ويجب التراجع فورا عن عشرات المحاكمات التجارية ضد التجار في مناطق سيطرته

-12 عقد اتفاقات اقتصادية منفصلة قائمة على فكرة تثبيت وقف إطلاق النار دون حلول سياسية قد تؤدي إلى انفصال اقتصادي شامل يساهم في تمزيق آخر الروابط بين المناطق المحررة والمناطق التي يسيطر عليها الحوثي وتنهى كل آثار الجمهورية اليمنية ومؤسساتها التي بنيت طيلة عقود من الثورة شمالا وجنوبا

الهوامش:

(1) https://osesgy.unmissions.org/ar/%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D 8%B1%D8%A9-%D9%85%D9%86- تاريخ الدخول 13/9/2023

(2) مؤسسة موانئ البحر الأحمر.

(3) https://www.youtube.com/watch?v=lPqp_BYFJBA تاريخ الدخول 13/9/2023.

(4) https://www.youtube.com/watch?v=A1ynpCE9VMk تاريخ الدخول 13/9/2023.

(5) https://osesgy.unmissions.org/ar/%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8 %B1%D8%A9-%D9%85%D9%86- تاريخ الدخول 13/9/2023.

(6) https://aawsat.com/home/article/4156641/%D8%AA%D8%B3%D9%87%D9 %8A%D9%84%D8%A7%D8%AA تاريخ الدخول 13/9/2023

(7) الدستور اليمني: https://yemen-nic.info/yemen/dostor.php تاريخ الدخول 15/9/2023

(8) وثيقة خاصة صادرة عن وزارة النقل بحكومة الحوثي غير المعترف بها دوليا، بتاريخ 19 فبراير2023

(9) المصدر نفسه.

(10) نموذج استمارة التعهد المفروض على التجارة.

(11) نموذج من استمارة التفويض والتعهد الذي يمنح الجمارك الحوثية الحق في معاقبة التجار إن خالفوا قراره، بدون قانون.

(12) تعميم شركة الغاز نشرته على صفحتها بالفيسبوك

(13) نسخة من قرار مهدي المشاط برفع سعر الجبايات. ومقابلة خاصة عبر الهاتف في 10/8/2023 مع تاجر كبير في صنعاء.

(14) مقابلات عبر الهاتف، مع تاجرين من صنعاء، 12/8/2023، وناقلي بضائع بين المحافظات، بتاريخ20/8/2023

(15) مقابلة عبر الهاتف مع موظف كبير بمجموعة تجارية، ووثيقة جمارك غير قابلة للنشر.

(16) المذكرة الإيضاحية لمشروعي تعديل ضرائب الدخل والضريبة العامة مايو2023 إلى مجلس النواب في صنعاء (لا يتعدى عدد أعضائه مع المعينين حديثا 30 عضوا).

(17) منشور لأحمد سيف حاشد على صفحته بمنصة إكس https://twitter.com/Civic-Coalition/status/1711800129538134 02

(18) مقابلة مع أحد التجار عبر الهاتف بتاريخ11 أكتوبر.

(19) جلسة مجلس النواب في صنعاء. ومقابلة عبر الهاتف بتاريخ 15أغسطس.

(20) الخطة المرحلية الأولى، ص28

(21) دفتر الأسماء التجارية الصادر عن وزارة الصناعة في صنعاء 2023.

(22) المصدر السابق. سعيد أحمد محمد الجمل فرضت عليه الخزانة الأمريكية عقوبات لقيادته شبكة دولية تعمل على تمويل الحوثي بملايين الدولارات من الحرس الثوري الإيراني، ويوصف بالقناة المالية للحوثي.

(23) مقابلة عبر الهاتف، 13/14/15/ يونيو2023

(24) وثيقة عن الإعلام المروري في صنعاء، ومقابلات مع عدد من الناقلين عبر الهاتف.

(25) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 9/9/2023.

(26) نشرته قناة وزارة الصناعة على التلغرام في تاريخ14 أغسطس 2023، ولم تعلن عن أسماء المستثمرين.

(27) مقابلة عبر الهاتف، بتاريخ 18 يوليو2023.

(28) مقابلة مع مصدرين تجاريين في يونيو ويوليو، 2023.

(29) وثائق من نسخ المشاريع التي حصل عليها ومقابلات مع عدد من رجال المال والأعمال.

(30) مقابلة مع مسؤول كبير في إحدى شبكات الصرافة، يونيو2023، ومقابلة أخرى مع شريك حوثي من صعدة تنازع مؤخرا مع علي الهادي، يوليو2023

(31) مركز البحوث والدراسات، اتحاد الغرف ا لتجارية اليمنية، ديسمبر2022،: قطاع النقل في اليمن، الاختناقات الرئيسية والتدخلات ذات الأولوية، ص2

(32) المصدر نفسه، ص5

(33) المصدر نفسه، ص6

(34) المصدر نفسه، ص6

(35) البنك الدولي، قطاع النقل في اليمن، مذكرة سياسية رقم (4) بشأن تقديم الخدمات الشاملة، أبريل، 2017، ص7

(36) نفس المصدر السابق، البنك الدولي، ص7.

(37) المصدر السابق نفسه ص7

(38) المصدر السابق نفسه ص8

(39) مؤسسة موانئ البحر الأحمر، تقييم الأضرار، 2015-2021.

(40) https://www.undp.org/ar/yemen/publications/tqyym-aladrar-fy-mwany-al-

hdydt-alslyf-w-ras-ysy-w-qdrtha-alhalyt تاريخ الدخول 16/9/2023.

(41) https://twitter.com/alosbou/status/1696844838128275659

(42) الخطة المرحلية الأولى، ص95

(43)https://twitter.com/alosbou/status/16968448381282756 95

(44) مقابلة عبر الهاتف مع شركة شحن في الصين 28/8/2023.

(45) مقابلة مع مستورد الكترونيات بالهاتف عبر موانئ الحديدة 1/6/2023.

(46) وثائق بقائمة جلسات محكمة الأموال العامة بأمانة العاصمة بتاريخ 13/9/2023.

(47) مقابلة مع تاجر في الحديدة 25/5/2023

(48) مقابلة عبر الهاتف مع أحد سائقي النقل 1 سبتمبر2023

.....

(*) خريج كلية الاقتصاد والتجارة جامعة صنعاء "تخصص علوم سياسية"
محرر للشؤون الاقتصادية في عدد من وسائل الاعلام المحلية والخارجية
إيميل: salman.sul2018@gmail.com

التعليم العالي في اليمن بدايات واعدة ومآلات كارثية

الجزء الأول

أ.د. عبد الرحمن الزبيري (*)

1: التعليم العالي في اليمن من النشأة إلى ما قبل الوحدة:

يُعد عقد السبعينات من القرن العشرين نقطة تحول مفصلية في تاريخ التعليم العالي في اليمن، حيث بدأت ملامح الجامعات الوطنية بالتبلور في كلٍ من شمال اليمن وجنوبه، وبلغ الابتعاث للدراسة في الخارج في مختلف التخصصات العلمية والإنسانية أوجه الى مختلف دول العالم العربية والشرقية والغربية طبقا لتوجه كل نظام سياسي في الشمال والجنوب، وبلغ عدد المبتعثين عدة الآف، رغم الافتقار الى الاحصائيات الدقية إلا إن دفعة واحدة من الشطرين بحسب علمي عام 1974م بلغ عددها اكثر من 450 طالبا معظمهم من الشمال، غير العسكريين أو المبتعثين الحزبيين من الجنوب

1.1. في شمال اليمن: (جامعة صنعاء :بنية تحتية متقدمة):

تأسست جامعة صنعاء عام 1970 بدعم من مصر وعدد من الدول العربية، لتكون أول جامعة حكومية في الجمهورية العربية اليمنية (شمال اليمن)، وقد شكّلت امتدادًا طبيعيًا لنمو التعليم العام الذي بدأ يتوسع عقب ثورة 26 سبتمبر 1962. انطلقت الجامعة بكليات ذات طابع نظري ككلية الآداب والعلوم الشرعية، ثم توسعت تدريجيًا لتضم كليات للعلوم والتجارة والطب

أدّتْ جامعة صنعاء في تلك المرحلة دورًا فكريًا محوريًا، حيث ساهمت في صياغة النخبة السياسية والثقافية الجديدة للدولة الحديثة. تخرّج منها العديد من الكوادر الذين لعبوا أدوارًا بارزة في الإدارة العامة، والتربية، والقانون، رغم التحديات التي رافقت مسيرتها مثل شُح الإمكانيات وغياب التخطيط الاستراتيجي بعيد المدى

في هذا السياق، اعتمدت الجامعة بدرجة كبيرة على الكوادر الأكاديمية الأجنبية، خاصة من مصر وسوريا والعراق والسودان. وكانت دولة الكويت تتولى تمويل هؤلاء الأكاديميين عبر التعاقد معهم باسم الجامعة، إذ كانت جامعة صنعاء تعتمد في ميزانيتها التشغيلية والوظيفية بشكل كبير على التمويل الكويتي، قبل الغزو العراقي للكويت عام 1990.

ومن المفارقات البارزة في تلك الفترة، أن الجامعة كانت تغلق أبوابها أمام حملة

الدكتوراه من خريجي جامعات الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية، رغم أن كثيرًا منهم كانوا من مبتعثي الدولة نفسها. فقد ساد في تلك المرحلة موقفٌ عدائي تجاه ما اعتُبر «التعليم الشيوعي»، حيث لم يُعترف بشهاداتهم رسميًا، وتم تصنيفها كـ «دكتوراه وظيفية»، وهي تسمية مبهمة وغير أكاديمية، تعكس التوتر الأيديولوجي القائم حينها. لم يبدأ قبول بعض هؤلاء الأكاديميين بشكل رسمي وفعلي إلا بعد الوحدة اليمنية في عام 1990. ومن المفارقات العجيبة أن خريج دكتوراه في مجال الرياضيات (دكتور ثابت الحميدي) من الاتحاد السوفيتي (جامعة مينسك) تقدم الى جامعة صنعاء للالتحاق بهيئة التدريس قبل الوحدة فأرسلوا شهادته لجامعة امريكية لمعادلتها فردت عليهم الجامعة الامريكية بطلب التعاقد معه للتدريس فيها، وهي حادثة شهيرة يعرفها الكثير

1.2. في جنوب اليمن: جامعة عدن:

أما في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (جنوب اليمن)، فقد اتخذ تأسيس جامعة عدن منحًى مختلفًا يعكس التوجه الاشتراكي للدولة. تأسست الجامعة رسميًا عام 1975، مستندة على تجربة تعليمية تأسيسية عبر معاهد وكليات مهنية منتشرة، أبرزها كلية التربية العليا

انطلقت جامعة عدن بتوجه واضح نحو التخصصات التطبيقية والمهنية، كالهندسة، والزراعة، والاقتصاد، والتعليم التقني. وقد جاء ذلك ضمن رؤية مركزية لبناء دولة اشتراكية حديثة تعتمد على كوادر مؤهلة علميًا ومهنيًا من داخل البلد، وتقليل الاعتماد على الخارج

استفادت الجامعة من علاقات الدولة القوية مع الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية، وهو ما فتح أبواب البعثات الدراسية على مصراعيها أمام طلابها وأساتذتها إلى موسكو، وارسو، برلين الشرقية، وبراغ. هذه البعثات أسهمت في تكوين نواة أكاديمية محلية ذات خلفية علمية ومنهجية يسارية واضحة، أثّرت في تشكيل مضمون التعليم وأساليبه في الجامعة

1.3. خصائص التعليم العالي قبل الوحدة:

رغم الفروقات الفكرية والمؤسساتية بين الشطرين، إلا أن التعليم العالي في اليمن قبل الوحدة تميّز بعدة سمات مشتركة، أبرزها

محدودية عدد الجامعات واقتصارها على جامعة واحدة فقط في كل شطر.

اعتماد واضح على الكوادر الأجنبية في التأسيس والتدريس في جامعة صنعاء، بينما

اعتمدت جامعت عدن على كادر تم تأهيله في الاساس في الدول الاشتراكية.
هيمنة التوجهات الأيديولوجية على السياسات التعليمية، سواء في الشمال المحافظ الذي يقاد من تحالف عسكري- قبلي- عشائري أو الجنوب الاشتراكي.
عدم الاعتراف المتبادل بأنظمة التعليم والتأهيل الأكاديمي بين الشطرين، ما خلق فجوة معرفية استمرت حتى ما بعد الوحدة.

هذه المرحلة المبكرة، بكل ما حملته من تناقضات وتوجهات متضادة، شكلت البنية الأولى للتعليم العالي اليمني، الذي سيشهد لاحقًا تحولات كبيرة بعد إعلان الوحدة عام 1990.

1.4. البنية التحتية للتعليم العالي في اليمن:

إن البنية التحتية للتعليم العالي في اليمن قبل الوحدة هو مقارنة بين علاقات نظامين مختلفين وعلاقاتهما مع محيطهما العربي والانظمة الرسمية العربية التي كانت تناصب العداء للنظام في جنوب اليمن باعتباره نظام ماركسي معادي، مما عكس نفسه على مختلف مستويات العلاقات، ومنها دعم التعليم العالي وتقديم المنح لكلا الشطرين قبل الوحدة. ومن هنا لا يمكننا المقارنة إلا بين جامعتين هما جامعة صنعاء وجامعة عدن

1.5. البنية التحتية والدعم الخارجي:

بدأت البنية التحتية لكل من جامعتي صنعاء وعدن بشكل متفاوت، حيث تميزت جامعة صنعاء في سنواتها الأولى ببنية تحتية قوية نسبيًا، خصوصًا في الكليات العلمية، التي توفرت لها مبانٍ حديثة ومختبرات مجهزة، بالإضافة إلى مكتبة مركزية كبيرة كانت من أبرز معالمها الأكاديمية. وقد ساهم الدعم المالي والإداري الذي وفرته دولة الكويت، والتي كانت تتعهد الجامعة حتى قبل الغزو العراقي للكويت، في جعل جامعة صنعاء في مصاف الجامعات الكبرى في الوطن العربي من حيث الإمكانيات والتجهيزات

1.6. البنية التحتية للجامعتين:

بدأت البنية التحتية لجامعة صنعاء قوية نسبيًا، خاصة مع توفر مبانٍ جامعية مستقلة وإمكانيات مختبرية ملحوظة في الكليات العلمية، إلى جانب مكتبة مركزية كبيرة ومجهزة. وقد ساهم الدعم الكويتي السخي في هذه المرحلة في توفير ميزانية مستقرة، مما مكن الجامعة من أن تضاهي في بنيتها وتجهيزاتها بعض الجامعات العريقة في الوطن العربي

أما جامعة عدن، فقد واجهت تحديات أكبر على صعيد البنية التحتية نتيجة محدودية التمويل المتاح، رغم الطموح الكبير في بناء جامعة حديثة وفق رؤية الدولة الاشتراكية.

وبالرغم من ذلك، استطاعت الجامعة أن تؤسس لنواة تعليم عالٍ تطبيقي ومهني، مستفيدة من الدعم الفني والأكاديمي الذي وفرته بعثات التدريب والتأهيل في دول الكتلة الشرقية

1.7. مقارنة بين جامعة صنعاء وجامعة عدن:

إن المقارنة هنا ليست مقارنة بين نظامين تعليميين، بل بين امكانيات وفرتها ظروف معينة عاشتها الجمهورية العربية اليمنية التي كانت أقرب للأنظمة العربية الرسمية، ولم تتوفر فيها الظروف التي عاشتها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التي كانت تعتبر بعيدة عن الانظمة العربية الرسمية، وكانت تحظى بنفس الدرجة من العداء للشيوعية كونها قريبة من الاتحاد السوفيتي، وحليفة له قبل البريسترويكا

1. جامعة صنعاء: بنية تحتية متقدمة:

* المباني والمرافق: كانت جامعة صنعاء تمتلك بعض المباني الحديثة ونظامًا تعليميا متقدمًا بالمقارنة مع بعض الجامعات الأخرى في المنطقة. توفرت كليات علمية مجهزة بشكل جيد مع مختبرات متطورة، كما تم إنشاء كلية الطب بدعم كويتي كامل
* المكتبة المركزية: كانت تمتلك مكتبة مركزية كبيرة التي كانت تُعدُّ من بين أفضل المكتبات في الجامعات العربية آنذاك. كانت المكتبة تعد مركزًا فكريًا للطلاب والأساتذة
* المختبرات والتجهيزات: تميزت الكليات العلمية بوجود مختبرات مجهزة بأحدث التقنيات، مما جعلها قادرة على استيعاب عدد كبير من الطلاب وأبحاثهم العلمية
* الدعم الكويتي: كان الدعم الكويتي يلعب دورًا رئيسا في تمويل هذه البنية التحتية. كانت الكويت توفر التمويل الضروري للمرافق والمشاريع التعليمية في جامعة صنعاء.، كما أنها كانت تدفع مرتبات الأساتذة والفنيين الذين يتم التعاقد معهم من دول عربية مختلفة وخاصة مصر، وعددهم ليس بالقليل في كل مجالات العلوم

2. جامعة عدن: بنية تحتية محدودة مقارنة:

* المرافق والمباني: رغم أن جامعة عدن كانت قد تأسست بعد جامعة صنعاء بحوالي خمس سنوات، إلا أن بنيتها التحتية كانت أقل تطورًا مقارنةً بجامعة صنعاء، بسبب محدودية التمويل والتحديات الاقتصادية
* الاعتماد على المعاهد والكليات الموزعة: في بداية تأسيسها، كانت جامعة عدن تعتمد على معاهد وكليات موزعة، ما جعل من الصعب توفير بنية تحتية متكاملة لجميع التخصصات

* التجهيزات المختبرية: كانت تجهيزات المختبرات العلمية في جامعة عدن أقل تطورًا من جامعة صنعاء، مما أثر على تطور الأبحاث العلمية الى حد ما في الجامعة في تلك الفترة.، وتحول المعهد الفني البريطاني الى كلية للهندسة وبعض المباني في مدينة الشعب الى كليات مختلفة

* التحديات الاقتصادية والتمويل: كانت جامعة عدن تواجه صعوبة في الحصول على تمويل كافٍ لإنشاء بنية تحتية قوية، مما جعلها تعتمد على الدعم المحلي بشكل أكبر من الدعم الخارجي

3. الفروقات بين الجامعتين في البنية التحتية:

* التمويل الخارجي: جامعة صنعاء استفادت من الدعم العربي، خصوصًا من الكويت، بينما كانت جامعة عدن تعتمد بشكل رئيسي على الدعم المحلي وموارد الدولة المحدودة.، ودعم تقني محدود من الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي، وكوبا في مجال الطب.

* التوسع في التخصصات: على الرغم من الفرق في البنية التحتية، كانت جامعة عدن قادرة على التوسع في التخصصات المهنية والتطبيقية مثل الهندسة والزراعة، التي كانت بحاجة إلى تجهيزات عملية، والتي توفرت بحدود بسيطة تفي بالغرض طبقا للظروف التي عاشتها اليمن الجنوبية في ذلك الوقت

1.8. دور الكوادر العلمية التي أعدتها جامعة صنعاء:

1.8.1. إسهام الطب في جامعة صنعاء في النهضة الصحية

لعبت كلية الطب في جامعة صنعاء منذ تأسيسها دورًا رياديًا في إعداد الكوادر الطبية المؤهلة، وأسهمت بشكل مباشر في تحسين مستوى الرعاية الصحية في شمال اليمن. ورغم التحديات المتعلقة بالبنية التحتية وقلة الإمكانات، إلا أن الكلية نجحت في تخريج دفعات متعاقبة من الأطباء الذين كان لهم دور محوري في تشغيل المستشفيات والمراكز الصحية في العاصمة والمناطق الريفية على حد سواء

وقد ارتبطت الكلية بمستشفى الثورة التعليمي، ما أتاح بيئة تدريب سريري جيدة نسبيًا مقارنة بغيرها من الكليات، وأسهم ذلك في تأهيل أطباء بخبرة ميدانية جيدة. كما استفاد عدد كبير من خريجي الكلية من برامج الابتعاث إلى دول مثل الولايات المتحدة، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وبعض الدول العربية، حيث حصلوا على درجات عليا في الطب والتخصصات الدقيقة، وعادوا ليمارسوا دورًا علميًا ومهنيًا متميزًا

لم يقتصر إسهام هؤلاء على الجوانب السريرية فقط، بل ساهموا كذلك في بناء الكفاءات الجديدة من خلال التدريس والتدريب الطبي، والمشاركة في وضع السياسات الصحية العامة. وكان منهم من شغل مواقع قيادية في وزارة الصحة والمستشفيات الكبرى، مما جعل دور الكلية يتجاوز الوظيفة الأكاديمية البحتة إلى التأثير المباشر في عملية بناء النظام الصحي الوطني في الشمال خلال العقود التي سبقت الوحدة ومباشرة بعدها

1.8.2. كلية العلوم: رافد علمي للاقتصاد الوطني:

لعبت كلية العلوم بجامعة صنعاء، عبر أقسامها المتنوعة مثل الجيولوجيا، وعلوم الحياة (البيولوجي)، والكيمياء، والرياضيات، دورًا محوريًا في إعداد كوادر علمية متخصصة ساهمت في دعم العديد من القطاعات الاقتصادية الحيوية.

فقد كان لخريجي قسم الجيولوجيا إسهام بارز في مجالات الاستكشاف المعدني والبحث عن مصادر الطاقة، لا سيما في قطاع النفط والمعادن، حيث انخرط العديد منهم في هيئات ومؤسسات الدولة المعنية بالتنقيب والاستكشاف، وأسهموا في بناء قاعدة وطنية للخبرة الجيولوجية. أما خريجو قسم علوم الحياة، فقد عملوا في مجالات متعددة منها الزراعة، والبيئة، والطب الوقائي، وشاركوا في تطوير دراسات النباتات الطبية والحيوية، والتنوع البيولوجي في اليمن

وفي الجانب الصناعي، كان لقسم الكيمياء دور في إعداد متخصصين عملوا في الصناعات الدوائية والغذائية والمختبرات الصناعية والرقابية، مما ساعد على رفع جودة المنتجات الوطنية. كذلك، ساهم خريجو قسم الرياضيات في تطوير التحليل الإحصائي والبرمجة ونظم المعلومات، ودعم العمليات الحسابية في مجالات اقتصادية ومصرفية مختلفة

لقد كانت كلية العلوم، بمختلف تخصصاتها، مرتكزًا أكاديميًا للعلوم الأساسية ورافدًا حيويًا لسوق العمل ومؤسسات الدولة، وأسهمت في بناء قاعدة معرفية كان لها أثر ملموس في دعم التنمية الوطنية

1.9. إسهام جامعة صنعاء في التنمية الاقتصادية والاجتماعية:

أسهمت جامعة صنعاء إسهامًا بارزًا في تأهيل الكوادر العلمية والمهنية التي لعبت أدوارًا محورية في عملية التنمية الوطنية، خصوصًا خلال العقدين الأولين بعد تأسيسها. وقد مثّلت الجامعة، بكلياتها المختلفة، منبعًا لإعداد نخبة من المتخصصين الذين ساهموا في تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية للدولة اليمنية في الشمال

1.9.1. كليتي الزراعة والهندسة:

في المجالين الزراعي والصناعي، أدّت كليتا الزراعة والهندسة دورًا رياديًا في إعداد مهندسين وخبراء ساهموا في تخطيط وتنفيذ مشاريع إنتاجية وتنموية. كما عمل العديد من خريجي الكليتين في مؤسسات الدولة والقطاع الخاص، وأسهموا في تطوير تقنيات الإنتاج الزراعي والصناعي، بما قلل من الاعتماد على الواردات وساهم في تحسين الأمن الغذائي الوطني

كما كان لكلية العلوم، بجميع أقسامها (الجيولوجيا، والبيولوجي، والكيمياء، والرياضيات)، إسهام فعّال في رفد المؤسسات البحثية والفنية بكفاءات علمية، عملت في قطاعات الطاقة والمعادن والنفط، إضافة إلى تطوير صناعات وطنية صغيرة ومتوسطة، قائمة على تطبيقات علمية محلية

1.9.2. كلية التجارة والاقتصاد:

أما في المجال الاقتصادي، فقد ساهمت كلية التجارة والاقتصاد في تأهيل خبراء اقتصاديين ومصرفيين لعبوا دورًا أساسيًا في رسم السياسات الاقتصادية وبناء الهياكل المالية، بما في ذلك تطوير القطاع المصرفي ومؤسسات التخطيط

وفي الإطار ذاته، كان لكلية الشريعة والقانون إسهام ملحوظ في إعداد قضاة ومحامين وإداريين ساهموا في بناء مؤسسات الدولة القضائية والإدارية، وأسهموا في ترسيخ مفاهيم سيادة القانون وتعزيز بيئة الاستثمار والتنظيم الاقتصادي

أما كلية التربية، فقد خرّجت آلاف المعلمين والتربويين الذين ساهموا في نشر التعليم الأساسي والثانوي في مختلف المحافظات، وكان لهم دور رئيسا في تعزيز الوعي الوطني والثقافة العامة، وهي من الشروط الضرورية لأي عملية تنمية شاملة ومستدامة

وهكذا، كانت جامعة صنعاء ولا تزال، مؤسسة وطنية محورية في إنتاج المعرفة وإعداد الكفاءات، وأسهمت، رغم التحديات السياسية والاقتصادية، في بناء قاعدة بشرية مؤهلة دعمت التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اليمن الشمالي قبل الوحدة، وواصلت أداء هذا الدور بعد ذلك بدرجات متفاوتة

1.10. دور جامعة صنعاء في تطوير التعليم العام:

ساهمت جامعة صنعاء بشكل كبير في تحسين وتطوير التعليم العام في اليمن من خلال تدريب وتأهيل كوادر تعليمية متخصصة في مختلف المجالات. فقد كانت الجامعة مركزًا مهمًا لتأهيل معلمين ومعلمات في التخصصات المختلفة، خاصة من خلال كليات مثل كلية التربية وكلية الآداب

1. تأهيل الكوادر التعليمية:

لعبت جامعة صنعاء دورًا محوريًا في تأهيل الخريجين للعمل في مجالات التعليم العام، حيث تخرج منها العديد من المعلمين والمعلمات الذين أصبحوا فيما بعد أساتذة في المدارس الثانوية وكذلك في الجامعات. وكانت الجامعة توفر برامج تعليمية مهنية وعلمية متخصصة تركز على تطوير مهارات التدريس والتوجيه التربوي

2. دور الخريجين في تطوير المدارس والمعاهد:

كان للخريجين من كليات التربية والتخصصات الأخرى مثل الآداب والعلوم كان دور كبير في تأسيس وتطوير المدارس والمعاهد في مختلف مناطق اليمن. فقد أسهموا في تحسين المناهج الدراسية، وتنظيم الورش التدريبية للمعلمين، والعمل على رفع مستوى التعليم في المناطق الريفية والنائية، وهو ما انعكس إيجابيًا على جودة التعليم في هذه المناطق

3. تحسين جودة التعليم في المدارس الثانوية:

ساهمت جامعة صنعاء في رفع مستوى التعليم الثانوي في اليمن من خلال تعزيز الكوادر البشرية في المدارس الثانوية، حيث كان العديد من خريجي جامعة صنعاء يشغلون مناصب تعليمية هامة في المدارس الثانوية، وأسهموا في تدريب الأجيال الجديدة من الطلاب على الأسس العلمية والتربوية الحديثة

باختصار، ساعدت جامعة صنعاء من خلال برامجها التعليمية وتخريج الكوادر المؤهلة في دفع عجلة تطوير التعليم العام، مما أسهم في تحسين وتوسيع نطاق التعليم في مختلف أنحاء اليمن، وتحقيق تقدم ملموس في المستوى التعليمي على مستوى المدارس والمعاهد

4. العمل الدبلوماسي:

كان لخريجي جامعة صنعاء دور بارز في العمل الدبلوماسي لتمثيل اليمن في الهيئات الإقليمية والدولية. فقد تم تأهيل عدد من الدبلوماسيين من خريجي الجامعة الذين خدموا في السفارات والبعثات الدبلوماسية اليمنية في العالم العربي وخارجه. وساهم هؤلاء الخريجون في تعزيز العلاقات اليمنية مع الدول العربية وغير العربية

5. مساهمة الخريجين في العمل الأكاديمي:

أسهم العديد من خريجي من جامعة صنعاء في تطوير التعليم العالي أيضًا، حيث عملوا في الجامعات والمعاهد الأكاديمية، الأمر الذي ساعد في تعزيز التعاون بين التعليم العام والعالي ورفع مستوى الثقافة العلمية والعملية في المجتمع، وإلى جانب دورهم في التعليم العام، فقد ساعدت جامعة صنعاء من خلال برامجها التعليمية وتخريج الكوادر المؤهلة في دفع عجلة تطوير التعليم العام، مما أسهم في تحسين وتوسيع نطاق التعليم في مختلف أنحاء اليمن، وتحقيق تقدم ملموس في المستوى التعليمي على مستوى المدارس والمعاهد

1.11. إسهامات جامعة عدن:

أسهمت جامعة عدن في النهضة التعليمية والاقتصادية في اليمن الجنوبي، وتُعد جامعة عدن واحدة من أعرق الجامعات في اليمن الجنوبي، وقد لعبت دورًا محوريًا في إعداد كوادر علمية وفنية متخصصة أسهمت بشكل كبير في مختلف مجالات التعليم والاقتصاد والتنمية. تأسست الجامعة في عام 1975، واحتضنت خلال مسيرتها العديد من الأقسام الأكاديمية التي ساهمت في تلبية احتياجات السوق المحلي والقطاع العام في اليمن الجنوبي، مما جعلها ركيزة أساسية في بناء المجتمع اليمني المتقدم

1.12. إعداد الكوادر العلمية في مختلف التخصصات:

ساهمت جامعة عدن في تأهيل العديد من الكوادر العلمية المتخصصة في مجالات متنوعة، مما أسهم في تطوير القطاعات الاقتصادية والعلمية في اليمن الجنوبي. كانت الكليات العلمية، مثل كلية الزراعة والهندسة، منبعًا لإعداد المتخصصين الذين ساهموا بشكل كبير في تطوير القطاع الزراعي والصناعي في المنطقة. من خلال برامجها الأكاديمية التي ركزت على التخصصات التطبيقية، قامت الجامعة بإعداد جيل من المتخصصين الذين أسهموا في تحسين الإنتاج المحلي وتعزيز الاستقلالية الاقتصادية

1.12.1. إسهامات كلية الزراعة:

تأثرت كلية الزراعة والهندسة في جامعة عدن بالتوجهات الاشتراكية التي ركزت على التعليم التطبيقي، مما جعلها تتبنى أساليب تدريس حديثة تهدف إلى تزويد الطلاب بالمعرفة العملية التي يحتاجونها للعمل في القطاعين الزراعي والصناعي. لعب خريجو هذه الكلية دورًا رئيسيًا في تحديث طرق الزراعة وإدخال تقنيات جديدة في الإنتاج الزراعي، كما أسهموا في تطوير البنية التحتية الصناعية في الجنوب. أسس هؤلاء الخريجون العديد من المشاريع الزراعية والصناعية التي ساهمت في تعزيز الأمن الغذائي وتوفير فرص العمل، كما ساعدوا في تقليل الاعتماد على الاستيراد

1.12.2. دور كلية التربية والعلوم في تطوير التعليم:

كانت كلية التربية في جامعة عدن منبعًا مهمًا لتأهيل المعلمين في مجالات مختلفة من التعليم، مثل الرياضيات والكيمياء وعلوم الحياة. تخرج منها العديد من المعلمين الذين أسهموا في تطوير التعليم العام في المدارس الثانوية والجامعات. في قسم الرياضيات، تم إعداد معلمين متخصصين في تدريس هذه المادة، مما ساعد في تحسين مستوى تعليم الرياضيات في المدارس. كما ساهم قسم الكيمياء في تأهيل معلمين متخصصين في تدريس العلوم الكيميائية في المدارس، مما أسهم في تعزيز الفهم العلمي لدى الطلاب

أما قسم علوم الحياة والبيئة، فقد أسهم في تدريب كوادر متخصصة في تدريس علوم الأحياء والبيئة، مما ساعد في نشر الوعي البيئي وتعليم الطلاب أهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية. بالإضافة إلى ذلك، أسهم خريجو هذا القسم في إجراء الدراسات البيئية الهامة التي ساعدت في تطوير تقنيات الزراعة المستدامة وحماية البيئة

كان لكلية التربية والعلوم في جامعة عدن إسهامات كبيرة في تطوير القطاعات الاقتصادية والعلمية في اليمن الجنوبي. فخريجو أقسام الرياضيات والكيمياء وعلوم الحياة لعبوا دورًا بارزًا في مجالات الصناعة والنفط والتكنولوجيا. في قسم الرياضيات، تخرج العديد من المتخصصين الذين أسهموا في تطوير النماذج الرياضية في القطاعات المالية والصناعية. أما في الكيمياء، فقد أسهم الخريجون في تطوير الصناعات الكيميائية والدوائية التي كانت أساسية في توفير المنتجات المحلية وتقليل الاعتماد على الاستيراد. وفي مجال علوم الحياة، عمل الخريجون في تطوير تقنيات الزراعة المستدامة، مما ساعد في تحقيق الأمن الغذائي في اليمن الجنوبي

1.12.3. إسهامات في القطاع الصحي:

أسهمت كلية الطب في جامعة عدن، في تلك الفترة، في تأهيل كوادر طبية محلية أسهمت بشكل كبير في تقديم الرعاية الصحية في مختلف المناطق. حيث عمل خريجو كلية الطب في مستشفيات ومراكز صحية في الجنوب، ولعبوا دورًا حيويًا في تحسين الخدمات الصحية للمواطنين، خاصة في المناطق الريفية. بالإضافة إلى ذلك، ساهم خريجو الكليات الطبية في تعزيز الكوادر التمريضية والصحية، مما ساعد في توسيع نطاق الخدمات الصحية في المجتمع. وقد شكل مستشفى عدن والذي كان يعرف بمستشفى الملكة قبل الاستقلال قاعدة تطبيقية هامة لطلاب كلية لطب، مكنهم من امتلاك مهارات تطبيقية عالية.

1.12.4. الاهتمام بالتعليم العالي والبحث العلمي:

كانت جامعة عدن مركزًا للبحث العلمي، حيث كانت توفر الفرص للطلاب والباحثين للمساهمة في تطوير المعرفة العلمية. كما أسهمت في تطوير سياسات التعليم العالي في الجنوب، بما في ذلك إعداد جيل جديد من الأكاديميين والخريجين الذين تمكنوا من المشاركة في مؤتمرات علمية ودورات تدريبية على مستوى محلي وإقليمي

الخلاصة:

من خلال تطوير التعليم الجامعي وإعداد كوادر متخصصة في مجالات الزراعة والصناعة والصحة والتعليم، أسهمت جامعة عدن بشكل فعال في بناء قاعدة معرفية وفنية قوية ساعدت في النهوض بالاقتصاد المحلي وتحقيق بعض من أهداف التنمية المستدامة.

كانت الجامعة، رغم محدودية الموارد في بعض الفترات، ملتقى للعلم والمعرفة، ورافدًا رئيسا للكوادر المؤهلة التي ساهمت في تطوير مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن الجنوبي

1.13. دور الكوادر المؤهلة في الخارج في النهضة التنموية:

شهد اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي، قبل الوحدة، حركة ابتعاث نشطة إلى الخارج لتأهيل الكوادر العلمية في مختلف المجالات الحيوية. وقد توزعت وجهات الابتعاث ما بين الدول الغربية (كالولايات المتحدة، وفرنسا، وألمانيا الغربية، وبريطانيا) والدول الاشتراكية (كالاتحاد السوفيتي، وبلغاريا، وألمانيا الشرقية، وتشيكوسلوفاكيا). هذا التنوع في مصادر التعليم منح الكوادر اليمنية المبتعثة قاعدة علمية متنوعة ومتكاملة

لقد مثّلت برامج الابتعاث الأكاديمي إلى الخارج، في كلٍ من شمال اليمن وجنوبه قبل الوحدة، أحد أبرز أدوات بناء الكادر الوطني المؤهل، وكان لها أثر بالغ في التأسيس لنهضة علمية ومؤسسية في البلاد. فقد أرسلت الحكومتان أعدادًا كبيرة (تصل إلى عدة آلاف) من الطلاب للدراسة في الخارج، تبعا للتوجهات السياسية والارتباطات الدولية لكل شطر

لعب هؤلاء المبتعثون بعد عودتهم دورًا جوهريًا في دعم التنمية الوطنية في الشطرين كليهما، إذ أسهموا في بناء مؤسسات الدولة التعليمية والصحية والاقتصادية. فكانوا حجر الأساس في تأسيس وتطوير الجامعات الوطنية، ورفدوا كلياتها بالتخصصات الحديثة، وساهموا في تطوير المناهج الأكاديمية وتعزيز ثقافة البحث العلمي. كما شارك العديد منهم في إعداد الخطط التنموية، وشغلوا مناصب عليا في الوزارات والمراكز البحثية

في المجال الاقتصادي، كان لهؤلاء الخريجين إسهامٌ مباشرٌ في صياغة السياسات المالية والاقتصادية، وإدارة المؤسسات المصرفية والمالية، والمساهمة في بناء الجهاز الإداري والرقابي للدولة. أما في مجال الاستكشافات الجيولوجية والنفطية، فقد كانت الكوادر المبتعثة في مجالات الجيولوجيا، والهندسة، والاقتصاد تلعب دورًا محوريًا في دعم خطط التنقيب وإدارة الموارد المعدنية والنفطية، سواء عبر مؤسسات الدولة أو التعاون مع شركات أجنبية

وفي القطاع الزراعي، ساهم خريجو الجامعات الأجنبية في إدخال أساليب حديثة للزراعة، وتحسين جودة المحاصيل، وتطوير البحوث الزراعية، إلى جانب تأسيس محطات تجريبية وإرشادية. كما عملوا على إنشاء مؤسسات تدريب زراعي لخدمة المجتمعات الريفية، لا سيما في الجنوب حيث كانت بنية التخطيط الزراعي أكثر مركزية وتنظيمًا

وفي مجال الصحة، ساعد المبتعثون في تطوير الكوادر الطبية، ورفد المستشفيات بالخبرات المتخصصة، وكان لهم دور كبير في تأسيس كليات الطب والمعاهد الصحية، وفي قيادة برامج الوقاية والرعاية الصحية

1.13.1. الفوارق بين الشطرين في استيعاب الكوادر:

تأثرت بيئة العمل والاستيعاب بشكل كبير بطبيعة النظام السياسي في كل شطر. فقد حظيت الكوادر العائدة من الخارج في جنوب اليمن، الذي كان يتبع نظامًا اشتراكيًا، بمكانة مهنية مرموقة، نتيجة التوجه المؤسسي للدولة المركزية في دعم الكفاءات العلمية. فكانت هذه الكوادر تشغل مناصب قيادية في مؤسسات التخطيط والتنفيذ، وتتمتع بفرص عمل واسعة ضمن مؤسسات الدولة

أما في شمال اليمن، فقد واجه بعض المبتعثين إلى دول المعسكر الاشتراكي تحديات سياسية بعد عودتهم، خاصة في فترات التوتر السياسي مع هذه الدول. وقد شكلت ما تُعرف بـ «شهادة حسن السيرة والسلوك» أحد أبرز أدوات التضييق الأمني على العائدين من الخارج، حيث حُرم بعضهم من الوظائف أو تمت ملاحقتهم أمنيًا كما حرم جميع حملة الدكتوراه تقريبا من الدخول عبر بوابة الجامعة ليصيروا اعضاء هيئة تدريس فيها، وتعرض بعض حملة الدكتوراه للمضايقات وأحيانا للتكفير (ابو بكر السقاف، حمود العودي) رغم ذلك، لم تتوقف مساهماتهم، بل كان لبعضهم أدوار محورية في بناء مؤسسات التعليم العالي أو في القطاع الاقتصادي، خاصة في الفترات التي شهدت انفتاحًا نسبيًا

1.14. المعوقات السياسية أمام المبتعثين من شمال اليمن:

رغم ما حققه المبتعثون من شمال اليمن إلى الدول الشرقية وما عانوه فإن حملة الشهادات العليا من البلدان الغربية من إنجازات أكاديمية ومهنية، إلا أن بعضهم لم يسلم من المضايقات الأمنية والمتابعات السياسية عند عودتهم، أو حتى أثناء دراستهم، نتيجة طبيعة النظام السياسي القائم آنذاك، الذي كان يُجرّم أي نشاط سياسي خارج إطار النظام، ويحظر العمل الحزبي المعارض. وقد عانى عدد منهم من اشتراطات تعجيزية مثل الحصول على «شهادة حسن السيرة والسلوك»، التي كانت تُستخدم أحيانًا كأداة للرقابة السياسية

وقد أدى هذا المناخ إلى تقييد حرية بعض الكوادر في التعبير أو منعهم من الانخراط في مؤسسات التعليم والبحث، رغم كفاءتهم العالية

ورغم كل الظروف، فإن الابتعاث شكل رافعة حقيقية لبناء الدولة الحديثة، وأسهم في تأسيس طبقة متعلمة ومهنية لعبت دورًا محوريًا في النهضة التنموية، وتحوّل كثير من هذه الكوادر إلى مرجعيات علمية، منهم من أصبح وزيرًا أو أستاذًا جامعيًا مرموقًا، أو قياديًا في مؤسسات علمية داخل اليمن وخارجه

1.15. دور المبتعثين في القطاعات الاجتماعية والإنسانية:

لم تقتصر إسهامات الكوادر المبتعثة على المجالات التقنية والاقتصادية فقط، بل كان لها

دور محوري أيضًا في تطوير القطاعات الاجتماعية والإنسانية في اليمن. فقد أسهم المبتعثون في تطوير النظام التعليمي على مختلف مستوياته، من التعليم الأساسي إلى التعليم العالي، من خلال تقديم المعرفة الحديثة في المناهج الدراسية، وكذلك في المجالات التعليمية المرتبطة بالتكنولوجيا، والطب، والعلوم الاجتماعية

في مجال العلوم الاجتماعية، خاصة في علم الاجتماع، وعلم النفس، والتعليم، شارك المبتعثون في إنشاء برامج أكاديمية ومراكز أبحاث متخصصة ساعدت على تحسين الوضع الاجتماعي، وتوعية المجتمع بقضايا التنمية المستدامة، والمساواة، والعدالة الاجتماعية. وقد كان لهذه الكوادر دور أيضًا في دعم برامج التعليم المستمر والتدريب المهني للعاملين في القطاع العام، مما ساهم في تطوير الكفاءات المؤسسية في الدولة

1.16. تأثير التعليم العالي على التنمية الثقافية والإبداعية:

من خلال دراستهم في الخارج، جاء العديد من المبتعثين أيضًا بتوجهات جديدة في مجالات الأدب والفنون والثقافة، مما أثرى الحياة الثقافية في اليمن. فالمبتعثون في مجالات الفنون الجميلة، والتصميم، والسينما، والمسرح، لعبوا دورًا كبيرًا في تحديث المشهد الثقافي اليمني، وأثروا في التجديد الفني والتعبير الثقافي، مما ساعد على تطوير الهوية الثقافية في البلد

كما كان للمبتعثين في مجالات اللغة والأدب دورٌ بارزٌ في التأثير على الأدب اليمني الحديث. فبعضهم أسهم في ترجمة الأعمال الأدبية العالمية إلى العربية، مما ساعد في تكوين جسر ثقافي بين اليمن وبقية دول العالم

1.17. التحديات التي واجهها المبتعثون وسبل التغلب عليها:

على الرغم من أن التعليم في الخارج فتح آفاقًا واسعة للمبتعثين، إلا إنهم واجهوا تحديات عدة، بدءًا من التحديات المالية، مرورًا بالصعوبات الاجتماعية والنفسية التي تتعلق بالعيش في بيئات ثقافية مختلفة. فعلى سبيل المثال، واجه العديد من المبتعثين من شمال اليمن تحديات متعلقة بتوجهات النظام السياسي، وكان عليهم أن يتعاملوا مع ضغوطات من السلطات المحلية في بعض الأحيان

أما في الجنوب، فقد كانت هناك تحديات خاصة تتعلق بتوجه النظام الاشتراكي، حيث كان الاهتمام منصبًا بشكل كبير على مجالات التعليم والتدريب المهني التقني، وهو ما قد لا يتناسب مع بعض التوجهات الأكاديمية الدولية، ومع ذلك فقد شكلت تلك التحديات فرصة للمبتعثين لتعزيز قدراتهم في التكيف مع بيئات تعليمية مختلفة، وهو ما أكسبهم ميزة إضافية عند عودتهم إلى اليمن

على الرغم من هذه التحديات، تمكّن المبتعثون في الشطرين من تطوير مهاراتهم الأكاديمية والتقنية، وخلقوا شبكة علاقات مهنية ساعدتهم في مواجهة الصعوبات عند العودة إلى وطنهم. وهذا النوع من الشبكات أصبح عنصرًا أساسيًا في بناء العلاقات الدولية وفتح الفرص أمام اليمن في مجالات متعددة

1.18. المبتعثون في المجال الصحي والطبي:

عاد المئات من الأطباء والفنيين الصحيين من جامعات أوروبا الشرقية ومصر وروسيا إلى اليمن حاملين خبرات متقدمة في الجراحة، والصحة العامة، وطب المجتمع، والتخدير، وغيرها. وقد ساعدوا في إنشاء أقسام تخصصية داخل المستشفيات العامة، وتأسيس مراكز طبية جديدة، وتطوير برامج تدريب الكوادر الطبية والتمريضية

كما لعبوا دورًا في حملات التوعية الصحية، وفي الحد من انتشار بعض الأمراض المزمنة والمعدية، وأسهموا في بناء النظام الصحي على أسس حديثة في شطري اليمن

في قطاع الصحة، كان المبتعثون إلى دول مثل الاتحاد السوفيتي السابق، وبولندا، وكوبا، وألمانيا الشرقية، قد أسهموا بشكل كبير في إنشاء أولى الكليات الطبية في اليمن (كلية الطب في الجنوب) وتطوير النظام الصحي العام. هؤلاء الخريجون أصبحوا روّادًا في تدريس الطب، وفي تطوير أنظمة الرعاية الصحية المتخصصة. كما كان لهم دور بارز في مكافحة الأمراض المنتشرة في اليمن، مثل الملاريا، والتدرن، والجذام، من خلال برامج صحية رائدة، كما انهم عملوا في المستشفيات المختلفة في اليمن والتي كانت بدورها حديثة وفي المستوصفات الطبية في المدينة والريف في عموم اليمن

1.19. دور المبتعثين في الاستكشافات النفطية والمعدنية:

فيما يتعلق بالموارد الطبيعية، فقد أسهم المبتعثون في مجالات الجيولوجيا، والهندسة المدنية، والكيمياء في تطوير برامج الاستكشافات النفطية والمعدنية في اليمن. هؤلاء العلماء ساعدوا في تحديد المواقع المحتملة لاستخراج النفط والغاز، وكان لهم دور حيوي في إعداد الدراسات الجيولوجية التي أدت إلى اكتشاف حقول نفطية جديدة

كما لعبوا دورًا مهمًا في تأسيس شركات النفط اليمنية، وفي تطوير المناهج الدراسية الخاصة بالعلوم الجيولوجية والهندسية لتواكب التطورات العالمية في مجالات استكشاف المعادن والنفط. وقد ساهم هؤلاء الخريجون في بناء قاعدة علمية متينة سمحت لليمن بالاستفادة من موارده الطبيعية بشكل أكثر كفاءة

الخلاصة:

إن المبتعثين الذين أرسلوا إلى الخارج قبل الوحدة اليمنية كان لهم دور كبير في بناء بنية الدولة اليمنية الحديثة، سواء في الشطر الشمالي أو الجنوبي. رغم أن كل شطر عاش تحت ظروف سياسية وفكرية مختلفة، إلا أن المبتعثين كانوا الأداة الفعّالة في نقل المعرفة الحديثة، وتعزيز التنمية في اليمن في مختلف المجالات، بدءًا من الاقتصاد، والصحة، والزراعة، وصولًا إلى التعليم العالي والبحث العلمي. ورغم التحديات التي واجهوها في الخارج، إلا أنهم استطاعوا التأقلم والنجاح، ليصبحوا جزءًا أساسيًا من النهضة التنموية التي شهدها اليمن قبل وبعد الوحدة

1.20. البيئة السياسية للتعليم العالي قبل الوحدة:

شكّلت البيئة السياسية في شمال اليمن وجنوبه قبل الوحدة إطارًا عامًا مختلفًا جذريًا لتطور التعليم العالي في كل من الطرفين، فقد انعكس النظامان السياسيان المتباينان في الشطرين على بنيته، فلسفته، وأهدافه

1.20.1. البيئة السياسية في شمال اليمن:

كان النظام السياسي في شمال اليمن ذا طابع تقليدي قبلي محافظ، استند إلى تحالفات سلطوية وقوى اجتماعية محافظة كانت ترى في التعليم العالي – خصوصًا في بداياته – تهديدًا لتوازن القوى التقليدية. رغم تأسيس جامعة صنعاء في العام 1970 كمؤسسة علمية طموحة، إلا أن البيئة السياسية لم تكن مشجعة تمامًا لتوسّعها واستقلاليتها الأكاديمية

شهدت الجامعة تضييقًا على النشاط الطلابي، حيث كان الانخراط في العمل السياسي داخل الحرم الجامعي يُواجه بالقمع والملاحقة، وقد تعرّض العديد من النشطاء الطلابيين للفصل أو الاعتقال أو الهروب إلى الجنوب. كما أن هيمنة الولاءات المناطقية والسياسية لاحقًا أثرت على عمليات التوظيف الأكاديمي وتقييم الكفاءات العلمية، خاصة فيما يتعلق بخريجي الدول الاشتراكية، حيث جرى تصنيف شهاداتهم ضمن «الدكتوراه الوظيفية» لا الأكاديمية، وهو ما كشف عن اختلالات في منظومة الاعتراف العلمي

1.20.2. البيئة السياسية في جنوب اليمن:

في المقابل، تأسّس التعليم العالي في الجنوب في ظل نظام اشتراكي شمولي يرى في التعليم أداة للتحرر الاجتماعي والتقدم، مما انعكس على توجهاته التحديثية. تأسست جامعة عدن عام 1975 في ظل رؤية واضحة لتوسيع قاعدة التعليم وتوطين الكادر الوطني. وقد اتّسمت

البيئـة السياسـية بدعـم أكبر للتعليـم العـالي، حيـث شُـجعت البعثـات إلى الـدول الاشتراكيـة، وتوفـرت فـرص التعليـم الجامعـي لأبنـاء الطبقـات الكادحـة، بمـا ينسـجم مـع رؤيـة الدولـة لبنـاء مجتمـع اشتراكي متعلـم

ومـع ذلـك، لم تخـلُ البيئـة الجنوبيـة مـن إشـكاليات، فقـد هيمنـت السياسـة على مؤسسـات التعليـم، وأُخضعـت بعـض التعيينـات الأكاديميـة لمعـايير الـولاء الأيديولوجـي. كما تأثـرت الاسـتقلالية الجامعيـة بطبيعـة النظـام المركـزي، الـذي كان يربـط بين التعليـم والحـزب الحاكـم

خلاصة:

عكسـت البيئتـان السياسـيتان في الـشمال والجنـوب فلسـفتين مختلفـتين للتعليـم العـالي؛ واحـدة محافظـة وتقليديـة، والأخـرى تحديثيـة لكنهـا مؤدلجـة. ورغـم الفروقـات، فـإن الجامعـتين واجهتـا تحديـات بنيويـة في تكويـن نـواة أكاديميـة مسـتقلة تُسـهم في بنـاء المعرفـة الوطنيـة، وهـو مـا تـرك آثـارًا طويلـة الأمـد حتـى مـا بعـد تحقيـق الوحـدة اليمنيـة في 1990.

.....

(*) باحث، نائب رئيس جامعة تعز، وعميد كلية العلوم - جامعة تعز (الأسبق).

نظام التعليم العالي في اليمن: حرب استنزاف

فهمي خالد(*)

مقدمة:

تأثر قطاع التعليم العالي في اليمن خلال سنوات الحرب كغيره من القطاعات وجوانب حياة المجتمع اليمني، إلا إن تداعياته ستظل ملموسة حتى مرحلة ما بعد انتهاء الصراع. فَالمرتبات غير المدفوعة، وانخفاض معدلات التحاق الطلاب بالجامعات، وخصخصة القطاع وفق ضوابط لا تخضع للتنظيم أدى إلى تراجع جودة التعليم العالي في اليمن ويهدد بانهيار المنظومة التعليمية بعواقب لا تُحمد عقباها على المعلمين والطلاب والبلد بأسره، ناهيك عن التداعيات الاقتصادية والاجتماعية مستقبلًا

فالأكاديميون يعيشون أحوالًا معيشية صعبة لتلبية احتياجاتهم الأساسية في ظل عدم انتظام دفع الرواتب، الأمر الذي دفع البعض إلى البحث عن عمل بديل لا يتناسب مع مؤهلاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية. فالسعي من أجل سد الرمق والبقاء على قيد الحياة بات الشغل الشاغل للمُعلمين وهو ما أثر سلبًا على صحتهم النفسية والذهنية، وانعكس بدوره على جودة التعليم. على مدى السنوات الثمان الماضية للحرب، تخرّجت ثمان دفعات من الجامعات والكليات اليمنية، حيث كان يُفترض أن تضم كل دفعة عشرات الآلاف من الخريجين المهيئين لدخول سوق العمل. عوضًا عن ذلك، تضاءل عدد الخريجين في كل دفعة، بل وتخرّج العديد دون تلقي تعليم جيد يستوفي المعايير أو التسلّح بالمهارات الأساسية وفق اختصاصاتهم، وهو ما سيلقي بظلاله على مستقبل البلاد حيث سيعتمد السكان في السنوات المقبلة على هؤلاء الخريجين من أطباء لعلاج المرضى، ومهندسين مدنيين لصيانة وإعادة إعمار البنية التحتية، ومُعلمين لتعليم وتربية الجيل القادم

في ظل هذه المعطيات، يسود مناخ من التشاؤم حول المستقبل، حيث خسر اليمن جيلًا كاملًا من القوى العاملة، فضلًا عن المخاوف من أن يؤدي خلل المنظومة التعليمية إلى تدهور رأس المال البشري وضعف القدرات

منهجية البحث:

تهدف هذه الورقة التحليلية إلى تسليط الضوء على مدى تأثير الحرب على نظام التعليم العالي في اليمن، وعلى حياة الأكاديميين والطلاب وجودة التعليم بشكل عام. استندت الدراسة إلى مقابلات أُجريت مع أكاديميين وأساتذة جامعيين وطلاب (حاليين وسابقين)

بجامعات حكومية في أربع محافظات (صنعاء وذمار والحديدة وشبوة). كما اعتمدت الدراسة على استعراض تقارير تناولت وضع التعليم العالي خلال سنوات الحرب الثمانية، وكذلك منشورات على وسائل التواصل الاجتماعي حول الموضوع خلال الفترة من نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٢ إلى مارس/ آذار ٢٠٢٣. إضافة إلى ذلك، جُمعت معلومات وبيانات من الأكاديميين والموظفين العاملين في كبرى الجامعات لتقدير الانخفاض في معدل التحاق الطلاب بالجامعات خلال فترة الحرب، نظرًا لعدم توفر أو نشر الإحصاءات ذات الصلة من قِبل مؤسسات التعليم العالي الرسمية. وإجمالا فقد سلطت المقابلات والمصادر الثانوية الضوء على ظروف عمل الأكاديميين وأحوالهم المعيشية خلال فترة الحرب

فقدان الدخل والمكانة الاجتماعية بسبب الرواتب غير المدفوعة:

برزت مشكلة المرتبات غير المدفوعة كأحد أكبر الضغوط الاقتصادية والمجتمعية التي ولّدتها الحرب وسببًا رئيساً لتراجع جودة التعليم بشكل عام في اليمن. يُصنف نظام التعليم العالي كأحد القطاعات العامة في اليمن حيث تُموَّل الجامعات مباشرة من ميزانية الحكومة(١) رغم تكفّل الطلاب بسداد رسوم الدراسة الجامعية. استنزف الصراع إمكانيات البلاد اقتصاديًا، وبالتالي عانى نظام التعليم من شح الموارد المالية سواء في المناطق الخاضعة لسيطرة جماعة الحوثيين (أنصار الله) أو في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة اليمنية المعترف بها دوليًا. تعيش المنظومة والكوادر التعليمية واقعًا قاسيًا، حيث تداولت أخبار العثور على أستاذ بجامعة صنعاء متوفيًا في شقته جرّاء جوعٍ وعطش امتدّا به لأيام.(٢) تُظهر دراسات أجريت في مختلف مناطق اليمن تدهور وضع النظام التعليمي بصورة مطّردة وفشل العمادات (الإدارات) الجامعية في شتى أنحاء البلاد بصرف المرتبات بشكل منتظم، الأمر الذي أدى إلى تراجع جودة التعليم والجهود البحثية

منذ عام ٢٠١٦، لم تعد مرتبات موظفي القطاع العام تُصرف في مناطق سلطة الحوثيين، وهو ما ساهم في تدهور الوضع المعيشي للأساتذة والمعيدين ممن ضاقت بهم ال سبل لدرجة طرد البعض منهم من منازلهم المؤجرة، واستدعاء البعض الآخر إلى أقسام الشرطة أو رفع دعاوى عليهم من قِبل أصحاب الشقق أو الدائنين أو أصحاب المتاجر الاستهلاكية المطالبين بسداد فواتير ومبالغ مستحقة.(٣) يعاني الأكاديميون في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة من ذات المشكلة -أي عدم انتظام دفع الرواتب إلى جانب تناقص قيمتها على نحو مطرد بسبب هبوط قيمة العملة المحلية في سوق الصرف. فبعد أن كان راتب الدكتور الجامعي يعادل نحو (١٠٠٠ دولار أمريكي) بداية الحرب، صار يعادل الآن (١٤٠ دولارًا أمريكيًا تقريبًا)، أما راتب المعيد فصار يعادل الآن (٤٥ دولارًا أمريكيًا تقريبًا) بعد أن كان

يعادل نحو (٣٥٠ دولارًا أمريكيًا).(٤) بشكل عام، يعاني الأكاديميون في مناطق الحكومة من تدني معدلات الرواتب التي لا تتناسب مع غلاء المعيشة

مع تدهور ظروفهم المعيشية، واصل أغلب الأكاديميين مهمة التدريس وهو ما أثر بشكل كبير على معنوياتهم ونفسياتهم وهِممهم وأدائهم في المحاضرات. يقول أكاديمي من جامعة صنعاء (باللهجة العامية): "ما عدت أريد أن أستمر في التدريس، لا أعرف لماذا ما زلت مستمرًا في التدريس رغم أني صرت أكره الكلية وأكره التدريس، ولم أعد أدرّس الطلاب بنفس القدر والجودة التي كنت أقدمها حينما كانت هناك رواتب".(٥)

في ظل هذا الصراع من أجل البقاء، يجد الأكاديميون والمُعيدون صعوبة في إنجاز مهامهم التدريسية بالشكل المطلوب أو الحفاظ على رباطة جأشهم، أو التركيز على الطلاب العاكفين على التعامل مع مواد صعبة ومعقدة. أما الجهود البحثية فقد توقفت تقريبًا لأنها -من وجهة نظر الأكاديميين -تأتي من باب الترف في زمن لا يجدون فيه لقمة العيش

هناك تخصصات استطاع الأكاديميون معها تجاوز مشكلة انقطاع أو عدم انتظام الرواتب، كالمُدربين في مجال الطب والهندسة والمحاسبة وتخصصات أخرى مماثلة ممن انخرطوا في العمل لحساب القطاع الخاص أو بعقود مستقلة (لحسابهم الخاص) لتلبية احتياجاتهم المعيشية. في المقابل، يعاني أصحاب التخصصات الإنسانية في إيجاد فرص عمل خارج الأوساط الأكاديمية

تضاؤل الأمل لدى بعض الأكاديميين في تقاضي رواتبهم بانتظام دفعهم إلى مزاولة أعمال أخرى كسائق باص، أو عامل بناء، أو عامل في مخبز أو مصنع، إلا أن المجتمع اليمني لا يتقبل بسهولة عمل الأكاديمي في مِهَن تقلّل من شأنه وهو ما يضع الأكاديميين أمام خيار مُرّ بالتخلي عن مكانتهم الاجتماعية في سبيل تأمين لقمة العيش. على سبيل المثال، تعرّض د. أحمد يحيى (دكتوراه في القانون الدولي)، أكاديمي من جامعة عدن، لانتقادات على وسائل التواصل الاجتماعي بعد تناقل أخبار تخلّيه عن مهنة التدريس ليصبح بائع معجنات بسبب ظروف مرضه ولأن راتبه (غير المنتظم) لم يعد يكفي نفقات علاجه.(٦) يقول أكاديمي آخر (باللهجة العامية) "المجتمع لم يترك لنا مجال العمل كباقي أصحاب الوظائف في المهن العادية. فكلما اشتغل زميل في مصنع أو مخبز تتناقل المواقع الإخبارية بأن دكتورًا جامعيًا أصبح يعمل في مجال كذا، وبهذا بدلًا من أن نعمل بعَرَقِنا في أي مجال حتى نَصِرف على أولادنا، صرنا نخاف التشهير بنا في المواقع الإخبارية أو مواقع التواصل الاجتماعي. لقد أصبحت حرفيًا مُعدمًا، ولم أعد أريد إلا الستر، ولا أريد الفضائح والتشهير".(٧)

كَسَر بعض الأكاديميين قاعدة الخجل والصورة النمطية لدى المجتمع بعدم جواز عمل الأكاديمي في مجالات أخرى تقلّل من مكانته الاجتماعية. فقد تناقل موقع الجزيرة نت عام

٢٠٢٢ صورة للدكتور عبدالله معمر الحكيمي -أستاذ سابق في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بجامعة صنعاء -وهو يعمل كـ "سائق باص"(٨) ليُعلّق د. الحكيمي في منشور له "عملي كسائق باص لن يقلّل من مكانتي العلمية والأخلاقية، وإنما هو وسام شرف على صدري في زمن يقلُّ فيه احترام العلم والعلماء".(٩) كما نشر د. الحكيمي سلسلة منشورات في صفحته على فيسبوك بعنوان "يوميات بروفيسور بدرجة سائق باص"(١٠) تناول فيها الأوضاع المعيشية الصعبة التي يمرّ بها الأكاديميون اليمنيون في زمن الحرب والتحديات التي يجابهونها كانقطاع صرف الرواتب. يؤكد د. الحكيمي بأن طلابه يذهبون للبحث عنه في فرزة الباصات (حيث يعمل) حتى بعد تركه مجال التدريس، قائلًا "افرحني ذلك لأني شعرت أن طلابي ما يزالون متمسكين بي كأستاذ ومعلم لهم بالرغم من كل الهجمة الشرسة، وأفرحني أكثر تذكري أن سقراط عندما تجرع كؤوس السم كان طلابه فقط بجواره".(١١)

في سياق مماثل، ترك أكاديميون آخرون مهنة التدريس في الجامعة للعمل بمجال الزراعة. على سبيل المثال، تخلّى أحد الأكاديميين عن التدريس في جامعة ذمار، وعاد إلى قريته في مديرية الحداء مؤكدًا أن "الزراعة (زراعة القات) هي من أعادت لي بعض من كرامتي المهدورة. تركتُ التدريس في الجامعة بعد أن صبرت عدة سنوات دون راتب، لاحقني المؤجر وتكاثرت الديون، فعدت إلى القرية لممارسة مهنة الآباء والأجداد".(١٢)

إلى جانب التحدي المتمثل في انقطاع أو تدني الرواتب، برزت مسألة الكرامة والاحترام في بيئة العمل كأحد الأسباب وراء هجرة ذوي الكفاءات من الجامعات اليمنية. نشر د. عبدالله معمر الحكيمي عدة منشورات على فيسبوك تناول فيها توقيفه عن التدريس في كلية الآداب بجامعة صنعاء لأنه رفض طلب الكلية برفع درجات الطلاب(١٣)، قائلًا: "إذا لم يُحترم أستاذ الجامعة في عمله ويُمنح المكانة اللائقة به وبما اكتسبه من علم، فالبيت أشرف له ألف مرة من قاعات الدرس، وغسل صحون أم الأولاد و ملابس الأولاد لها قيمة أخلاقية وإنسانية أفضل من التعامل مع من لا يَحترم العلم والمعرفة".(١٤)

تراجع جهود البحث العلمي في زمن الحرب:

تُشير ظاهرة هجرة الأدمغة قلقًا كبيرًا داخل الأوساط الأكاديمية في اليمن، حيث شهدت الجامعات اليمنية في الماضي انتقال الكفاءات فيها للعمل في مهنٍ تُدرُّ عليهم دخلًا أعلى أو للتدريس في جامعات بدول أخرى تحت ظروف تسمح لهم بإجراء أبحاث في مجالات تخصصاتهم ونشرها. في ظل الظروف الراهنة، ترك العديد من الأكاديميين اليمنيين التدريس تمامًا للعمل في مهن متدنية اجتماعيًا في سبيل تسوية أوضاعهم المعيشية. بالنسبة لأولئك

الذين اختاروا الاستمرار في الوسط الأكاديمي، تظل خيارات الترقية محدودة بسبب القيود المالية التي لا تتيح لهم إجراء ونشر البحوث أو المشاركة في المؤتمرات ذات الصلة

كثير من الأكاديميين الذين عادوا إلى اليمن منذ عام ٢٠١٥ (بعد إنهائهم درجة الدكتوراه) لم ينجزوا أبحاثًا منذ حصولهم على تلك الدرجات العلمية. يقول أستاذ مساعد في الجامعة متحسرًا على عدم قدرته في إنجاز أي بحث: "أكملت الدكتوراه عام ٢٠١٣، ومرت عشر سنوات ولم أُنجز أي بحث، هذه هي زهرة سنوات البحث لأي دكتور بعد تخرجه. لا شيء يشجعني على البحث العلمي، كيف أكتب وأنشغل في بحث علمي وعقلي وتفكيري كله مُقيّد بهموم البحث عما أسدّ به رمق أطفالي".(١٥)

في اليمن، يضطر الأكاديميون إلى دفع مبالغ مالية للمُحكمين لتحكيم أبحاثهم، ومعظمهم غير قادر حاليًا على تكبّد هكذا تكاليف. في عام ٢٠٢٢، وضعت جامعة صنعاء عائقًا إضافيًا على الأكاديميين الراغبين في نشر أبحاثهم لغرض الحصول على ترقية، حيث أصدرت قرارًا جديدًا يفرض نَشر بعض أبحاث الترقية في مجلات مصنّفة ضمن قاعدة بيانات (سكوبس)، وهي مجلات لا تنشر إلا بمقابل مادي لا يتسنى لأغلب الأكاديميين -المنقطعة رواتبهم – توفيره(١٦) على الأغلب، سعت جامعة صنعاء من خلال هذا القرار إلى رفع تصنيف الجامعة دوليًا، ولكن دون الأخذ في الحسبان الوضع المالي والنفسي للأكاديميين. أحيانًا، يُعفى باحثون مُعيّنون من المقابل المادي المطلوب لنشر أبحاثهم في مجلات (سكوبس)، لكن ذلك يعتمد على عدة عوامل كموضوع البحث وجودته واللغة ونوع المجلة، وهو ما يستدعي من الباحثين والمؤسسات ذات الصلة استكشاف الخيارات المختلفة المتاحة في هذا الشأن. كما أن فئة محددة من المجلات المدرجة في قاعدة بيانات سكوبس تقبل نشر الأبحاث باللغة العربية، وهي اللغة الأساسية المعتمدة لإعداد البحوث في اليمن

أشار أحد الأكاديميين إلى تبعات هذا القرار بالقول: "قرار النشر في مجلات مصنفة في قاعدة (سكوبس) أحبطنا ودمرنا، والكثير من الزملاء عزفوا عن البحث. إضافة إلى أن الجامعة لا تتكفل بدعم البحث العلمي، والمجلات المصنفة في سكوبس تطلب مبالغ تتراوح بين ٦٠٠ دولار إلى ٢٠٠٠ دولار أمريكي في المجالات العلمية. يستحيل أن أنشر بحثًا في إحدى هذه المجلات، حتى ولو كان هناك رواتب، ما بالك ونحن بلا رواتب."(١٧) أضاف الأكاديمي أن الجامعة تراجعت نسبيًا عن هذا القرار، وباتت تسمح للأكاديميين بنشر أبحاث الترقية في مجلات أخرى غير مصنفة ضمن قاعدة بيانات سكوبس، ولكن ذلك محصور في إطار الترقية إلى أستاذ مساعد

فضلًا عن ذلك، شكلت صعوبة السفر والتنقل - بسبب ظروف الحرب -عائقًا أمام مشاركة الباحثين من الجامعات اليمنية في المؤتمرات والندوات الدولية التي تُعقد خارج

البلاد. في الماضي، كانت الجامعات اليمنية تدعم الأكاديميين بالتذاكر وبدلات السفر لتشجيعهم على المشاركة في هكذا فعاليات، لكن الوضع اختلف حاليًا، فرُغم مشاركة أكاديميين في بعض المؤتمرات عن بُعد إلا أن المشاركات الحيّة تتيح لهم فرصًا أكبر للتشبيك والتعاون في مجال البحوث وهو ما يشجعهم أكثر على الاجتهاد

تُشكّل القيود المفروضة على إجراء البحوث والسفر وتضاؤل فرص الحصول على ترقية تحديًا أكبر أمام المعيدين تحديدًا، حيث أن غالبيتهم (ممن تعيّنوا منذ ٢٠١١ و٢٠١٢) لم يواصلوا الدراسات العليا كالماجستير والدكتوراه. يقول أحدهم: "أنا معيد منذ عام ٢٠١١، أُدرّس منذ ١٢ سنة دون أن أواصل دراستي. كنت أحلم بالسفر لمواصلة دراستي كما فعل زملائي في القسم، وباليوم الذي أصبح فيه دكتورًا، لكن الأحلام تبخرت، ولم أعد أريد لا العلم ولا التعليم".(١٨) وبالتالي، من دون حافز للأكاديميين لإجراء الأبحاث أو انعدام فرص أخرى للمعيدين لمواصلة الدراسات العليا، شهد التعليم العالي في اليمن حالة من الركود وتراجع في الأداء والجودة

انخفاض معدلات التحاق الطلاب بالجامعات وفرص وظيفية محدودة:

انعكست ظروف الحرب على كل جوانب نظام التعليم العالي في اليمن، ولعلّ ذلك يظهر بوضوح في انخفاض معدل التحاق الطلاب بالجامعات. بدأ عزوف الطلاب عن التعليم في السنوات الأخيرة ليَبلغ أرقامًا حرجة خاصة في الكليات الإنسانية، حيث لا يتجاوز عدد الطلاب في بعض الأقسام الطالب أو الطالبين. لكن بشكل عام، يُلاحظ عزوف الشباب عن الالتحاق بالجامعات في ظل الافتقار إلى أساس تعليمي قوي ومحدودية فرص العمل

على سبيل المثال، تجاوز طلاب السنة الأولى (أو المستوى الأول) بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة صنعاء عام ٢٠١٤ الـ ١٠٠ طالب/ة بينما تجاوز مجموع الطلاب المسجلين في القسم (بمستوياته الأربعة) الـ (٣٠٠) طالب/ة. تراجع هذا العدد في عام ٢٠٢٣ ليبلغ (٢٦) طالبًا/ة فقط في القسم بمستوياته الأربعة. الوضع أسوأ بالنسبة لمعدلات التحاق الطلاب بأقسام الفلسفة والتاريخ، حيث يضم كل قسم طالبًا واحدًا في المستوى الأول.(١٩) أما قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة ذمار، فقد ضم ١٢ طالبًا/ة في عام ٢٠٢٣ بعد أن كان عدد المسجلين فيه يتجاوز ١٥٠ طالبًا/ة عام ٢٠١٤، بينما بلغ مجموع الطلاب المسجلين في كل الأقسام وكافة المستويات في الكلية خلال العام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣ (٢٨٠ طالبًا/ة) بعد أن كان يتجاوز ١٣٠٠ طالب/ة عام ٢٠١٤.(٢٠)

تواجه كليات التربية في أغلب الجامعات اليمنية نفس المشكلة، حيث بلغ عدد الطلاب الملتحقين بكلية التربية في جامعة شبوة ٢٠٠ طالب/ة خلال العام الدراسي ٢٠٢٢-٢٠٢٣

مقارنة بعدد ٢١٠٠ طالب/ة في العام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥. وفي كلية التربية بجامعة عدن، انخفض عدد المسجلين من ٢٢٧٦ طالبًا/ة خلال العام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠٠٩ إلى ٩٩ طالبًا/ة في العام الدراسي (٢٠٢٣/٢٠٢٢)، [٢١] وهو ما يعكس تسربًا هائلًا من الكليات الإنسانية

تتأثر معنويات وحافز الاستمرار بالتدريس مع عزوف الطلاب عن الالتحاق بتلك الكليات، وفي أسوأ الأحوال، تُغلق بعض الأقسام تمامًا بسبب تدني عدد المسجلين من الطلاب فيها. مثلًا في كلية التربية بجامعة شبوة، أُغلقت بعض الأقسام (كالتاريخ والجغرافيا) لعدم وجود إقبال عليها، بينما لم يتأثر الإقبال على التسجيل في أقسام اللغة الإنجليزية والرياضيات. يُعزى الإقبال على التسجيل في قسم الرياضيات لأن المحافظة دأبت على دفع مبلغ ١٥٠ ألف ريال يمني لكل طالب في السنة كحافز ومن باب التشجيع.(٢٢) أوضح أحد الأكاديميين أن "الطالبات في الكلية يُشكلّن نسبة ٨٠٪ من (عدد) الطلاب (الإجمالي)، لتَفضيل الطلاب (الذكور) الالتحاق بجماعات عسكرية حيث يحصلون على ضعف راتب الدكتور (في الجامعة)".(٢٣)

لكن المشكلة لا تقتصر على التخصصات الإنسانية فقط، حيث انخفضت معدلات الالتحاق بالكليات العلمية أيضًا والتي باتت لا تضمن مستقبلًا مهنيًا للخريجين. مثلًا في كلية العلوم التطبيقية بجامعة ذمار، شهدت أقسام الرياضيات والجيولوجيا والفيزياء تراجعًا في عدد طلاب السنة الأولى (أو المستوى الأول) ليبلغ ٣ طلاب فقط في العام الدراسي ٢٠٢٢-٢٠٢٣ بعد أن كان العدد يتجاوز ٧٠ طالبًا قبل اندلاع الحرب.(٢٤) كما عزف الكثير من الطلاب عن الدراسة بسبب توجّههم إلى سوق العمل لإعالة أسرهم. يُلخص أكاديمي من جامعة صنعاء الوضع بالقول: "عمومًا، الإقبال على التعليم صار متدنيًا. ولا قيمة للعلم ولا للمعرفة في زمن الحرب، فبحثوا عن عمل خارج مجال التعليم."(٢٥)

من جهته، أشار عميد كلية التربية بجامعة عدن الدكتور سالم لجدع إلى أن التسرب الكبير من كلية التربية بجامعة عدن "مشكلة عامة وموجودة في كليات التربية بالجامعات اليمنية كلها، وليس جامعة عدن وحدها"(٢٦) ومن أسبابها الأوضاع غير المشجعة التي يعيشها المعلم، مضيفًا "كيف نتوقع أن يدفع الأهالي بأبنائهم للدراسة في تخصصات تربوية لسنوات ثم يتخرجون دون أي وظيفة حكومية، وإن حصلوا على هذه الوظيفة يكون راتبها متدنيًا."(٢٧)

حتى العدد الضئيل من الطلبة الملتحقين بهذه الكليات لا يواظبون على حضور المحاضرات، حسبما أشار دكتور في جامعة صنعاء "لأنهم إما يعملون من أجل إعالة أسرهم، أو لا يجدون تكاليف التنقل من قُراهم ومنازلهم إلى هذه الكليات، ومن ثَمّ يُجبرون على التغيّب، والحضور فقط عند الامتحانات النهائية، وهو ما ينعكس على مستوياتهم العلمية،

ويظهر بشكل جلي على مخرجات التعليم العالي...من سطحية وعدم انضباط وضحالة معرفية وغياب مهارات."(٢٨) ألقت هذه الأوضاع بظلالها على المنظومة التعليمية بشكل أساسي، وتتجسد ملامحها في المخرجات حيث ستدفع الأجيال القادمة ثمن تراجع جودة التعليم ومستوى المهارات على صعيد البلد بطريقة لا تتلاءم مع متطلبات سوق العمل

يمتد هذا التصدّع والخلل في منظومة التعليم إلى فترة بداية الحرب، حيث تأثرت جودة وكفاءة التعليم الأساسي والثانوي لجيل الطلاب الملتحقين اليوم في الجامعات. فَهُم يمثلون جيلًا نشأ تحت وطأة الحرب ويعتبرون ضحايا انهيار التعليم الأساسي خلال تلك السنوات. فَالطلاب الذين سجلوا في الجامعات للعام الدراسي (٢٠٢٢/ ٢٠٢٣) كانوا في الصف الخامس الابتدائي وقت اندلاع الحرب عام ٢٠١٥، بمعنى أنهم تلقوا التعليم في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية تحت منظومة تعليمية مُنهارة جراء انقطاع رواتب المعلمين وتدمير أو تضرر مدرسة من بين كل أربع مدارس بسبب الصراع.(٢٩) بعبارة أخرى، بلغ هؤلاء التلاميذ مرحلة الدراسة الجامعية بأساس تعليمي ضعيف للغاية وبأمل أضعف فيما يحمله المستقبل لهم. تظل مشكلة تدني جودة التعليم الأساسي قائمة حتى يومنا هذا، حيث أشار تقرير لمنظمة اليونيسيف إلى أن اليمن "يواجه أزمة حادة في التعليم، حيث من الممكن أن يصل عدد الأطفال الذين يعانون من خلل في تعليمهم إلى ٦ ملايين طالب وطالبة".(٣٠)

يؤكد دكتور في جامعة صنعاء هذا الواقع بالقول: "هناك فرق بين الطلاب الذين كنا نُدرّسهم والطلاب الذين نُدرّسهم حاليًا. فالحاليون محبطون ولا يهتمون بالدراسة، والتعليم السيئ الذي تلقوه في (مرحلة) التعليم الأساسي جعلهم يصلون إلينا دون أدنى قاعدة علمية أو معرفية مما يجعلنا نضيع أوقاتًا طويلة في شرح مفاهيم وأساسيات كان على الطلاب تعلمها في سنوات التعليم الأساسي."(٣١) من جانبه، يقول أكاديمي في جامعة الحديدة إنه يشعر كما لو أنه "ينفخ في قربة مقطوعة" -مثل شعبي يُضرب في حالة معالجة أمر لا طائلَ منه -لأن تلاميذه مُنهكون ومُشتتون ومُرتبكون.(٣٢) يتشاطر أكاديمي آخر من جامعة ذمار نفس التجربة، حيث قال: "الحقيقة أنني أتساهل في مسألة الضغط على الطلاب لأني أشعر أن ظروفهم صعبة، وأنا أُقدّر أن حالتهم النفسية سيئة، لأن حالتي النفسية سيئة أصلًا، فما بالك بهم. لذلك أرفع الدرجات عند تصحيح الاختبارات حتى ينجحوا".(٣٣)

خصخصة التعليم: تنامي عدد الجامعات الأهلية:

مع تراجع الدعم التمويلي من الحكومة، بات اهتمام الجامعات مُنصبًا على إيجاد مصادر دخل جديدة لتمويل أنشطتها ما أدى إلى نشوء نظام التعليم الموازي (أو نظام دفع رسوم خاصة في الجامعات الحكومية) وهو نظام يتيح للطلاب ذوي التحصيل المتدني

الالتحاق بتخصصات تنافسية للغاية (تتطلب عادة تحصيل مرتفع) مقابل دفع رسوم مالية -عادة بالدولار الأمريكي.(٣٤)

قبل اندلاع الصراع، كان الطلاب يُوزَّعون بالتساوي على مختلف أقسام الجامعات الحكومية (العلمية والإنسانية). على سبيل المثال، تتّبع كلية الطب (بما في ذلك كليات طب الأسنان) في كل جامعة معايير صارمة لقبول الطلاب وكذلك الأمر بالنسبة لكلية الهندسة، وبالتالي يُضطر بقية خريجي المرحلة الثانوية - ممن لم يُقبلوا في تخصصاتهم المفضلة -على اختيار الالتحاق بتخصص من بين بقية التخصصات المتاحة في الجامعة. أدى هذا إلى ارتفاع معدلات التحاق الطلاب بالكليات الإنسانية مثل كلية التربية والآداب. لكن مع نشوء نظام التعليم الموازي الذي يتيح للطلاب الالتحاق بالتخصصات المفضلة لديهم مقابل دفع رسوم مالية، ألغت الجامعات الأهلية المرخص لها وغيرها من كليات الطب بالجامعات الحكومية المعايير الصارمة للقبول(٣٥) الأمر الذي دفع الكثير من الطلاب إلى الالتحاق بالتخصصات التي قد تَضمن لهم - من منظورهم - مستقبلًا مهنيًا ودخلًا عاليًا، مثل الطب وطب الأسنان والهندسة والصيدلة وغيرها من التخصصات العلمية

على سبيل المثال، تحتضن مدينة ذمار، عاصمة محافظة ذمار، جامعة حكومية تحمل اسمها (أي جامعة ذمار) وكلية صيدلة ومعهد للتعليم المستمر (يتبع لجامعة ذمار)، وأربع جامعات أهلية، وعدة معاهد للعلوم الصحية (تمنح شهادة دبلوم). تخرّج من هذه الجامعات والمعاهد حوالي ٨ آلاف صيدلي في الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠٢٣، إلا أن سوق العمل في مدينة ذمار كان بحاجة إلى ١٦٠ صيدليًا فقط خلال نفس الفترة لمواكبة النمو السكاني والتوسع العمراني، وفق ما أشار إليه مسؤول في مكتب وزارة الصحة بالمحافظة.(٣٦) بالتالي، لم يجد أغلبهم عملًا في مجال الصيدلة مما دفع البعض إلى مزاولة مهن أخرى أو بدء مشاريع صغيرة خاصة بعيدًا عن مجال الصيدلة. لا يختلف الأمر بالنسبة لخريجي أغلب التخصصات الأخرى التي التحق بها الآلاف في السنوات الأخيرة طمعًا في مستقبل مادي جيد مثل طب الأسنان والمختبرات الطبية والهندسة، حيث تشبّع السوق من خريجي هكذا تخصصات

أحد جوانب المشكلة هو التساهل بالترخيص للجامعات الأهلية منذ انقسام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي عام ٢٠١٥(٣٧) إلى وزارتين - كحال أغلب الوزارات في فترة الحرب - واحدة مقرها في صنعاء والأخرى في عدن، حيث تعملان كلًا على حده وبلا تنسيق مشترك. تقوم كل وزارة بالتصريح للجامعات الأهلية في المناطق التي تُشرف عليها، مما يجعلها عملية غير متكاملة ويتعذر مها الحصول على إحصائية دقيقة توضح عدد الجامعات والمعاهد التعليمية الأهلية المرخص لها في اليمن. يخلو الموقع الرسمي الإلكتروني للوزارة التابعة

لصنعاء من أي إحصائيات توضح عدد الجامعات الأهلية المرخّص لها، بينما يتضمن الموقع الرسمي الإلكتروني للوزارة التابعة لعدن إحصائية تتناول فقط الجامعات الأهلية المرخّص لها في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة.[٣٨] يخلو كلا الموقعين من أي معلومات عن المعاهد الأهلية للعلوم الصحية، أما الموقع الرسمي للمركز الوطني للمعلومات، فلم تُحدَّث معلوماته فيما يخص عدد الجامعات الحكومية والأهلية منذ عام ٢٠١١.(٣٩) إلا أن الباحث علاء الشلالي قام برصد مكتبي وميداني لعدد الجامعات الأهلية، ونشر موقع (خيوط) نتائج الرصد الذي أظهر وجود ١٨ جامعة أهلية قبل عام ٢٠١٤، وافتتاح ١٩ جامعة أهلية إضافية بعد اندلاع الصراع.(٤٠)

ومما يبعث على القلق أن عملية الترخيص لأي جامعة أهلية أو معهد خاص لا يخضع - حسبما يظهر - لأي معايير واضحة وشفافة أو شروط لضمان الجودة،(٤١) ودون إجراء دراسة ترصد أداء الجامعات أو المعاهد الأهلية حيث تحاول كل وزارة الترخيص لأكبر عدد ممكن من الجامعات والكليات والمعاهد في سبيل العائد المادي لإصدار تلك تراخيص.(٤٢) جدير بالذكر أن آخر تقرير نُشر عن العملية التعليمية في الجامعات اليمنية على موقع وزارة التعليم العالي يعود إلى العام ٢٠١٠،(٤٣) ولم يصدر بعدها أي تقارير يمكن العودة إليها

الخاتمة:

ستحتاج مرحلة إعادة الإعمار بعد انتهاء الصراع إلى مهندسين لبناء البنية التحتية، ومعماريين ومخططين حضريين لتخطيط المُدن، وصانعي سياسات واختصاصيين في علم الاجتماع من أجل توفير الخدمات الاجتماعية ودعم المجتمعات المحلية وإعادة بناء الثقة، فضلًا عن خبراء اقتصاديين ممن يمكن العودة إليهم لأخذ المشورة حول جهود التنمية، وباحثين ومفكرين متعددي التخصصات لتحديد المهارات اللازمة التي تتلاءم مع احتياجات سوق العمل في اليمن مستقبلًا

يُعاني قطاع التعليم العالي في اليمن من إهمال صُناع القرار السياسي حتى قبل اندلاع الصراع الجاري، إذ كان يُرصد له ميزانية ضئيلة للغاية. ففي عام ٢٠١٤، صرّح وزير التعليم العالي والبحث العلمي آنذاك (هشام شرف) بأن "ميزانية البحث العلمي في اليمن لا تتجاوز ١١ مليون ريال (يمني)" مقارنة مع ميزانيات أخرى رصدتها الدولة.(٤٤) من جهته، أشار الدكتور عبدالحكيم الشرجبي، رئيس جامعة صنعاء السابق إلى أن ميزانية البحث العلمي لا تساوي ٢٪ من ميزانية مصلحة شؤون القبائل، معربًا عن أسفه أن الطالب اليمني في كلية طب الأسنان بجامعة صنعاء يأخذ ١٠٪ من المادة العلمية مما يأخذه الطالب السوري

والمصري بكليتي طب الأسنان بجامعتي القاهرة ودمشق.(٤٥)

خلال سنوات الحرب، تراجع قطاع التعليم إلى ذيل قائمة اهتمامات صانعي السياسات في البلد، لكنه يحتاج اليوم - أكثر من أي وقت مضى - إلى الانتقال لصدارة القضايا التي يجب إيلائها الاهتمام بشكل عاجل. فالنظام التعليمي في الجامعات الحكومية على شفا الانهيار بسبب شح الموارد المالية، ونشهد هجرة ذوي الكفاءات من أساتذة الجامعات نتيجة عدم دفع المرتبات أو صرفها بانتظام، فضلًا عن تدني معدل التحاق الطلاب بالجامعات سعيًا منهم وراء مستقبل أفضل في مجالات أخرى. كما تبرز إشكالية تدني معايير الجامعات الأهلية، فَرُغم التسويق لها باعتبارها أفضل، تُعد تكلفة الالتحاق بها باهظة ولا تخضع لمعايير تكفل جودة التعليم، بل وأثّرت على سوق العمل نتيجة تشبّع بعض القطاعات بخريجي تخصصات معينة، بينما تعاني قطاعات أخرى من شح الكفاءات والمهارات التي تُلبي احتياجاتها

على ضوء هذا، تبرز حاجة ملحة إلى تدخلات سياسية تكفل حماية المنظومة التعليمية في اليمن قبل بلوغ الوضع نقطة تأزم يتعذر معها إصلاحه. أولًا والأهم، يجب زيادة الإنفاق على قطاع التعليم العالي، حيث سيُساهم رصد تمويل إضافي في ضمان دفع مرتبات الأكاديميين بانتظام، وزيادة معدل رواتب الأكاديميين في مناطق سيطرة الحكومة لتعويضهم جزئيًا عن الخسارة الناجمة عن هبوط قيمة العملة المحلية المتداولة في تلك المناطق، إلى جانب دعم جهود البحث العلمي للأكاديميين. كما يتعيّن على الجهات المختصة الحدّ من إصدار التراخيص للجامعات والمعاهد الأهلية، وإجراء مراجعة صارمة لأداء الجامعات الأهلية المفتوحة سابقًا وإغلاق كل من لم تلتزم بمعايير الجودة المطلوبة

أثبتت تجارب الماضي أن التعليم العالي ركيزة رئيسة في دعم الدول الخارجة من صراعات في إعادة بناء اقتصاداتها ومجتمعاتها، حيث يعزز فرص الجنود/ المقاتلين السابقين أو النازحين بسبب الحرب في الحصول على عمل والمساهمة بِمَعرفتهم ومهاراتهم ولعب دور بنّاء في المراحل المبكرة من إعادة الإعمار. بإيلائه بعض التركيز وقدر من التخطيط، يمتلك قطاع التعليم العالي إمكانات واعدة للنهوض بمستقبل البلاد، حيث سيساهم في تنويع اقتصاد اليمن والتحوّل إلى اعتماد التكنولوجيات الحديثة وتطوير مهارات القوى العاملة بطرق مبتكرة وأكثر نجاعة. من هنا تنبع أهمية التخطيط لمسار يمضي بالبلاد قُدمًا إلى مرحلة جديدة تشكل قطيعة عن ويلات الحرب، وقطاع التعليم هو جزء محوري في هذا المسار

هذه الورقة هي جزء من سلسلة منشورات لمركز صنعاء في إطار مبادرة منتدى سلام اليمن الساعية إلى تمكين الجيل القادم من الشباب اليمني والجهات الفاعلة في المجتمع المدني وإشراكهم في القضايا الوطنية الحرجة

الهوامش:

1. "التقرير القُطري عن الجمهورية اليمنية لسنة ٢٠١٥: استقلالية المدارس والمساءلة في قطاع التعليم" البنك الدولي http://wbgfiles.worldbank.org/documents/hdn/ed/saber/supporti
2. عصام واصل، "الأكاديميون تحت مقصلة الحرب"، موقع خيوط، ٤ أكتوبر/تشرين الأول، ٢٠٢٢. https://www.khuyut.com/blog/academics-war
3. "حُرموا من السكن الجامعي.. أكاديميون بجامعة صنعاء يمثلون أمام المحاكم بسبب الإيجارات"، موقع يمن شباب، ١٢ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢١. https://ye-menshabab.net/news/70543
4. حسب سعر صرف الدولار الأمريكي المتداول في مناطق سيطرة الحكومة بتاريخ ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٤ (١٥٤٨ ريالًا لكل دولار)
5. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٥ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
6. «صورة لدكتور في القانون الدولي يبيع معجنات بعدن تثير جدلًا واسعًا"، موقع عدن الغد، تاريخ ٢ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ https://adengad.net/posts/665734
7. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٢ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
8. "سائق حافلة أجرة بدرجة أستاذ دكتور"، موقع الجزيرة، ٨ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٢. https://www.aljazeera.net/programs/aja-
9. منشور في صفحة الدكتور عبد الله معمر الحكيمي على فيسبوك بتاريخ ٢٩ يوليو/ تموز ٢٠٢٢. https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid0685
10. صفحة الدكتور عبدالله معمر الحكيمي على فيسبوك، تم الولوج إلى الصفحة في فبراير/ شباط٢٠٢٣. https://www.facebook.com/profile.php?id=100000680065292
11. منشور في صفحة الدكتور عبدالله معمر الحكيمي بعنوان "يوميات بروفيسور الدرس ٢٣ *لأننا ندافع عن قيم أكاديمية*"، موقع فيسبوك، ١٠ أكتوبر/ تشرين الاول ٢٠٢٢ https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid023A
12. مقابلة عبر الهاتف أجراها الكاتب بتاريخ ١٧ شباط/ فبراير ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة ذمار اشترط عدم الكشف عن هويته.
13. منشور في صفحة الدكتور عبدالله معمر الحكيمي على فيسبوك بعنوان (دروس مستفادة، الدرس ١)، موقع فيسبوك، ٢٩ يوليو/ تموز ٢٠٢٢ https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid0qsT

14. المرجع السابق.
15. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٧ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
16. "جامعة صنعاء تصدر قرارًا مجحفًا بحق الأوائل وطلبة "الدكتوراه" وأعضاء هيئة التدريس"، موقع طالب يمني (Yemeni Student)، تاريخ ١٦ أكتوبر/ تشرين الاول ٢٠٢٢ https://yemenistudent.org/news-details.php?nid=313 "جامعة صنعاء تصدر قرارًا مجحفًا بحق الأوائل وطلبة "الدكتوراه" وأعضاء هيئة التدريس"، موقع طالب يمني (Yemeni Student)، تاريخ ١٦ أكتوبر/ تشرين الاول ٢٠٢٢ https://ye-menistudent.org/news-details.php?nid=313
17. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ٢٥ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
18. مقابلة عبر تطبيق الواتساب أجراها الكاتب بتاريخ ٢١ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع معيد من جامعة الحديدة اشترط عدم الكشف عن هويته.
19. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٢ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
20. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٣ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة ذمار اشترط عدم الكشف عن هويته.
21. رعد الريمي، "كلية التربية بجامعة عدن: عزوف يُهدِّد العملية التعليمية"، مركز سوث ٢٤ للأخبار والدراسات، عدن، تاريخ ٢٧ أكتوبر/ تشرين الاول ٢٠٢٢، https:// south24.net/news/news.php?nid=3008
22. مقابلة عبر الهاتف أجراها الكاتب بتاريخ في ١٦ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في كلية التربية بجامعة شبوة اشترط عدم الكشف عن هويته.
23. نفس المرجع السابق.
24. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٣ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة ذمار اشترط عدم الكشف عن هويته.
25. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ٢ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع اكاديمي في جامعة صنعاء اشترط الكشف عن هويته.
26. رعد الريمي، "كلية التربية بجامعة عدن: عزوف يُهدِّد العملية التعليمية"، مركز سوث ٢٤ للأخبار والدراسات، عدن، تاريخ ٢٧ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٢، https:// south24.net/news/news.php?nid=3008
٢٧. المرجع السابق.

28. مقابلة عبر تطبيق الواتساب أجراها الكاتب بتاريخ ١٧ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
29. "التعليم"، تقرير لمنظمة اليونيسيف عن التعليم في اليمن، https://www.unicef.org/yemen/ar/التعليم
30. المرجع السابق.
31. مقابلة شخصية أجراها الكاتب بتاريخ ١٥ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة صنعاء اشترط عدم الكشف عن هويته.
32. مقابلة عبر الهاتف أجراها الكاتب بتاريخ ١ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة الحديدة اشترط عدم الكشف عن هويته.
33. مقابلة عبر الهاتف أجراها الكاتب بتاريخ ١٥ فبراير/ شباط ٢٠٢٣ مع دكتور في جامعة ذمار اشترط عدم الكشف عن هويته.
34. الموقع الرسمي لجامعة تعز، https://taiz.edu.ye/DefaultDET.aspx?SUB_ID=30495
35. د. عصام واصل، "تفريخُ الجامعات الأهلية وتدمير الحكومية: متخرجون كُثر ضحية للبطالة وهشاشة المعرفة!"، ٤ سبتمبر/ أيلول ٢٠٢٣، https://www.khuyut.com/blog/gov-private-universities
36. مقابلة عبر الهاتف أجراها الكاتب بتاريخ ١٠ مارس/ آذار ٢٠٢٣ مع موظف في مكتب الصحة بذمار اشترط عدم الكشف عن هويته.
37. أفراح ناصر، "مستقبل غير مضمون للوحدة في اليمن بعد سنوات من الحرب"، المركز العربي – واشنطن، تاريخ ٢٨ يوليو/ تموز ٢٠٢٢، https://arabcenterdc.org/resource/yemens-prospects-for-unity-are-uncertain-after-many-years-of-war/
38. "الجامعات الأهلية"، موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التابع لعدن. https://moheye.net/yemeni-universities/private-universities/
39. المركز الوطني للمعلومات، تم الولوج إلى الموقع في ٧ مارس/آذار ٢٠١٣. يقدم هذا الموقع لمحة تعريفية عن التعليم العالي في اليمن من خلال جدول يوضح خريجي التعليم العالي بحسب التخصصات للفترة ٢٠٠٠ – ٢٠١١، https://yemen-nic.info/sectors/education/#3
40. علاء الشلالي، "الجامعات الأهلية... تجارة على حساب التعليم"، موقع خيوط، ٢٠ أبريل/ نيسان ٢٠٢١ https://www.khuyut.com/blog/private-
41. "بالوثائق .. مكافحة الفساد توجه اتهامات لوزير التعليم العالي وتستدعي معاونيه

للتحقيق"، موقع يمني برس، ٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٧، https://www.yemeni-press.net/archives/87718

٤٢. المرجع السابق.

43. "التعليم العالي.. حقائق ومؤشرات الإنجاز خلال ٢٠ عام (١٩٩٠ – ٢٠١٠)"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سنة الإصدار: ٢٠١٠، http://www.yemen.gov.ye/portal/LinkClick.aspx?fileticket=JkNaE21wrEo=&tabid=583.. الموقع المُشار إليه مُعطل حاليًا، لكن يمكن العثور على نسخة من التقرير هنا.

44. "وزير التعليم العالي: ميزانية البحث العلمي في اليمن لا تتجاوز ١١ مليون ريال"، موقع أخبار الساعة، تاريخ ٣ فبراير/ شباط ٢٠١٤. https://hournews.net/27169/وزير-التعليم-العالي-ميزانية-البحث-العلمي-في-اليمن-لا-تتجاوز-١١-مليون-ريال

45. "وصف التعليم بالكارثة.. رئيس جامعة صنعاء: ميزانية البحث العلمي لا تساوي ٢٪ من ميزانية مصلحة القبائل"، موقع أخبار اليوم، تاريخ ٩ مارس/ آذار ٢٠١٤. https://akhbaralyom.net/nprint.php?lng=arabic&sid=77051

.....

*** باحث يمني مهتم بالقضايا المتعلقة بنظام التعليم العالي في اليمن يكتب تحت اسم مستعار**

قضية التعليم في فكر الفيلسوف
د. أبو بكر السقاف

عيبان محمد عبدالرحمن

مقدمة:

يعد النظام التعليمي من أهم النظم الاجتماعية نظراً للدور الوظيفي الذي يضطلع به، يقول أحد الفلاسفة إن «التعليم يحرس البلاد أفضل من جيش منظم». ويقول آخر: «إن التعليم هو جواز سفر إلى المستقبل"

والتعليم ليس ترفاً، وإنما هو حاجة من حاجات الحياة، وضرورة من ضروراتها، إنه كالماء والهواء والطعام كما يقول عميد الأدب العربي د. طه حسين

ومع ذلك فإن سؤال التعليم لا يزال معلقاً منذ أكثر من قرن، منذ أن أطلق المفكر المصري سلامة موسى سؤاله الإشكالي الذائع الصيت: لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟ منذ ذلك الحين وحتى اليوم لا تزال المحاولات عاجزة عن تقديم إجابة ناجعة لسؤال التعليم.. ذلك أن السبب يكمن في أن تلك المحاولات تتعاطى مع التعليم كمسألة جزئية أو تقنية مجردة ومعزولة عن الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

قال أحد علماء الاجتماع العرب: «إن التعليم أخطر من أن يترك للتربويين وحدهم، مثلما إن الحرب أخطر من أن تترك للعسكريين وحدهم."

كثيرة هي قضايا وإشكالات التعليم، لاسيما في واقعنا اليمني، ومن الصعب تناولها جميعاً أو فُرادى في مساحة محدودة أو بتناولٍ عابر. ومع الإقرار المسبق بأن الأمر يتطلب وجود مؤسسات بحثية تُسخَّر لها الإمكانات اللازمة والدعم اللامحدود لتنتج دراسات ومقاربات تعالج إشكالات التعليم، باعتبار ذلك يمثل إحدى أبرز المهام الوطنية الاستراتيجية للخروج مما يسميه مفكرنا الكبير د. أبوبكر السقاف «رقدة العدم» إلى النهوض الحضاري.

تهدف هذه الورقة المتواضعة إلى تسليط بعض الأضواء على مقاربات المفكر الكبير الدكتور أبو بكر السقاف حول قضية التعليم وتفريعاتها

يمكن القول – ابتداءً – إن قضية التعليم تمثل لدى مفكرنا د. أبوبكر السقاف همّاً فكرياً وقلقاً معرفياً لازمه طيلة حياته الفكرية، وهو ما يتجلى في مؤلفاته القديمة والجديدة

ويربط د. السقاف بين التعليم وكل القضايا الكبرى والمصيرية؛ كالحرية، والديمقراطية، والنهضة، والتقدم، وارتياد المستقبل، وبناء الدولة المدنية...إلخ

ويرى إن أزمة النظام التعليمي إنما هي انعكاس لأزمة البنية السياسية والاجتماعية القائمة، وإن معالجة أزمة التعليم مرتبطة بحصول تغيير سياسي جوهري وحاسم

أولاً: فلسفة النظام التعليمي في اليمن:

يرى د. أبو بكر السقاف بأن فلسفة النظام التعليمي في الأقطار العربية – وفي مقدمة ذلك اليمن – تقوم على الأسس التالية:

1. تمجيد الماضي وإضفاء طابع القداسة عليه، على حساب الاهتمام بالمستقبل.
2. ترتكز على وسائل التلقين والحفظ والترديد وليس على التفكير والتحليل والحس النقدي، حيث يتم حشو أدمغة الطلاب، في اثنتي عشرة سنة (من المراحل الابتدائية إلى الثانوية) بمعلومات، والطالب ينسى في كل سنة ما تعلمه في السنة التي سبقتها. ولا يتخرج إلا وهو لا يعرف إلا مبادئ القراءة والكتابة والحساب ونتفاً من المعلومات، وهو ما يطلق عليه خلدون النقيب «الجهل الوظائفي" (Functional literacy). إن هذا النمط من التعليم يطلق عليه (باولو فريري) في كتابه تعليم المقهورين بالتعليم البنكي الذي يهدف إلى تعويد الطلبة على أسلوب التذكر الميكانيكي وتحويلهم إلى أواني فارغة تتلقى كل ما يصب في داخلها، فيصبح الواقع في نظرهم مسلمة من المسلمات لا موضوعاً للتغيير.
3. تدعم قيم الامتثال والتقليد وتحارب قيم الابتكار والتفرد والإبداع.
4. تساهم في ترسيخ علاقات القهر والتسلط وتناهض الاستقلالية وتعطل حاسة النقد تعطيلاً كاملاً.
5. تشجع الاستبداد والخنوع والسلبية وليس على المشاركة الديمقراطية والمبادرة.
6. تمجد الحصول على الشهادات، والاعتماد على الوظائف الحكومية، ولا تشجع على التعليم والاعتماد على النفس.

إن النظام التعليمي يعمل على إعادة إنتاج التخلف والجمود ويكرس قيم التسلط، وفي المقابل تضمر كل الآفاق بتردي الإبداع والنقد، والفكر أو الفلسفة النقدية، وتتراكم أسوار المحرمات والتابوهات، وتتسيد قيم الطاعة والامتثال والرضوخ

ولذلك ليس مصادفة – كما يقول السقاف – أن يكون التلقين وهو أساس فكرة الطاعة

سمة ملازمة للتعليم من الكُتّاب [المعلامة] حتى الجامعة، وخلو مناهج ومقررات التدريس من أية قيمة وتربية جمالية ومن هامش للتفكير الحر وممارسة الحرية، فمؤسسات التعليم مراكز للتدجين والترويض وصوغ ذهنية ونفسية العبد والأَمَّة

إذن يشكّل النظام التعليمي أداة من أدوات الهيمنة وتكريس العلاقات التسلطية، وهذا الكلام يتفق مع ما ذهب إليه بعض علماء الاجتماع، إذ يرى عالم الاجتماع الفرنسي (بيير بورديو) أن «أي نشاط تربوي هو موضوعياً نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه قوة تفرض من قبل جهة اجتماعية معينة."

إن النظام التعليمي يعمل على إعداد أجيال تتقبل الواقع، أجيال عاجزة عن ابتداع وسائل ابتكارية لمواجهة أزمات الواقع، أجيال تدجن وتطوع من أجل تأمين شروط استمرار الطبقة المسيطرة والقيم التقليدية، وبالتالي استمرار أوضاع الاستبداد والتخلف الشامل.

ثانيا: أزمة التعليم الجامعي:

يُوصِّف د. أبو بكر السقاف أزمة التعليم الجامعي بالقول: «أزعم أن التعليم العالي عندنا يكاد يكون استمراراً كمياً للتعليم العام، وسبب ذلك تدني التعليم العام وسوء استخدام الإمكانات المتاحة وعدم قدرة الجامعة على الإسهام في ترشيد التعليم العام، كما تفعل جامعات كثيرة."

ويرى الدكتور السقاف أن الجامعة لا ينبغي أن تقتصر وظيفتها على «تخريج موظفين»، ولا شك أن هذا جزء من وظيفة الجامعة، ولكن الوظيفة الأخرى والخطيرة وهي أن يتخرج منها نخبة مُفكِّرة في مختلف حقول المعرفة وهذا الشرط الأساس لمنحها صفة الجامعة. فالجامعة هي عقل الأمة، ومصنع المعرفة العلمية، ومشعل التنوير ومسرج العقلانية، وهي بؤرة للبحث العلمي، ومنطلق للتعبير الثقافي الوطني، وخميرة للتغيير. هذا ما يفترض أن تكون عليه الجامعة، ولكن الواقع يعطي صورة معاكسة بل قاتمة لذلك

لقد أصبحت جامعاتنا مغتربة عن وظيفتها الاجتماعية والعلمية والتنويرية، فهي تُخرِّج أنصاف متعلمين، ولا تؤدي دوراً فعلياً في البحث العلمي، ناهيك عن القيام بدورها في خدمة وتنمية المجتمع.

إن من مظاهر أزمة التعليم الجامعي وفقاً للسقاف أن «جامعاتنا العربية تُدرّس تاريخ العلوم لا العلوم كما هي مستقرة اليوم في عالمنا، ومن هنا فهناك عشرات من التخصصات الدقيقة في العلوم الطبيعية والإنسانية لا مكان لها في جامعاتنا."

ويرى السقاف أن «غياب التخطيط هو أساس كل المشاكل التي يعاني منها التعليم العالي. ومن أخطر مظاهره الإصرار على عدم ربط التعليم بخطة التنمية وحاجات البلاد ومن نتائجه تضخم بعض الكليات إلى درجة مفزعة، أخلت منذ سنوات بكل النسب

المطلوبة بين عدد الطلاب وعدد أعضاء هيئة التدريس، وأصبحت مهمتها تخريج عاطلين عن العمل بشهادات وذوي مستوى علمي رديء

ثالثا: استقلالية الجامعة:

يشدد الدكتور أبو بكر السقاف كثيراً على مسألة استقلالية الجامعة لما لها من أهمية حاسمة، ليس فقط في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي، بل في تنمية الوعي السياسي والديمقراطي في أوساط المجتمع بصفة عامة

يتساءل السقاف باستنكار: إلى متى ستظل الجامعة بمنأى عن رياح التطور في اليمن؟ إذا كان التعدد الحزبي يكاد يقوم على قدميه فإن أوطد أسسه التعدد الفكري في مناخ حر لا يعرف سقفاً للعقل إلا العقل.

ويضيف بالقول: إن الجامعة أهم حلقات المجتمع المدني، الذي لا يقوم ويستقيم بدونه مجتمع سياسي، وهي مدرسة يومية يتعلم فيها الأساتذة قبل غيرهم أبجديات الديمقراطية والحوار واحترام آراء الآخرين، والكف عن وهم احتكار الحقيقة أو الحكمة، ولا يتأتى ذلك إلا إذا مارسوا بأنفسهم حرية اختيار نقابتهم ورئيس جامعتهم وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام.

ويقول أيضاً: «إن استقلال الجامعة يبدأ من الانتخاب الحر لرئيس الجامعة والعمداء ورؤساء الأقسام، ولذا فإن مطلب المطالب وبداية البدايات هو الإصرار على قانون جديد للجامعات يؤكد ويقرر هذا الحق الأساسي لأعضاء هيئة التدريس."

إن أخطر ما في التعيين على كل المستويات – وفقاً للسقاف – عدم الشعور بالارتباط بالوسط العلمي الجامعي، والاستقلال نسبياً عن هذا الوسط والشعور بأن البقاء في الوظيفة والمنصب لا علاقة له بطبيعة ومستوى الأداء العلمي والعملي في الجامعة، ومن ثم ظهور التكتلات الصغيرة وأساليب المحاباة والنفاق الوظيفيين، وارتباط القرارات الهامة على كل المستويات بالمزاج والطبع الشخصيين

هل يمكن أن يتنفس التفكير العلمي ولا أقول الإنتاج العلمي في مثل هذا المناخ؟

لقد أصبحت مُحاطة بالأسلاك الشائكة، ومحروسة بأمن الجامعة، ويمارس فيها جهاز الأمن سلطة خفية في بعض الأحيان، وسلطة صريحة ومكشوفة في أحيانٍ أخرى، بل تم عسكرتها وملشنتها

تعود عملية عسكرة الجامعة وملشنتها إلى أوائل الثمانينات، فقد تعرضت الجامعات اليمنية إلى السيطرة الأمنية والحزبية، وأصبحت سلطة رجل الأمن في الجامعة تعلو على سلطة رئيس الجامعة ونوابه وعمداء الكليات وأساتذتها ومختلف منتسبيها.

لهذه الأسباب وغيرها، أمست جامعاتنا وسط طارد للبحث العلمي، وتمثّل قيد على

حرية البحث العلمي بدلاً من أن تكون العكس، كما يفترض بها، أي أن تكون سيدة نفسها، وفضاء مفتوح للتفكير الحر، ومناخ الاختلاف الصحي حيث العقل لا يخاف ولا يؤمر، بل عليه أن يغامر ويكتشف، وعندئذٍ فقط يتحرر حقاً ويصبح قادراً على التحرير.

رابعا: أسلمة التعليم والمعرفة:

غير خافٍ على أحد أن حركات الإسلام السياسي فرضت سيطرتها على المؤسسات التعليمية منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، ونشرت أيديولوجيتها بهدف السيطرة على عقول الناشئة، وإنتاج أجيال تدين بفكرها وتمتثل لتصوراتها عن السياسة والحياة.

وهناك عاملان رئيسيان أسهما في تعميق سيطرة هذه الحركات على المؤسسات التعليمية :

الأول: تعيين عبدالملك الطيب أحد قيادات الإخوان المسلمين وزيراً للتربية والتعليم في الحكومة الانقلابية، فقد عمد الرجل إلى تلوين الوزارة بلون واحد وإعادة صياغة المناهج التعليمية بما يتوافق مع الفكر الإخواني.

الثاني: دور النظام السعودي والمؤسسة الدينية السعودية في تقديم الدعم لهذه الحركات لنشر الفكر الوهابي والإخواني في اليمن وإحداث تغييرات في «الديمغرافيا الدينية"

كان من نتائج ذلك أن أنشئت المعاهد «العلمية» (بالأحرى الدينية)، وأصبحت مؤسسة موازية للتعليم العام، وجرى استقطاب التلاميذ للدراسة في تلك المعاهد وقدمت لهم إغراءات مختلفة.

وقد نتج عن هذا وجود ظاهرة خطيرة أطلق عليها د. أبو بكر السقاف «ازدواجية النظام التعليمي»، التي تؤدي إلى نشوء جيل من الشباب يتحدثون بلغتين متباينتين ويمتلكون تصورات مختلفة إزاء المعاني والقيم الأساسية التي تحكم السلوك والتفكير في أمور جوهرية، مثل: الوطن، والمواطنة، والواجب، والعلم، والدين، والأسرة، والموقف من المرأة

لقد مارست المعاهد «العلمية» عملية غسيل مخ للتلاميذ، وتم استغلالهم في طاحونة المعارك السياسية لجماعات الإسلام السياسي طيلة عقود من الزمن، منذ سبعينيات القرن الماضي، ويتكرر الأمر ذاته اليوم، بصورة ملهاة، مع التغييرات التي أحدثتها الجماعة الحوثية في المنهاج التعليمي وسيطرتها المطلقة على مؤسسات التعليم، وأدلجة التلاميذ في المراكز الصيفية في مناطق التي سيطرتها

وقد ساهمت تلك المخرجات في نشر ثقافة التكفير والتطرف في أوساط المجتمع واستخدامها في تصفية الخصوم السياسيين، أبرزهم: الحزب الاشتراكي اليمني، وتعويق تطور البلاد، وسد المنافذ أمام الحداثة والفكر الجديد

كما أعادت صياغة ذهنية المجتمع، وأحدثت تغيرات كبيرة في الخرائط المذهبية، واستحداث

أنماط من التديّن المسيس، التديّن الحركي المتحزّب، والمفخّخ بأيديولوجيا تكفيرية، تنظر إلى الآخر السياسي والمذهبي والديني باعتباره عدواً للإسلام ينبغي التخلص منه!

لقد انتهجت حركات الإسلام السياسي السيطرة على العقول، من خلال السيطرة على المدارس والجامعات بهدف توظيفها في التحكم باتجاهات تفكير الشباب؛ والسيطرة على المساجد بغرض التحكم بالوعي، وبذلك استطاعت التغلغل في مختلف أوساط المجتمع في الحضر وفي الريف، وفي مختلف مناطق البلاد

لقد حذر الفيلسوف أبو بكر السقاف من هذه السيطرة واعتبرها مصدر تهديد، ليس للحاضر فقط، بل - أيضاً - للمستقبل

خامساً: الانفاق على التعليم:

يربط د. أبو بكر السقاف مسألة الانفاق على التعليم بطبيعة السياسات التي تنتهجها الأنظمة القمعية في الأقطار العربية، إذ يقول: إن الإنفاق على التعليم في المجتمعات العربية يهدف إلى تنظيم القمع في المقام الأول، وفصل التعليم عن المجتمع وربطه بجهاز الحكم ليس إلا أحد جوانب إستراتيجية القمع الشاملة. ورؤوس هذه الأنظمة يعلمون أن رسالة التعليم التحريرية أخطر عليهم من أية قوة أخرى، فأصبحت المدارس والجامعات سجوناً للتدجين والقمع وتزييف الوعي وصنع الطاعة، وهم يعرفون أن تحرير التعليم هو المقدمة الكبرى لتحرير المجال السياسي ومجال المجتمع المدني من أغلالهما

لذلك تعمد الأنظمة القمعية إلى تخصيص نسب ضئيلة وتافهة من ميزانية الدولة للإنفاق على قطاع التعليم والبحث العلمي، في الوقت الذي تخصص فيه نسب مهولة من الميزانية لرئاسة الجمهورية ووزارة الدفاع ووزارة الداخلية والأجهزة الأمنية والاستخباراتية ومصلحة شؤون القبائل ...إلخ.

سادساً: خصخصة التعليم:

يرى د. السقاف إن المدارس والجامعات الأهلية لا تكتفي بتكرار أخطاء المدارس والجامعات الرسمية بل تضيف خطاياها المدمرة. فإذا كانت الجامعات الرسمية قد اقتربت من إلغاء مجانية التعليم بما تفرضه من رسوم وتخليها عن تقديم الكتب في الجامعات والمدارس للطالبات والطلاب، فإن الأهلية قد جعلتهم جزءاً من سوق العرض والطلب، أي جعلته سلعة خاضع لمنطق السوق بدلاً من أن يكون كما يفترض خدمة اجتماعية ورسالة سامية

ولأن هدف المدارس والجامعات الأهلية هو الربح في أكثر أشكاله بدائية، فإنها قد عملت على تدمير التعليم وإهدار وظيفته الاجتماعية وقيمته الرمزية

على سبيل الختام: نحو تعليم تحرري ديمقراطي نوعي ومجاني:

أزمة التعليم أزمة بنيوية مركبة ومتعددة الأبعاد، ولمواجهة هذه الأزمة يتطلب الأمر، أولاً وقبل كل شيء، تحرير هذه القضية من الأطر الرسمية والأروقة النخبوية وتحويلها إلى قضية رأي عام، إلى قضية نضالية شعبية عامة

لذا ينبغي تشكيل لجنة شعبية تناضل من أجل تحقيق تعليم تحرري ديمقراطي نوعي ومجاني

ونقصد بتعليم تحرري، أي أن يكون طريقاً للحرية، ووسيلة للثورة على الظلم، ولتمكين المقهورين من مقدراتهم كما ذهب إلى ذلك (باولو فريري)

ونقصد بتعليم ديمقراطي، أي أن يكون متاحاً للجميع على قدم المساواة، وأن يقوم على أساس تكافؤ الفرص، ويقوم على فلسفة تعليمية أساسها سيادة العقلية العلمية النقدية، المتحررة من الأصنام الذهنية والقوالب الجامدة، وثقافة الثوابت والانشداد إلى الماضي، عقلية مشبعة بروح التغيير

ونقصد بتعليم نوعي، أي تعليم ذو جودة عالية، يرتكز على حقائق العصر، ويواكب مستجدات الثورة المعلوماتية، ويؤدي وظيفة تنموية وإنتاجية

وأما أن يكون التعليم مجانياً، فهذا حق دستوري لكل مواطن وواجب من واجبات الدولة تجاه مواطنيها

المراجع:

1. أبوبكر السقاف، دفاعاً عن الحرية والإنسان، إعداد: منصور هائل، صنعاء، منتدى الجاوي الثقافي، ٢٠١١.
2. أبوبكر السقاف، آفاق فكرية وسياسية يمنية، صنعاء، منتدى الجاوي الثقافي، ٢٠٢٣.
3. بيير بورديو، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر: نظير جاهل، الدار البيضاء – بيروت، المركز العربي الثقافي، ١٩٩٤.
4. خلدون النقيب، في البدء كان الصراع: جدل الدين والإثنية.. الأمة والطبقة عند العرب، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٧.

(*) باحث وناشط مدني.

العلاقة بين العلم والثقافة في المجتمعات العربية: اليمن أنموذجاً

أ.د. قاسم المحبشي

لماذا لم يتحول العلم إلى ثقافة؟ ولماذا لم يتحول التحديث إلى حداثة؟

تمهيد:

إن العلم هو أقدم وأهم شكل من أشكال الوعي والممارسة الاجتماعيين قبل السحر والأسطورة والدين والأخلاق والقانون. ولم يكن للإنسان أن يتمكن من العيش في الأرض بدون العلم والتفكير العلمي وأول قانون علمي أدركه الإنسان هو قانون مقاومة الفناء والحفاظ على البقاء وأول المدنية كهف أو مغارة أو موطئ قدم يحتله الإنسان ويجد فيه أسباب العافية والأمن والأمان فيدافع عنه وطناً في العراء قبل اللجوء الى الكهوف والمغارات، وأول الحضارة هو الاحساس بالخوف من العجز والوحدة. كل هذه الإحساسات التي تنتاب الإنسان في جميع الازمنة وفي كل مكان وفي جميع العصور هي فطرة وغزيرة وطبع دفعه للبحث عن حلول عملية لها. وأول الثقافة خيال وتصور وتعبير وتفكير وبحث عن الأشياء التي تأمّن حياة الإنسان وتجنبه المهالك. العلم ليس نظرية أبدا بل هو مواجهة مشكلات حيوية والبحث عن حلها وتجاوزها. وحينما واجه الإنسان معضلة مرور النهر فكر باستخدام ألواح الخشب وصنع الغارب وحينما واجه الإنسان تحدي البرد والمطر فكر بالبحث عمّا يحمي بدنه من البرد والمطر والشمس والريح فصنع ملابس من الجلد والصوف وحينما واجه الإنسان تحدي العيش في العراء فكر ببناء منزل يحميه من غوائل الوحوش والضواري وحينما واجه الإنسان تحدي الجوع والعطش فكر باستصلاح الأرض وزراعتها وحفر الآبار وحمايتها. وحينما واجه الإنسان تحدي المسافات فكر بترويض الحيوانات واستخدامها في المواصلات وحينما واجه الإنسان تحدي البحار فكر بصناعة السفن الشراعية وحينما واجه الإنسان تحدي المرض فكر بالبحث عن الدواء وهكذا كان العلم هو الحليف الأول للإنسان على هذه الكوكب ومازال ومن المعروف أن إي فعل أو سلوك إذا ما تكرر يصير عادة وإذا ما ترسخت العادة صارت ثقافة! فلماذا لم يتحول العلم والتعليم في المجتمعات العربية الإسلامية إلى ثقافة؟ وما الذي يفسر شيوع الخرافة والعنف والتعصب والتطرف والإرهاب بعد هذا المسار الطويل من نشوء المؤسسات العلمية الحديثة في المجتمعات العربية الراهنة. وما علاقة العلم بالثقافة؟ وكيف يمكن أن تكون الثقافة السائدة في مجتمع ما دافعا لتنمية العلم وازدهاره أو معرقلة لنموه وتطوره؟ إن اكتساب معرفة وضعية أو عقلية - أو السعي وراء العلم، والأمر سيان بكثير أو بقليل- يتحدد من خلال نظام الفكرة الشاملة الذي يسود في وقت معين في المجتمع. نظم الفكرة

الشاملة – التي يقصد بها المعتقدات والمواقف والأعراف الاجتماعية، والافتراضات العامة، والمواقف الدينية والإيديولوجية المحددة – هي ذات أهمية بالغة في تاريخ البشرية. لقد قارنها جوليان هكسلي Julian Huxley بالهياكل العظمية في التطور البيولوجي: فهي توفر البنية للحياة التي تنعشها وتلبسها، وتقرر إلى حد بعيد الطريقة التي ستعيش بها. إن القيم العليا والأهداف التي يطمح إليها المجتمع إنما يتم الحصول عليها من الطريقة التي يربي بها أبناءه. وههنا يواجه المرء بحق مسألة ما إذا كان المجتمع يثمّن التحول والتغير أو يفضل النظام القائم أو القديم. فما الذي يفسر نهضة اليابان والصين والهند والنمور الآسيوية الأخرى منذ بداية القرن العشرين، بعد أن كانت واقعة تحت نير الاستعمار الغربي وتنويعاته المختلفة، مثل ما كانت عليه المنطقة العربية تماما؟ لماذا نهضت شعوب الشرق آسيوية في الشرق الأقصى والأدنى بينما ظل الشرق الأوسط كما كان متخلفا وها هو اليوم بات يشكّل نقطة سوداء في بلاد الشرق والعالم أجمع؟ هذا في حين كانت أوضاع الدول العربية بالقياس الى البلدان الشرق آسيوية الناهضة اليوم مثل كوريا وسنغافورة وماليزيا وتايوان بل حتى الهند والصين واليابان، كان وضع بعض الدول العربية وقدراتها الاقتصادية أفضل بكثير من وضع الدول الناهضة قبل نهضتها طبعا؟ لماذا تعثرت حركة النمو والتنمية واليقظة والنهوض في البلاد العربية الإسلامية وأين يمكن لنا العثور عن الأسباب التي يمكنها تفسير هذا الأمر؟!

ثمة من يرى أن وراء نهضة الشعوب الشرق آسيوية أسباب ثقافية، وأن الفلسفات والعقائد الفكرية الشرق آسيوية مثل الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية والجيانية بما تمتلكه من منظومة قيمية إيجابية تحث على السلام والتناغم والانسجام والإيثار والتضحية والإخلاص بالعمل والنزعة الجماعية ونبذ الأنانية وقمع الشهوات والانفعالات العنفية والنزعة إلى السلام وحرية الذوات الفردية في ممارسة الخبرات الدينية ونبذ التعصب والتطرف والتكفير ومن ثم تعايش المذاهب والاعتقادات والطوائف والأفكار والأديان بكل سلاسة وتقدير واحترام في الدولة الواحدة اذ يوجد في الهند وحدها أكثر من ألفي طائفة دينية متعايشة. لقد أثارت نهضة الشرق الآسيوي حَفِيظة أوروبا الغربية وجعلتها تعيد التفكير من جديد في الشرق ومعناه وممكناته، فكان المدخل الثقافي في تفسير تلك الظاهرة هو ما جذب الكثير من الاهتمام بعد أن تبين عدم كفاية المداخل النظرية الأخرى التي تم الرهان عليها في الغرب، ومنها المدخل العسكري والأمني والمدخل المادي الاقتصادي، والمدخل التعليمي التربوي وغير ذلك

في ضوء هذا المنظور يمكن تمثيل العلاقة بين العلم والثقافة بعلاقة الابن والأم، فالثقافة هي الرحم الحي لتخصيب وميلاد ونمو العلم، فكيفما كانت صحة الأم يكون الابن سليماً أو سقيماً. ولا تطور ولا تقدم ولا تنمية الا بمعرفة وفهم قوانين الطبيعة والتاريخ والمجتمع وحركتها ولا يكون فهمها الا بازدهار الثقافة بوصفها قوة التاريخ الإبداعية وتتعين بذلك

التطور الدائم المستمر في العلوم والفنون والآداب ولا يكون ذلك الازدهار والتطور الثقافي إلا في بيئة حضارية متعافية بوصفها قوة التاريخ التنظيمية سياسة واخلاقا وتشريعا.

يُعدُّ القرن العشرين، قرن العلم والثورة العلمية بامتياز إذ إن ما شهده من أحداث ومتغيرات عاصفة وتحولات ثورية جذرية في مجمل البيئة الثقافية والاجتماعية للحضارة الراهنة بفضل الانتصارات المذهلة للعلم والثقافة العلمية إذ لم تتحقق أبداً منذ عصر الأهرامات تغييرات جذرية بهذه السعة والسرعة والفاعلية. هذا الحضور الطاغي للخطاب العلمي هو ما جعله ينبسط موضوعاً كلياً لعدد واسع من أنساق المعرفة المعاصرة، (الأبستيمولوجيا، وفلسفة العلم، وتاريخ العلم، وسوسيولوجيا العلم، والانثربولوجيا الثقافية، وعلم نفس العلم، والعلم المقارن، والميثودولوجيا أي علم المناهج، وأنثوية العلم، وأدب الخيال العلمي، وفلسفة اللغة والهرمونطيقا، والسبرناتيك وأخلاقيات العلم ..الخ). وربما كان العلم بمختلف أبعاده وعناصره وعلاقاته ورموزه المعرفية (النظرية والمنهجية) والتقنية (التكنولوجية والاداتية) والثقافية (المادية والمعنوية) هو مفتاح سر انتصار الحضارة الحديثة وتحولها إلى ما بات يعرف اليوم بـ(حقبة ما بعد الحداثة، فما هو العلم؟ وما هي الثقافة العلمية؟ وما الفرق بين الثقافة العلمية والثقافة غير العلمية؟ وما هي التنمية الثقافية العلمية؟ وكيف يمكن الرهان عليها في مواجهة التحديات الراهنة؟ وما الذي يفسر هذا التأثير الحاسم للعلم في الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة؟ وكيف يمكن فهم العلاقة التفاعلية بين العلم والثقافة في الحياة الاجتماعية؟ وما هي مخاطر انفصال العلم عن الثقافة؟

تعريف الثقافة بوصفها قوة إبداعية:

نعني بالثقافة هنا القوة الإبداعية في التاريخ وهي كل التطور الدائم المستمر في العلم والأدب والفن. بذلك يعد العلم عنصرا أساسيًا من عناصرها. بل هو ابنها وربيبها الأنضج. بيد أن مسألة نمو العلم وتقدمه وازدهاره ليست مسألة علمية بل تتعين في تلك المجالات الواقعة خارج العلم حيث يتأمل البشر طبيعة الكون والإنسان بأعمق معانيها وأشدها غموضا، وحيث يخلق الخيال الإنساني المؤسسات التي تسمح للأفراد بالاستمتاع على الدوام بالفضاءات المحايدة أو الأطر الميتافيزيقية والثقافية الأوسع التي تجري ضمنها أنماط العلاقات والممارسات والخطابات التي تتشكل في سياقها تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه وعن الآخرين تشكيلاً عميقاً، وهذا هو معنى الثقافة كمنظومة كلية مركبة من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه أو نفضله كأعضاء في المجتمع، فالثقافة السائدة في حضارة ما بوصفها أنموذجاً إرشادياً (باراديم) إما أنها تدعم قوى الإنسان العقلية والإبداعية أو تحد منها وتضيق فرص نموها وازدهارها.

إن وظيفة الثقافة هي: تحضير ولادة الفيلسوف والمفكر والعالِم والفنان والمؤرخ والفقيه والأديب والناقد والكاتب والخبير والمربي والسياسي وكل ما يتصل بتفتيح وتنمية قوى

الإنسان وقدراته ومواهبه العقلية والعاطفية والبدنية. وهذا هو تعريف كلمة (ثقافة) في (المعجم الفرنسي المنشور ١٩٣٣) إذ جاء فيه «إن كلمة ثقافة تطلق مجازاً على الجهد المبذول في سبيل تحسين العلوم والفنون وتنمية القدرات الفكرية ومواهب العقل والذكاء» وهي بهذا المعنى تتميز بجملة من السمات منها:

١- **التهيؤ:** كما هو الحال في التربية البدنية التي تهتم ليس بتمرين عضو معين من أعضاء الجسم الإنساني بل بتمرين وتهيئة الجسم كله وإكسابه اللياقة اللازمة للنشاط والطاقة والحيوية.؛ فالثقافة بوصفها استراتيجية للتنمية العقلانية المستدامة، تمنح الأفراد القدرة على استعمال جميع المعارف والمهارات المكتسبة لمجابهة الأوضاع المختلفة وحل المشكلات الجديدة؛ أي (الذكاء العاطفي) إذ (هي ما يبقى بعد نسيان كل شيء) والثقافة بهذا المعنى هي تجسيد لمفهوم (الهابيتوس) عند (بيير بورديو) بوصفها نسقا من الاستعدادات المُكتسبة بالتربية والممارسة الاجتماعية التي تحدد سلوك الفرد ونظرته إلى نفسه وإلى الآخرين والحياة و الكون، وهو أشبه ما يكون بطبع الفرد أو بالعقلية التي تسود في الجماعة، لتشكل منطق رؤيتها للكون والعالم. ووفقاً لهذا التصور، يعد (الهابيتوس) جوهر الشخصية والبنية الذهنية المولدة للسلوك والنظر والعمل، وهو في جوهره نتاج لعملية استبطان مستمرة ودائمة لشروط الحياة ومعطياتها عبر مختلف مراحل الوجود للفرد والمجتمع.

٢- **الاستيعاب:** ويعني استخدام المعرفة وتجريبها ذاتيا؛ لأن المرء لا يستطيع أن يتصرف بمعرفة ما إلا عندما يستوعبها ويجسدها في لغته وذهنه وخبراته وتجاربه الاجتماعية. فكل معرفة غير مستوعبة من الفاعلين الاجتماعيين تظل بالنسبة لهم خارجية وغريبة ومستبعدة من حياتهم. فالمعرفة لا تتحول إلى ثقافة إلا إذ توطنت في البنية الثقافية للمجتمع المتعين وصارت نسقًا أصيلًا في تفكيرهم وسلوكهم

٣- **الشمول:** بمعنى القدرة على الربط العميق بين المعارف المستوعبة والموضوعات والقضايا التي تبدو متباعدة، والنظر إليها برؤية كلية قادرة على الجمع بين أجزاءها في نسق فكري ثقافي منطقي واضح ومقنع.

٤- **الحكم:** بمعنى القدرة على التجرد والتجريد الذي يعني في العلم (الحلم) وفي الفن (الذوق) وفي الأخلاق (الضمير) وفي الحياة (الفهم) ذلك هو هدف وغاية كل تعليم وتعلم، فإذا كان التعليم يعلم المعرفة فإن التعلم يعلم الفهم وبدون أن يفهم الناس المعرفة التي يدعون امتلاكها تظل معرفتهم بلا قيمة ولا جدوى. والعلم هو أن تعرف كل شيء عن شيء محدد ومتخصص في علم من العلوم بينما الثقافة هي أن تفهم شيء عن كل شيء تعرفه وهذا هو كل ما يمكن انتظاره من الثقافة، وبدون هذا الـ(كل) لا وجود لشيء جدير بالقيمة والاعتبار. لا شك إن هناك علاقة عضوية بين العلم والثقافة، فالهدف الأساس من التعليم والتربية هو خلق الإنسان السوي الحر القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه وعصره بروح ايجابية وسعة أفق عقلانية مرنة وخلاقة تمنحه القدرة اللازمة على التعاطي

الفعال مع واقعه وهويته وتاريخ مجتمعه وقَيَمَه وتراثه في سياق حاضره وتحدياته المتغيرة باستمرار يجعله قادر على بناء مركب ثقافي علمي إنساني عقلاني جديد يمزج بين أصالة الماضي وحيوية الحاضر واستشراف المستقبل. وبذلك تكون الثقافة في جوهرها الإنساني التاريخي الإبداعي بوصفها ذلك الكل المركب الذي يشكل تفكيرنا وخيالنا وسلوكنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وهي فضلا عن ذلك أداة لنقل السلوك ومصدر دينامي للتغيير والإبداع والحرية وتهيئة فرص الابتكار والمنافسات والمبادرات الفردية، وهي مصدر للطاقة والإلهام والتنوع والاختلاف والشعور بالهوية والانتماء

من المعروف أن إي فعل أو سلوك إذا ما تكرار يصير عادة وإذا ما ترسخت العادة صارت ثقافة! فلماذا لم يتحول العلم والتعليم في المجتمعات العربية الإسلامية إلى ثقافة؟ وما الذي يفسر شيوع الخرافة والعنف والتعصب والتطرف والإرهاب بعد هذا المسار الطويل من نشوء المؤسسات العلمية العربية إذ تعد الجامعة مقوماً أساسياً من مقومات الدول العصرية، وركيزة من ركائز تطور المجتمعات البشرية وتحقيق تقدمها العلمي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فضلاً عن كونها بيوتاً للخبرة ومعقلاً للفكر والإبداع، ومركزاً لانتقال الإنتاج والمعرفة وتطبيقها وبؤرة للتحديث والتجديد والتنوير والتغيير، وهي أهم وأخطر مؤسسة حديثة وإستراتيجية في تاريخ الحضارة الإنسانية، وذلك لإسهامها الحاسم في نهضة وازدهار مشروع الحداثة العلمية العقلانية في عموم الكرة الأرضية، وأهمية الجامعة لا تعود إلى قيمة وظائفها الأساسية الثلاث: المتمثلة في نقل المعرفة خلال وظيفة التدريس، أو في إنتاج وتطوير المعرفة وظيفة البحث العلمي أو في استخدام وتطبيق المعرفة وظيفة خدمة وتنمية المجتمع فحسب، بل وإلى كونها تعد المثل الأعلى لمؤسسات المجتمع المدني الحديث والإدارة البيروقراطية الرشيدة، وذلك بما تمتلكه من بنية تشريعية دقيقة التنظيم وإدارة فنية أكاديمية كفؤة وعالية الجودة وقيم ومعايير، وهيئة أكاديمية علمية قانونية وثقافية وأخلاقية وجمالية وحضارية وإنسانية وعقلانية شاملة. وقد تأسست أول جامعة عربية في مصر عام ١٩٠٨م بجهود أهلية ثم تحولت إلى جامعة حكومية عام ١٩٢٥م (جامعة القاهرة حالياً)، وكانت جامعة دمشق التي تأسست عام ١٩٢٣م أول جامعة عربية حكومية حديثة وفي عام ١٩٤٢م أنشأت جامعة الإسكندرية وفي العام ذاته تأسست جامعة القرويين في مدينة فاس المغربية، ثم تأسست جامعة الخرطوم سنة ١٩٥٥م وجامعة بغداد في سنة ١٩٥٧م وتأسست أول جامعة في عدن ١٩٧٠م وفي عام ١٩٧١م تأسست جامعة صنعاء، وتأسست جامعة السلطان قابوس في مسقط عام ١٩٨٦ وهناك ما يربوا على ٧٠٠ جامعة عربية حكومية وخاصة، معظمها حديثة النشأة إذ نشأ أكثر من ٨٠٪ منها بعد عام ١٩٧٠م. ففي الجزائر ٦٦ جامعة وفي المغرب ٢٩ جامعة وفي تونس حوالي ٣٠ جامعة ومؤسسة تعليم عالي. وفي اليمن وحدها اليوم أكثر من أربعين جامعة فضلا المعاهد والمؤسسات التعليمية الأخرى. هذا التوسع الكمي في الجامعات اليمنية أفضى إلى إنتاج عشرات الآلاف من حملة الشهادات

الأكاديمية من النوع الاجتماعي، ورغم ما لهذا من ملامح إيجابية عامة في شيوع أهمية الجامعة وشهادتها، إلا أنه أفضى إلى جعل الجامعات أشبه بالمدارس التقليدية التي تمنح الشهادات لغرض البحث عن وظائف عمل ممكنة.

يصعب الحديث عن معايير الجودة والتمييز والأداء الأكاديمي والقيم المهنية بمعزل عن المؤثرات السوسوثقافية التي تأتي من خارج أسوار الجامعة، ونحن نعلم أن مسألة النمو العلمي وإزدهار العلم والتعليم هي مسألة ليست علمية بل سياسية حضارية وثقافية، فكذلك يمكننا القول، أن مشكلة معايير الجودة والتميّز ليست مشكلة فنية أو إدارية أو أخلاقية أو ذاتية يمكن حصرها وحلها داخل جدران الجامعة الأربعة أو في أداء عضو هيئة التدريس فقط بل هي مشكلة أكثر تعقيداً مما يمكن تخيله، أنها تتصل بنسق هائل من المستويات والعناصر الحضارية والتاريخية والفكرية وكل المنظومة الثقافية للمجتمع التقليدي أو الحديث، إذا إن الجامعة بحكم حداثة ميلادها في بيئتنا الثقافية التقليدية ظلت عرضه للاختراق من البنى والقوى والقيم والممارسات والعادات والمعتقدات التقليدية التي تشن حرب لا هوادة فيها ضد هذه المؤسسة الوليدة بدون وعي في معظم الأحيان وبوعي أحياناً أخرى، وهذه هي سنة من سنن الحياة الاجتماعية إنه الصراع الأبدي بين القديم والحديث بين التقليد والتجديد بين المألوف وغير المألوف بين القوى والمصالح الاجتماعية السياسية الاقتصادية المتنافسة المتصارعة المختلفة الاستراتيجيات والغايات والأهداف صراع بين المعروف والمجهول بين الطبع والتطبع، بين العادات التي تشكلنا والعادات التي نريد أن نشكلها هذا يعني أن التعليم الجامعي على صلة وثيقة بالسياق التطوري التاريخي للمجتمع وتراثه وقيمه ومؤسساته وبنيته وتقاليده من جهة وبالمؤسسة الأكاديمية الحديثة وتاريخ نشأتها ومستوى تقدمها من جهة أخرى. إذ يصعب فهم وتفسير تخلف مخرجات جامعتنا بمعزل عن تخلف المجتمع والجامعة ككل. فالالتزام بأنماط معينة للعلاقات الاجتماعية يولد طريقة معينة في النظر إلى العالم، كما أن رؤية العالم بطريقة معينة تبرر نموذجاً منسجماً معها للعلاقات الاجتماعية. ومن المعرف أن أفكار الناس ونظراتهم للعالم وإلى أنفسهم والآخرين وكيفية تجسيد الحياة فيه نابعة من علاقاتهم الاجتماعية ففي مجمع لا يمتلك ثقافة مؤسسية ولا ثقافة قانونية ولا يزال يخضع لهيمنة العلاقات التقليدية كيف يمكن أن تكون فيه المؤسسة الأكاديمية وقيمها لا سيما إذا تركت مكشوفة لأعدائها التقليديين بلا حماية وبلا رعاية من الدولة والمجتمع وبلا سلطة خارجية أو ذاتية وفي ثقافة لا يزال بعض الناس فيها ينكرون الطبيعة وقوانينها والإنسان وعقلة وحريته وغير ذلك الظواهر والموضوعات التي هي الموضوع الأول والأخير لكل العلوم الطبيعية والإنسانية وينكرون العقل الإنساني كأداة ومعيار للمعرفة العلمية بل وينكرون الإنسان بوصفه كائن كرمه الله وأكرمه بالعقل وبالقدرة على التمييز والمعرفة ومن ثم فهو يستحق بأن يعيش حياته بحرية وكرامة وأمن وأمان هذا الإنسان الذي هو الموضوع الجوهري لكل العلوم

الإنسانية والاجتماعية وفي ثقافة رسمية وشعبيه لا زال مفهوم العلم فيها يثير الالتباس وغير متفق عليه، بل لا زال الاعتقاد الراسخ، بأن العلماء هم (علماء الدين أو علما الشريعة ولا أحد سواهم)، وأن العلم هو العلم الشرعي النافع في الدار الآخرة لا في هذه الدنيا الفانية، وفي مجتمع لا زالت فيه الثقافة السحرية والأسطورة والخرافية واللاهوتية تهيمن على كل الأفق الثقافي والفكري عند الخاصة والعامة في مجتمع ليس من بين مثله العليا للنجاح العلم والتعليم والتفوق العلمي والكفاءة الشخصية والأداء المتميز والمواهب الفردية بل القرابة، العشائرية القبلية والعصبية والنفوذ والمحسوبية والرشوة والوساطة والانتهازية، والابتذال والنفاق والمزايدات السياسية الأيديولوجية... يقول (جون وجاردنر) في كتابة (التميز الموهبة والقيادة): "إذا أعدت الرثاثة والهرجلة مجتمعاً ما فليس من السهل على أي عضو في ذلك المجتمع أن يبقى بمعزل عن التأثر بها في سلوكه الخاص والعام. على مدى أكثر من قرن من التعليم للعلوم الحديثة لم يتحول العلم إلى ثقافة عامه في مجتمعاتنا العربية الراهنة فما هو سبب ذلك ياترى؟

الفهم الملتبس للعلم:

إن مفهوم العلم نفسه مازال محاطاً بكثير من اللبس والغموض والتشويش، وذلك بسبب الخلط المضطرب بين الاستعمالات المختلفة للكلمة. يورد ابن منظور، «علم: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام .. والعلم نقيض الجهل، علم علما، ورجل عالم وعليم من قوم علماء والعلم بمعنى (الفقه والتفقه)، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه. والعلم بمعنى (اليقين)، وهكذا تعددت معاني كلمة (علم) في الثقافة العربية الإسلامية لتشمل حقولا كثيرة ودلالات مختلفة، منها: العلم بمعنى التأويل والإيمان، وقد ألمح ابن خلدون في تصنيفه للعلوم إلى «أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين: العلوم الشرعية النقلية والعلوم العقلية» ورغم ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من إشارات إلى العلوم العقلية؛ مثل (تعليم اللهِ آدمَ الأسماء كلها)، وتعليم (سيدنا داؤود استعمال الحديد)، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تأبير النخيل (أنتم أعلم بأمور دنياكم)؛ إلا أن (توبي أ. هف) ذهب إلى «إن بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام كانت ذات طبيعة جعلت طلب العلوم العقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك» وفي عصرنا الراهن مازال الجدل محتدماً بشأن كلمات (العلم والعالِم والعلماء) التي نطلقها على كثير من أنماط المعرفة لا يشملها مفهوم (Science) العلم بالمعنى المتواضع عليه في المعرفة المعاصرة وكشفت دراسة حديثة أن الغالبية العظمى من خريجي الجامعات الذين جندتهم الحركات الإسلامية المتطرفة في صفوفها، درسوا الهندسة والعلوم الطبيعية والطب، ولا أحد منهم تقريبا تخرج في كليات العلوم الاجتماعية والآداب وجاء في الدراسة التي أعدها خبير في المجلس الثقافي البريطاني، أن نصف من سمتهم «الجهاديين» -أي ما يعادل ٤٨,٥٪ منهم- الذين انخرطوا في تلك الحركات

في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تلقوا نوعا من التعليم العالي، ٤٤٪ منهم حاصلون على درجات في الهندسة. وترتفع هذه النسبة بين الجهاديين الغربيين إلى ٥٩٪ وأشارت دراسة أخرى إلى أن من بين ١٨ مسلما بريطانيا تورطوا في هجمات إرهابية، درس ثمانية منهم الهندسة أو تقنية المعلومات، وأربعة آخرون العلوم والصيدلة والرياضيات، في حين تلقى واحد فقط دروسا في العلوم الإنسانية الا يعني هذا بأننا ازاء ظاهرة اجتماعية تستدعي إعادة التفكر في أزمة العلاقة بين العلم والثقافة في المجتمعات العربية الإسلامية الراهنة؟ وهذا ما يجعلنا في حاجة إلى رؤية مقارنة مع المجتمعات التي تشبهنا إذ ذاك يكون السؤال هو: ما الذي يفسر نهضة اليابان والصين والهند والنمور الآسيوية الأخرى منذ بداية القرن العشرين، بعد أن كانت واقعة تحت نير الاستعمار الغربي وتنويعاته المختلفة، مثل ما كانت عليه المنطقة العربية تماما؟ لماذا نهضت الشعوب الشرق آسيوية في الشرق الأقصى والأدنى بينما ظل الشرق الأوسط كما كان متخلفا وها هو اليوم بات يشكّل نقطة سوداء في بلاد الشرق والعالم أجمع؟ هذا في حين كانت أوضاع الدول العربية بالقياس الى البلدان الشرق آسيوية الناهضة اليوم مثل كوريا وسنغافورة وماليزيا وتايوان بل حتى الهند والصين واليابان، كان وضع بعض الدول العربية وقدراتها الاقتصادية أفضل بكثير من وضع الدول الناهضة قبل نهضتها طبعا؟ لماذا تعثرت حركة النمو والتنمية واليقظة والنهوض في البلاد العربية الإسلامية وأين يمكن لنا العثور عن الأسباب التي يمكنها تفسير هذا الأمر؟!

ثمة من يرى أن وراء نهضة الشعوب الشرق آسيوية أسباب ثقافية، وأن الفلسفات والعقائد الفكرية الشرق آسيوية مثل الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية والجيانية بما تمتلكه من منظومة قيمية إيجابية تحث على السلام والتناغم والانسجام والإيثار والتضحية والإخلاص بالعمل والنزعة الجماعية ونبذ الأنانية وقمع الشهوات والانفعالات العنفية والنزعة السلامية وحرية الذوات الفردية في ممارسة الخبرات الدينية ونبذ التعصب والتطرف والتكفير ومن ثم تعايش المذاهب والاعتقادات والطوائف والأفكار والأديان بكل سلاسة وتقدير واحترام في الدولة الواحدة اذ يوجد في الهند وحدها أكثر من ألفي طائفة دينية متعايشة. لقد أثارت نهضة الشرق الآسيوي حَفِيظة أوروبا الغربية وجعلتها تعيد التفكير من جديد في الشرق ومعناه وممكناته، فكان المدخل الثقافي في تفسير تلك الظاهر هو ما جذب الكثير من الاهتمام بعد أن تبين عدم كفاية المداخل النظرية الأخرى التي تم الرهان عليها في الغرب، ومنها المدخل العسكري والأمني والمدخل المادي الاقتصادي، والمدخل التعليمي التربوي وغير ذلك، في السنوات الأخيرة بدأت الدوائر الأكاديمية والثقافية الأمريكية والأوروبية تعيد النظر والتفكير بأطروحة (ماكس فيبر)، البروتستانتية وروح الرأسمالية، في محاولة لتفسير وفهم الحالة الشرقية، وهذا ما يفسر حضور مفهوم القيم الشرق آسيوية الذي أخذ يزدهر اليوم في الفضاء الثقافي العالمي المعاصر. كتب محمود محيي الدين النائب الأول لرئيس البنك الدولي ما يلي «اعتاد الاقتصاديون في شرحهم لتطور الناتج الاقتصادي وثروات الأمم، أن

يستعرضوا ما يعرف بعناصر الإنتاج الثلاثة، وهي الأرض والعمل ورأس المال، ويضيفون إليها عنصراً رابعاً فيما يعرف بالتنظيم، أو دور المطور الذي يحشد هذه العناصر لينتج بكميات منها ما ينتجه. وتجد هذا متداولاً ومستقراً في أدبيات الاقتصاد، منذ ألّف الاقتصادي الاسكوتلندي الأشهر، آدم سميث، كتابه العمدة عن ثروة الأمم، في عام ١٧٧٦. وعلى المنوال ذاته صدر أول كتاب باللغة العربية في الاقتصاد الحديث، وهو كتاب عرّبه الشاعران حافظ إبراهيم ومطران خليل مطران، وصدر عام ١٩١٣، عن أصل باللغة الفرنسية، للاقتصادي بول لوروا بوليو.استقر هذا النهج التقليدي في تفسير تطور اقتصادات الأمم، حتى جاءت آراء جديدة تنتقد هذا التفسير الذي لا يستوعب تطورات اقتصاديات ليس لها حظ يذكر من الموارد الطبيعية أو رأس المال، ولكنها بزغت وأصبحت في مقدمة سباق الأمم» (ينظر، . محمود محيي الدين، عن عموم الناس والأفكار وأشياء أخرى، الشرق الأوسط، ٣١ أكتوبر ٢٠١٨ مـ رقم العدد ١٤٥٨٢) وكان من أهم من انتقد النهج التقليدي في التحليل الاقتصادي، الاقتصادي الأميركي (بول رومر)، الذي فاز بجائزة نوبل في الاقتصاد، لما أسهم به، فيما عرف بنماذج النمو الذاتي أو الداخلي. وشاركه الفوز بالجائزة الرفيعة، (ويليام نوردهاوس)، الذي طور نماذج تطبيقية تربط بين تغيرات المناخ والاقتصاد والأفكار. وخلاصة النظرية الجديد أن النمو الاقتصادي «يرجع إلى تطور رأس المال البشري. وأن فضل التطور يرجع إلى عموم الناس؛ ليس باعتبارهم مجرد عناصر عمل فحسب؛ بل لأنهم قوة دافعة بأفكارهم، وما اكتسبوه من معارف في الارتقاء بحياتهم، من خلال حسن استخدامهم للموارد الاقتصادية المتاحة. ألم نرَ هذا التطور الاقتصادي الهائل لدول مثل سنغافورة وكوريا، ومن قبلهما اليابان، وهي اقتصاديات فقيرة الموارد الطبيعية، ولكنها غنية برأس المال البشري الذي أُحسن تطويره، بالاستثمار في التعليم المتميز والرعاية الصحية المتكاملة. إذن فعناصر الإنتاج وفقاً لهذا المنهج الجديد تتمثل في الناس، والأفكار، ومجموعة من الأشياء الأخرى قد تشمل - على أوجه من تباين في الأهمية - عناصر الإنتاج التقليدية» هذا معناه أن للثقافة بوصفها البنية الكلية للمجتمع تضم كل ما تفكر فيه ونفعله ونفضله أي التفضيلات القيمية والعلاقات الاجتماعية وأنماط وأساليب الحياة !والنَّاس يسلكون بحسب ما يعتقدون. وسؤال العلم الاجتماعي ليس هو ماذا يفعل الناس ويعتقدون ويقولون؟! ولكن لماذا يفعلون ما يفعلونه في حاضرهم المباشر؟ ولماذا يعتقدون ما يعتقدونه ويقولون ما يقولونه؟! إنها الثقافة ياسادة التي تشّكل الهابيتوس الذي يُنمّط سلوك الناس وحياتهم على هذا النحو أو آخر. وفِي الثقافة مفتاح السر والمعنى. والثقافة تتكون من كل ما يشكّل سلوكنا وأفعالنا وعاداتنا وتقاليدنا وقيمنا وتفضيلاتنا الأخلاقية والجمالية وكل ما نفكر ونحلم فيه

لم تدمر الحروب الطائفية الناشبة في معظم المجتمعات العربية المؤسسات العامة فحسب، بما فيها المؤسسة الأكاديمية، بل ودمرت النفوس والعقول، وسوف تترك آثارًا غائرة في صميم البنية الاجتماعية برمتها. فعلى مدى السنوات الماضية عمت الفوضى العارمة، حيث تم

اغتيال العشرات من أساتذة الجامعات اليمنية في عدن وصنعاء وتعز وحضرموت، والكثير من أعضاء الهيئة التدريسية والتدريسية المساعدة اضطروا للهروب من جحيم الحرب وتداعياتها إلى بلدان مختلفة، ومن بقي منهم يعيش حياة شديدة البؤس والقسوة.

دور المثقفين:

ربما كان علينا إعادة التفكير في مفهومي الثقافة والمثقف في هذه اللحظة الراهنة من تاريخ الحضارة الإنسانية، فنحن في عصر العولمة حيث ينكمش الزمان والمكان الى حدٍّ بتنا فيه نعيش فيما يشبه قرية سبيرنتية، كل شيء بات متاح للجميع المعرفة والعلم والآداب والثقافة بكل صورها وأنماطها، لم يعد للمثقف تلك السلطة التقليدية والدور الاجتماعي الذي كان في زمن مضى، والمثقف بمعناه (الجرامشي)، (المثقف العضوي) بل وحتى بصيغة (جان بول سارتر) المثقف العارف الكلي صوت من لا صوت لهم، الملتزم نقد كل قوى الهيمنة وشروطها والدفاع عن القوى الضعيفة المُهَيْمن عليها، ولعلك تتذكر كتابات (ادواراد سعيد) في المثقف والسلطة وتمثيلات المثقف، اذ عرف المثقف بانه الشخص الذي لا يكف عن مناوشة كل سلطة هيمنة بما في ذلك سلطة الراي العام وسلطة الثقافة ذاتها، من المؤسف أن العولمة بالمعنى الواسع للكلمة قد كان لها أثرا خطيرا علينا إذا جعلتنا نتوهم اننا نتشارك مع العالم المتحضر عالمنا الراهن بكل خيراته المادية والرمزية وبسبب هذا الوهم الخطير، اهملنا التفكير بحقيقة وضعنا وطبيعة مشكلاته الحيوية، وأهمها على الإطلاق، مشكلة الانتقال من التقليد إلى الحداثة، ففيما أخذ العالم يتحدث عن مرحلة ما بعد الحداثة منذ عقود كل شيء عدنا يشير الى تراجع مهول عن النزر اليسير من قيم وصور الحداثة والتحديث التي تحققت للجيل الذي سبقنا، وهذا ما ادركه (صموائيل هنتجتون) في دراسة له عن التغيير الى الخلف في ثقافة الشرق الأوسط.

الان يجرى الحديث عن المثقف المتخصص في نسق ومجال محدد. أذ إن هناك تغييرا جذريا للحياة وأساليبها في المجتمعات المتعافية، فالحالة الراهنة بالنسبة للمثقف العربي هي حالة وضع الصدمة، اذ مازال الارتباك سيد الموقف، ثمة تداخل وتشابك مضطرب بين قوى الهيمنة العالمية والمحلية والإقليمية، وحينما يرهن مثقفا مفترضا يساريا، أمر تأسيس وبناء الدولة في بلده بقوى الهيمنة العالمية فاعلم أزمة المثقف ودوره بلغة الصميم، وفي سبيل مقاربة المثقف الذي نريد لابد لنا ان نتعرف على الثقافة وماهيتها

تؤكد نظرية الثقافة على أهمية التعددية الثقافية كمعطى جوهري وحيوي للحياة الإنسانية، اذ إن الفرد في المجتمع يتفق مع بعض الناس في كل النواحي كما يتفق مع بعض الناس في نواحٍ أخرى، ولا يتفق مع أي من الناس في نواحٍ ثالثة. وتهتم علوم البيولوجيا والفسيولوجيا بدراسة الجانب الأول، كما تهتم علوم النفس بدراسة الجانب الثالث، اما الجانب الثاني فيشكل مجال اهتمام ودراسة علوم الاجتماع والانتروبولوجيا والجغرافيا الثقافية؛ فالأسلوب الذي يسير عليه الناس في حياتهم وسلوكهم وقيمهم وطرق تعبيرهم

وفنونهم وآدابهم، إنما يعتمد على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع مع بعض الآثار التي تتركها العوامل الجغرافية والبيولوجية، وهنا تبرز أهمية المنظور الثقافي كأفق منهجي لا غنى عنه في دراسة الثقافات المحلية واكتشاف الاختلافات والمميزات والتشابهات بينها. وإذا ما انطلقنا من تعريف الأمريكي (روبرت بيرستد) للثقافة بأنها «ذلك المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع» ويميز (ميشيل توميسون) ومؤلفو كتاب (نظرية الثقافة) بين ثلاثة انساق متواشجة في بنية الظاهرة الثقافية هي:

أولا: التحيزات الثقافية: التي تشتمل على القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس.

ثانيا: العلاقات الاجتماعية: التي تشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم ببعض

ثالثا: أنماط وأساليب الحياة: وهو الناتج الكلي المركب من التحيزات الثقافية والعلاقات الاجتماعية

وتؤكد نظرية الثقافة على أهمية التعددية الثقافية لأن الأمة التي تتعدد فيها وتتوازن أنماط الحياة تصبح أقل تعرضاً للمفاجآت وأكثر قدرة على الاستجابة للمواقف الجديدة، ومن ثم فإن النظم السياسية التي تشجع تنوع أنماط الحياة المتعددة أقرب للنجاح من تلك التي تقمع التنوع الضروري. وتؤكد النظرية أن التعددية جوهرية، لان اختلاف الناس في هذا العالم هو الذي يمكّن أنصار كل نمط حياة من أن يعيشوا بطريقتهم بحيث تصبح معيشة الناس في نمط واحد نوعاً من (اليوتوبيا) المهلكة، لأن أنصار كل نمط حياة يحتاجون للأنماط المنافسة، سواء للتحالف معها، أو الشعور بالذات في مقابلها أو حتى لاستغلالها لمصلحتهم. ما يحدث اليوم للأسف الشديد، هو حضور خطاب السياسة المكرور الممجوج المنمط الذي نعرفه ونعلم كل تفاصيله ورموزه وكلماته وأهدافه، والذي يقدم نفسه في كل مكان بذات التشكل وذات الصورة وذات اللغة وذات الوجه المتجهم المتشابه في أدق التفاصيل؛ وحينما تتضخم السياسة وتنشر خطابها الإيديولوجي الدوجمائي في عموم الأفق الثقافي تنحسر أو تغيب كل الخطابات الأخرى - العلمية والأدبية والغنية، ذلك لان السياسة - كما هو معروف - لا حد لرغبتها في التمدد والانتشار والاستحواذ والتوسع في كل الفضاءات، فالسياسة تكره الفراغ، والسياسية من حيث هي ممارسة للقوة كما يقوم (ميشيل فوكو)، ليس لها من حدود غير ذاتها، أنها لا تريد ولا تحب إلا ذاتها، وهذا هو قانون القوة، فالقوة ليس لها من هدف غير القوة والمزيد منها ومن ثم فهي سعي دائم لامتلاك وقولبة كل ظواهر الحياة الطبيعية والاجتماعية الثقافية والاجتماعية - المادية والرمزية، سعي لا يكل من أجل جعل كما ما هو خارجها يدمج في الداخل، داخل بنيتها الفعلية والمتخيلة، ذلك في سبيل تعزيز قوتها، فحينما تحشر جميع العناصر الفاعلة في حياة المجتمع: الأرض والسلطة والثروة والنفوذ، والاقتصاد والدين والأدب والعلم والثقافة ... الخ حينما تتمكن السياسية من هضم وإعادة قولبة لكل عناصر القوة الواقعية أو المتخيلة في بنيتها الكلية المتوحشة،

ينام الوحش بأمان، حينها تغدو السياسة كما يقول (دللوز): «هي التي تقول ولا تتكلم» إذ يصبح كل خطاب أو قل أو تعبير حتى وإن ارتدى أو لبُس أزياء الأدب والعلم أو الثقافة، فهو يكرر البنية ذاتها، ويكرر الخطاب ذاته بألفاظ وتعابير مختلفة. فلم يحدث من قبل في كل تاريخنا أن يكون للسياسة مثل هذا الحضور الطاغي في الممارسة والفكر والأدب، لقد ظل هامش ولو ضئيل- حتى في أحلك الظروف- للخطابات الأخرى الأدب والعلم والفن، وكان الأدباء والمثقفون في الماضي- يستطيعون التحليق والغناء في فضاءات أكثر رحابة وحرية وفاعلية، فلم يكن المثقفون في أي وقت من الأوقات جزءا من مؤسسات السلطة السياسية كما هو الآن بل ظل ينافح في سبيل الحفاظ على قدر محدد من المسافة المحترمة بين السلطة والأدب والثقافة- مسافة محددة وواضحة وفاعلة ومحترمة وكانت السلطة تسعى إلى مراضاة الثقافة وتمنحها ما تستحقه من التقدير والاحترام والهيبة والجلال.

وحتى لا نحمل المثقف اليوم ما ليس وظيفته من المهم أن ننظر الى المشهد بكليته، فنحن في لحظة انحسار لسلطة ومكانة المثقف المحترم وبروز وعاظ السلاطين وإنصاف المثقفين الذين يعرضون بضاعتهم في سوق المسيطرين على مقاليد القوة والسلطة والثروة، ثمة طفح هائل من السطحية والخفة والعته والابتذال وغياب الإحساس بالمسؤولية، وتلك ثقافة تم تنميطها على مدى العقود السابقة من الخراب المنهجي لكل شيء طيب وجدير بالتنمية والرعاية، والناس على دين ملوكهم، والقوة هي التي تشكل المجتمع وليس العكس، ونحن نشكل مؤسساتنا ثم تقوم هي بتشكيلنا، فكيف ما كانت نكون!

اليمن والصراع على السلطة:

ربما كانت المعضلة الجوهرية في المجتمعات التقليدية المساواتية الانقسامية تكمن في الصراع الدائم على السلطة السياسية بعكس المجتمعات التدرجية حيث كل طبقة من طبقات المجتمع تعرف حدود قدرتها وحقوقها. في المجتمعات المساواتية التي يعد فيها كل فرد من أفراد المجتمع المتعين على درجة متساوية مع معظم افراد مجتمعه في الحسب والنسب العشائري والقبلي أو القروي المناطقي بمعنى لا أحد أفضل من غيره. كلنا عيال تسعة! كما يقولون. في هذا المجتمع المساواتي عند الوضع الأصلي تكون البنية الانقسامية جزءا جوهريا من نسيجه التقليدي طبعا هويات ومرجعيات دائرية اشبه بالقنبلة العنقودية (عائلات، عشائر، قبائل، قرى، مناطق، جهات، طوائف، مذاهب، ملل، نحل، حارات، شوارع، مدن..الخ) من اشكال التجمعات السكانية التي توجد بجانب بعضها بعضا لا مندمجة ولا منفصلة. تجمعها رغبة العيش المشترك في أرضها التي وجدت نفسها تنتمي اليها وتحمل أسمها. وقد كانت ولا زلت السلطة السياسية مشكلة عويصة في كل مكان وزمان ولا توجد غير ثلاثة خيارات مجربة لضبطها وتداولها بحسب عالم الاجتماع الفرنسي (ماكس فيبر) وهي: الوراثة كما هو حال الممالك والسلطنات التي تتوارث الملك والحكم بين الأجيال بوصفها حقا طبيعيا. والقوة بالقهر والإخضاع كما هو حال الغزاة والطغيان

والاستبداد بمعنى الحكم بقوة السيف والساعد والثالثة هو الديمقراطية العلمانية وهي أفضل الطرق المجربة أو التقنيات المبتكرة لحل معضلة السلطة بالتداول السلمي في معظم الدول المستقرة. وانا أتأمل في حال مجتمعنا اليمني لاحظت ظاهرة غريبة جدا إلا وهي إن مشكلة السلطة وإدارة الشأن العام هي أخطر المشكلات التي تحتدم حولها المعارك منذ أقدم العصور ومع ذلك لا زلنا نتعامل معها بلا جدية ولا اهتمام ولا مسؤولية حقيقية. حتى المعايير الشكلية البسيطة التي ممكن أن تخفف من حدة الصراع على السلطة وتفننها - أقصد المساواة في توزيع الفرص بين الفعاليات والحساسيات الاجتماعية القائمة بحسب الحجم والقوة والوزن والمكانة وبحسب الشهادات العلمية والتخصص والكفاءة والخبرة والسمعة النجاح المهني وغيرها من المؤشرات والمعايير الشكلية حتى هذه يتم تدميرها بغباء لا مثيل له يقود الجميع إلى التهلكة دائما في دورات متكررة من الحروب والنزاعات والتمردات والثورات المرهقة

والمتتبع للتاريخ اليمني سوف يجد أن الصراع على السلطة والثروة قد شكلا العامل الأساس في الصراع بين العصبيات والقوى التقليدية المتنازعة على الاستئثار بعناصر وأدوات القوة، السلطة والحكم والثروة والأرض والعقيدة والهوية وكل فرص العيش الممكنة، وفي سياق ذلك المحور الملتهب للعصبية السلطوية بمعناه الخلدوني كان ومازال يجري توظيف الدين والطائفية والمناطقية والقبلية بطرق وأشكال مختلفة في شمال اليمن وجنوبه؛ ولأن اليمن بلد فقير وإمكانياته محدودة جدا فإن الحصول على الثروة قد تطلب أن يقوم على قهر وسلب الفئات المنتجة وحرمان الفئات الضعيفة والمهمشة، وبهذا أصبحت (السلطة) تسلطية عنفية تستخدم أداة للقهر والظلم والحرمان وبؤرة للصراع الدائم غير أن بناء وتأسيس الدول لا يقوم ولا يدوم إلا على أساس الشراكة المجتمعية التي تقوم على قوة الحق؛ حق كل مواطن في أرضه ووطنه بغض النظر عن مواقفه واتجاهاته السياسية والأيديولوجية، والدين لله والوطن للجميع! وسبب خراب اليمن يكمن في أن النخب السياسية الغبية التي جعلت من حق القوة قاعدتها الأساسية، إذ إن كل من استولى على السلطة سعى لأقصاء الآخرين منذ ١٩٦٢ في صنعاء الجمهورية اليمنية ومنذ ١٩٦٧ في عدن الجمهورية الشعبية بِنِسَب متفاوتة من العنف والقسوة إلى أن جاء من يقصي جميع الإقصائيين، جاء من غياهب التاريخ وأعلن نفسه مالك اليمن وما عليها تحت راية طائفية من خارج التاريخ، اسمها (أنصار الله). وبين العنف والسلطة علاقة جدلية تفاعلية تبادلية ؛ فهما منفصلان ومتصلان في آن واحد حيث تتأسس الثانية على توقف الأولى والعنف هو أولا قبل- سياسي لأنه يشير الى الوضعية التي تسبق ظهور سلطة سياسية ما، تلك هي المشكلة التي استقطبت اهتمام كل من (هوبز وروسو وكلاستر) وهو _ العنف_ ثانياً ضد - سياسي لأنه ينذر بدون توقف بانهيار النظام السياسي وهو أخيرا ما بعد - سياسي لأنه يبعد السياسية عن السلطة وينقل مركز القوة والنفوذ إلى دوائر أخرى خارج المجال السياسي وقواعد لعبته اذ تأخذ

صور شتى؛ اقتصادية وتقنوية وبربرية وفوضوية تجعل تحقق المواطنة في المجتمع امرأ مستحيلا. ورغم هذا التعارض بين السلطة السياسية والعنف من حيث الماهية، فإن العنف يجد نفسه تجريبياً مقترناً دائماً بالسلطة ومتداخلاً معها اذ يشغل مكانة داخلها، وداخل السياسة بما هي علاقات قوى تنافسية واستراتيجيات مصالح متصارعة وهذا ما يظهر بقوة في مقدمة ابن خلدون وفي أعمال (نيقولا ميكافيللي)، الذي كان أول من حدد تقديرهما أي «العنف والسلطة» بأكبر قدر ممكن من الدقة لا سيما في كتابه الشهير الأمير انجيل السياسية الحديثة إذ إن تقدير كمية العنف والسلطة هو ما يؤسس في نظره السياسة والمجال السياسي المستقل بقوانينه الخاصة ويتعلق الأمر هنا بمقدار ما تحتاجه السلطة السياسية من العنف للحفاظ على السياسية، دون الخطأ في تقديره لأن الإفراط في مقدار العنف يلغي السلطة فعلاً ويهدد السياسة والنظام السياسي بالتفكك والاضمحلال وبالزوال ، وهذا هو معنى العبارة (لا تدوم الدول إلا بعدل صحيح وأمن راسخ وأمل فسيح) بحسب الماوردي، الإحكام السلطانية

إن السلطة يجب إلا تظهر بمظهر من يستخدم العنف العاري بل بمظهر القوة القائمة بدقة على الحق وهذا هو ما قصده ماكس فيبر، بالشرعية العقلانية للسلطة السياسية أو «بالعنف المشروع» حتى في الحالات الصعبة لا تستطيع السلطة في أية حالة أن تستسلم للعنف العاري _بل لا يجوز لها ذلك أبدا حتى لو امتلكت القدرة والاستطاعة على استخدام العنف المفرط الاعتباطي وغير المبرر وإلا فإنها ستنفي ذاتها كسلطة سياسية وتفقد مشروعيتها العقلانية العامة ، لهذا فالعنف ترياق مسموم بالنسبة للسياسة - حسب أفلاطون- «فارموكان» فيه الداء والدواء، إذ إن كل عنف باعتباره ملجأ للضعيف وليس للقوي يكشف عن ضعف (عن مرض ما) عن خلل خطير في الجسم السياسي. كما إن اللجوء غير الملائم إلى العنف يدخل السلطة مرة أخرى في وضعية (حرب الجميع ضد الجميع السابقة على إقامة السلطة السياسية) حسب (هوبز) تلك الحالة التي تتساوى فيها كل الكيانات بالقوة والأهلية وتضيع فيها الشرعية والحق الشرعي وهكذا يحول العنف جهاز السلطة المبني على أساس الحق الى جهاز للعنف والقوة والقمع والقهر، جهازا يدخل في حرب مع أجهزة أخرى للعنف ويلغي وضع تعاليه السياسي بوصفه سلطة على كل ما يقف في وجهها ومن ثم تقويض مشروعية قوتها وشرعية وجودها.. ان العنف الذي تلجأ أليه السلطة يظل دوماً محفوفاً بالمخاطر مثلما هو الشأن بالنسبة للعنف الذي يهاجمها. وترى كل من الأمريكية (حنة ارندت وكلود لوفور) بأن العنف يفضي إلى اختفاء السياسة في الأنظمة الشمولية، وإحلال العنف قوة تسلطية وحيدة محل السلطة السياسية يسيران بنفس الوتيرة ويتلازمان بحيث أن حضور أحدهما يعني غياب الآخر لأن حلول العنف محل السلطة يجعل الأخيرة ضائعة المعالم وغير متعرف عليها وعلى شرعيتها السياسية، وبذلك كان الطغيان والاستبداد اللذان يستندان على قوة العنف والقهر والإجبار

هـو تسـلطية وليـس سـلطة حقيقيـة إذ لا تكـون المبـادئ (المداخـل والمخـارج) مسـتبطنة مـن طـرف أولئـك الذيـن يخضعـون لـه أي المحكـومين بـه فـضلاً عـن ذلـك فهـو لا يتوفـر على دعامـة إيديولوجيـة سـوى إرادة المسـتبد الحسـنة أو السـيئة ومثـلما أكـد افلاطـون بـأن المسـتبد بوصفـه سـجين عـالم باطنـي لا يسـتطيع السـيطرة عليـه يعيـش مفتونـاً باضطـراب رغباتـه واهوائـه الخاصـة بـه، إذ إن الاسـتبداد شـكل سـياسي يوجـه فيـه العنـف الباطنـي للمسـتبد السـلطة ويحيلهـا الى تسـلط، وهكـذا نتعـرف في هـذا التحليـل على أحـد أوجـه الـ «بـدون- أسـاس» الـذي أشـار اليـه (هيدجـر) في كتابـه (مبـدأ العلـة) فالقـوى الاسـتبدادية لا تعـرف لماذا ولا بواسـطة مـاذا هـي جائـرة انهـا هـي نفسـها تسـقط أولاً ضحيـة هـذا الجـور قبـل أن تـصير اسـتبدادية، إنهـا لا تعلـم بتاتـا أن العنـف «بـدون لماذا» «بـدون علـة» «بـدون- أسـاس» يسـتحيل تبريـره بـل ينكشـف بعـده باطـل وجـور لا يجـب السـكوت عليـه. إن السـلطة التـي تتخـذ مـن العنـف الخيـار الوحيـد في حـل مشـكلاتها وأزماتهـا تعمـل على تقويـض ذاتهـا وتهديـد حيـاة مجتمعهـا، اذ يسـتحيل تبريـر مشروعيـة العنـف في كل الحـالات، فـإذا لم يكـن العنـف اسـتثناء تسـتدعيه ضرورة قاهـرة وفي لحظـة مباغتـة للحفـاظ على حيـاة النـاس ومصالحهـم وتـأمين سـعادتهم ومسـتقبلهم ضـد أي تهديـد خارجـي مؤكـد، فـإن السياسـة والتسـلط السـياسي تضـع نفسـها على شـفير الهاويـة، يصـف (برايـان وينكـر) اليمـن-في كتابـه (مـيلاد اليمـن الحديـث)- بأنـه بلـد ذو تاريـخ طويـل للأرض وقـصير للدولـة. وليـس في توصيـف كهـذا مبالغـة، فالتاريـخ السـياسي للـبلاد تأريـخ جهـوي تمحـور حـول الجغرافيـا، فهـذه -مـن خلال مـا فرضتـه مـن موقـع معـزول وتضاريـس متنوعـة وصعبـة وبمـا منحتـه مـن مـوارد شـحيحة- ظلـت ومـا زالـت تتمتـع بسـطوة على الحقـل السـياسي، وكانـت قـادرة دومـا على التدخـل فيـه والتـأثير عليـه، واسـتطاعت ان تكـون الطـرف الأقـوى في العلاقـة التـي جمعتهـا بالحيـاة السياسـية وبالدولـة، وأن تكـون البوابـة التـي تمـر عبرهـا علاقـة الأفـراد والمجتمـع بـهما. فبسـبب موقعـه الـقصي، ومـا يوفـره هـذا الموقـع مـن منعـة، أصبـح اليمـن فردوسـا مرغوبـا للمتمردين والخـارجين على دولهـم، ومقصـدا مفـضلا للدعـوات الدينيـة المتسيسـة منـذ القـرن منـذ قـدوم أبرهـه الحبشي وجيشـه مـرورا بسـيف بـن ذي يـزن إلى الإمـام الزيـدي الهـادي الـرسي واخيرا أسـامة بـن لادن

إن الدولـة بوصفهـا مؤسسـة المؤسسـات الوطنيـة الجامعـة هـي البيـت السـياسي المـشترك للمواطـنين القاطـنين في مـكان وزمـان متعيـنين بينـما السياسـية هـي اللعبـة التـي يمارسـها سـكان البيـت في الصراع على عنـاصر القـوة؛ السـطلة والثروة والوظيفـة العامـة والجـاه والتمثيـل ... الـخ. فـاذا لم تأسـس الدولـة على أسـاس تعاقـدي دسـتوري مـدني يكفـل حقـا متسـاويا لجميـع المتعاقديـن في العيـش الكريـم والحصـول على الفـرص فمـن العبـث الحديـث عـن السياسـة ونتائجهـا. اليمنيـون عجـزوا عـن تأسـيس بيتهـم السـياسي المـشترك (الدولـة) فصـاروا يتصارعـون في الشـارع على الجثـة المتعفنـة. وصراع الشـوارع لا حكـم عليـه ولا معيـار لـه. حـرب الجميـع ضـد الجميـع!

لا شك أن أزمة النخب العربية واليمنية تحديدا هي ملمح من ملامح الأزمة البنيوية المستفحلة في صميم المجتمع العربي التقليدي الذي لا زال خاضعا لهيمنة المجال السياسي على كل المجالات الأخرى(الدين والاقتصاد والمجتمع المدني والثقافة والتربية والعدالة والفكر والفلسفة والفن والأدب والعلم) وكل شيء تقريبا إذ «ولد المجال السياسي العربي الإسلامي مع ميلاد الصرح الإمبراطوري المقدس وبحكم هذا الميلاد ظل السياسي يستمد شرعيته من خارج مجاله، من الديني أو النموذج المثالي لشرعية الخلافة التي كانت موضع صراع عنيف منذ البدء وبهذا كانت حركات المعارضة في الإسلام تتخذ صورة تضامنات عمودية تحركها شبكات مغلقة بين أفراد متذررين (بمعنى متفردين أو ذوات فردية) يهتاجون في سبيل إعادة بناء مسرح أخر للسياسة « وبذلك كانت المدينة الإسلامية تفرض نفسها بوظيفة مزدوجة: عسكرية ودينية قدمت كل العناصر القابلة للانفجار والانقسام عبر النخب الدينية وطوائفها ومن خلال إعادة تشكيل العصبيات في المدن والأرياف، بصيغة تضامنات عمودية: طائفية ومذهبية وموالاتية» تلك هي الصيغة التي قال بها (ماكس فيبر وغولدزيهر وجوزيف شاخت وارنست) وغيرهم بتنويعات متعددة؛ صيغة الدور المركزي الذي لعبته (السلطة المحاربة) في بناء الإمبراطورية الإسلامية»

أن الحلف المقدس بين السياسي والديني في المجتمع العربي وهيمنتهما على كل الفضاءات الاجتماعية الأخرى قد أفضى إلى تجفيف المنابع الطبيعة لتخصيب ونمو النخب المدنية والثقافية والفكرية التي تحمل على عاتقها وظيفة تنمية وتنوير المجتمع المدني بوصفه عددا من المجالات والعلاقات المتعددة؛ العلاقات الحميمية، في المجال الخاص، مجال الأسرة، مؤسسة القرابة التقليدية الأولى، والعلاقات السياسية للحياة الاجتماعية المشتركة، المجال العام، مجال السياسة والسلطة، وعلاقات الاقتصادية حيث المنافسة والربح والاحتكار مجال السوق، والعلاقات المدنية «حيث يجد الإفراد فرص للتعبير عن مقدراتهم وتطلعاتهم ومواهبهم واهتماماتهم الحرة، مجال العلاقات المهنية والحرفية الإبداعية وغير الإبداعية في المجال المدني، حيث تختفي علاقات القرابة الحميمية، وعلاقات السياسة التسلطية، وعلاقات السوق التنافسية الربحية» هنا يمكننا التعرف على المجتمع المدني في الرحم الحي لتخصيبه، ولكن هل يمكن للمجتمع المدني ونخبه الفاعلة أن يتخصب وينمو ويولد ويزدهر من ذاته ولذاته وبدون قوى وشروط فاعلة؟ والدولة المدنية التي تقف على مسافة واحدة من جميع المواطنين الذين ينتمون اليها هي أهم شروط وقوة في ولكن هذه الدولة (مؤسسة المؤسسات) كانت ولازالت هي الغياب الكبير في المجتمع العربي الإسلامي يقول: توني .أ.هب «إن الولايات القانونية في العالم الإسلامي لم تنشأ مطلقاً لأن المسلمين كلهم أعضاء في الأمة الواحدة ولا يجوز فصل المسلمين إلى جماعات يتميز بعضها عن بعض شرعاً» وهناك شبه إجماع بين الدارسين بأن المجتمع العربي ما زال يعيش نمط العلاقات البطريكية بمؤسساتها التقليدية التضامنية الميكانيكية العمودية، ولم يستطع الانتقال إلى

نمط العلاقات الحديثة بمؤسساتها التضامنية العضوية العريضة. ويمكن رصد الفروق بين المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث في جملة من السمات منها قدرة المجتمع الحديث على تنميط علاقات تشاركية عضوية بعكس المجتمع التقليدي الذي يحدد مواقع الناس بمعايير تقليدية معزولة عن بعضها وعن المركز. بل إن الحداثة الديكورية في المجتمعات التقليدية يمكن أن تزيد الصراعات البينية بين الجماعات التقليدية وبينها مجتمعة ضد الجماعات الحديثة، هكذا كتب (صاموئيل هنتجتون) «إن الجماعات العرقية والدينية التي عاشت بسلام، جنبا إلى جنب في مجتمع تقليدي، تصبح مدفوعة إلى صراع عنيف نتيجة للتغيرات والتوترات واللا مساواة المتولدة عن الحداثة الاجتماعية والاقتصادية»

والخلاصة أن هيمنة المجال السياسي على المجال الديني في الحضارة العربية الإسلامية وتوظيف هذا الأخير لمقتضيات الشهوات الإيديولوجية قد عرقل ميلاد ونمو النخب الفاعلة بعكس الحال في واقع الحداثة الغربية التي ولدت من فك الاشتباك بين المجالين، المقدس والمدنس، وتأسيس الدولة العلمانية التي مهدت السبيل لظهور ادوار اجتماعية تستدعي حضور النخب الفعالة في كل مجال من مجالات الفعل والنشاط الاجتماعي بالمعنى البوردوي (نسبة إلى بورديو) وبإزاء هذا الإخفاق العربي الشامل في تأسيس المجال السياسي المستقل سرعان ما تتحول المعارضة إلى ضرب من الهيجان الطائفي والتعصب العدائي العنيف. وهذا ما يفسر انبعاث هذه الموجة الكاسحة من خطابات الهويات القاتلة التي آخذت تشيع في المجتمعات العربية الإسلامية اليوم على نحو خطير ومثير للحيرة والفزع (شيعية، سنيه، مسيحية، عربية كردية، في العراق وسوريا. ومسيحية، شيعية، سنية، درزية، في لبنان. وزيديه، حوثية، اثنا عشرية، سنية، سلفية، عشائرية، جهوية في اليمن، ولغوية أثنية عربية، أمازيغية' إسلامية في الجزائر، ومسيحية إسلامية، جهوية في السودان وعشائرية طائفية مناطقية في ليبيا..الخ) يحتدم كل هذا في فضاء ثقافي نفسي مشحون بعنف مادي ورمزي، وهستيريا عصابية جماعية عدائية شديدة التحريض والانفجار (روافض، نواصب خوارج، مجوسية، صفوية، قاعدة، أنصار الشريعة، شيعية، حزب الله، أنصار الله، داعش والنصرة ..الخ) هذا فضلا عن الترسيمات التقليدية للطوائف والمذاهب (سنة، شيعة، خوارج، روابض، والمذاهب الخمسة، المالكي والحنبلي والشافعي، والحنفي والزيدي، وما تناسلت منها من فرق وملل ومذاهب ونحل لا تعد ولا تحصى في عالمنا العربي منها: الوهابية والحوثية وغيرهما. والسؤال الملح هنا هو ما الذي جعل هذا التنوع الهوياتي في المجتمع العربي الإسلامي يتحول إلى شر مستطير، بينما هو في مجتمعات كثيرة أخرى مصدر قوة ودليل صحة وعافية كما هو الحال في الهند والصين وروسيا وأمريكا واستراليا وكندا وجنوب أفريقيا وغيرها من الدول التي تضم طيفا واسعا من الهويات (ديانات، أقليات، أعراق، أثنيات، لغات، طوائف، ملل، نحل، ومذاهب وما لا يعد ولا يحصى من الجماعات الثقافية المتنوعة) وهكذا جاء الإسلام السياسي المعاصر ليكرر ما حدث منذ فجر الإسلام

وقاد إلى الانقسام ولكن بصور أخرى مختلفة نسبيا في الملامح والقسمات في ظل غياب الدولة المدنية الرشيدة «لا يوجد أي مجتمع تحترم فيه القواعد تلقائيا» ووظيفة السلطة هي الدفاع عن المجتمع من نقائصه الخاصة، ومن التهديدات الآتية من خارجه. فكيف هو حال السلطة والسلطان في مجتمعاتنا العربية الإسلامية الآن؟ ولطالما استشهدنا بحديث الخليفة الراشد عثمان بن عفان: (أن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) والعدل أساس الملك، ولا تدوم الدول إلا بعدل صحيح وأمن راسخ وأمل فسيح، حسب الماوردي

من الروضة والمدرسة تكون البداية:

لما كان العلم والتعليم هو العنصر الجوهري في كل ثقافة كي يتغير العالم، يحتاج المرء إلى تغيير الطريقة التي يصنع بها العالم. هذه هي الرؤية والممارسة العملية التي يتم عبرها إنتاج وإعادة إنتاج الجماعات «بحسب بورديو فكيف يتم النظر إلى العلم في المجتمعات العربية الإسلامية؟

في الواقع مازال مفهوم العلم في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة محاطاً بكثير من اللبس والغموض والتشويش، وذلك بسبب الخلط المضطرب بين الاستعمالات المختلفة للكلمة. يورد ابن منظور «علم: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام .. والعلم نقيض الجهل، علم علما، ورجل عالم وعليم من قوم علماء، والعلم بمعنى (الفقه والتفقه)، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه. والعلم بمعنى (اليقين)، وهكذا تعددت معاني كلمة (علم) في الثقافة العربية الإسلامية لتشمل حقولا كثيرة ودلالات مختلفة، منها: العلم بمعنى التأويل والإيمان، وقد ألمح ابن خلدون في تصنيفه للعلوم إلى «أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين: العلوم الشرعية النقلية والعلوم العقلية» ورغم ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من إشارات إلى العلوم العقلية؛ مثل (تعليم اللهِ آدمَ الأسماء كلها) وتعليم (سيدنا داؤود استعمال الحديد)، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم – في تأبير النخيل (أنتم أعلم بأمور دنياكم)؛ إلا أن (توبي أ. هف) ذهب إلى «أن بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام كانت ذات طبيعة جعلت طلب العلوم العقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك» وفي عصرنا الراهن مازال الجدل محتدماً بشأن كلمات (العلم والعالِم والعلماء) التي نطلقها على كثير من أنماط المعرفة لا يشملها مفهوم (Science) العلم بالمعنى المتواضع عليه في الابستيمولوجيا المعاصرة. كتب ريموند وليامز: «قد تبدو كلمة Science علم - الآن - بسيطة جداً، ولكنها خضعت لمسار تاريخي واجتماعي طويل حتى استقر معناها منذ منتصف القرن التاسع عشر حينما صرّح عالم الكيمياء الإنجليزي هول عام ١٨٤٠ معربًا عن قلقه بشأن معنى العلم والعلماء، قائلا: «نحن في أمس الحاجة إلى اسم يصف من يدعي العلم Science بشكل عام بما يجعلنا نصفه بالاسم scientist عالِم»، ويضيف وليامز: «بحلول عام ١٨٦٧ تم العثور على الوصفة الواثقة الواعية المستوعبة لجدة الاستعمال والمعنى الذي منحه

إياها الإنجليز بمعنى علم مادي وتجريبي مستبعداً الثيولوجيا والميتافيزيقا» على هذا النحو اكتسب مفهوم العلم مسارًا متعرجًا في تحولات المفهوم وسياقات المعنى؛ ففي بواكير العصر الوسيط «كانت الكلمة (scientia) تطلق على المعرفة النسقية المكتسبة بالدراسة المنتظمة، وقد استخدمها فرنسيس بيكون بمعنى المعرفة التي تضم التاريخ والفلسفة ومبادئ الأخلاق واللاهوت تمييزاً لها عن كلمة (art) التي تعني فن بمعنى مهارة وحرفة. وقد ظلت الكلمة تطلق على حقل الدراسة النظرية النظامية حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ جرى استبعاد مجالات معرفية أساسية وأصيلة مثل الفلسفة والأدب والتاريخ واللاهوت لينحصر معنى الكلمة على العلوم الطبيعية التجريبية (الفيزياء والكيمياء والأحياء) وهذا هو ما حفز عالم الاجتماع الفرنسي (أوجست كونت) إلى محاولة تأسيس علم اجتماع وضعي يستلهم منهج العلوم الطبيعية. وهكذا تم تصنيف العلوم في الابستيمولوجيا المعاصرة إلى: العلوم الطبيعية البحتة بوصفها علوماً حقيقة، والعلوم الإنسانية الاجتماعية وتأتي في المرتبة الثانية في سعيها إلى اكتساب جدارة المعرفة العلمية، والعلم هو نوع من المعرفة، لكن ليس كل معرفة علماً. ويذهب (روبرت موتون) إلى «أنه إذا كان مصطلح (علم) يعبر عن حقائق مختلفة للغاية، فإن علم اجتماع العلم يهتم بالصيغة التي ترى العلم بوصفه مجموعة قيم ثقافية تؤثر في النشاطات المعرّفة أو (المصنفة) علمية» وفي قاموس أكسفورد المختصر جاء: «العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بنسق مترابط من الحقائق المبرهنة، بصيغة قوانين عامة، ومسلمات مستخلصة عبر طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في ذات التخصص» في ضوء ما تقدم ولأغراض هذا البحث يمكن تعريف العلم : بمنظومة الأفعال والأقوال التي يمارسها العلماء في بحث ودراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية ومحاولة تفسيرها وفهمها والكشف عن حقائقها المحتملة على الدوام، وذلك باستعمال مجموعة من الطرق والأدوات المنهجية التجريبية والاستدلالية العقلانية بالتزام قيم معيارية موضوعية ومجردة قابلة للقياس والنقد والتقييم. وفي ذات السياق يمن لنا تعريف مفهوم العلوم الإنسانية Human Science: إذ أن مصطلح العلوم الإنسانية يتضمن العلوم الاجتماعية «فالكثيرون وعلى رأسهم كلود ليفي شتراوس، يطابقون بين مصطلحي (Human Science وSocial Sciences) وترى (يمنى طريف الخولي) أن مصطلح العلوم الإنسانية الذي بدأ يسود في السنوات الأخيرة يبدو أصوب؛ لأن الإنسان هو المحور لهذا النمط من الدراسات. وربما بدأ التمييز بين العلوم الاجتماعية والإنسانية على نحو جاد في السنوات الأخيرة، وهذا هو ما فعله عالم النفس الأمريكي (جيروم كيغان) في الثقافات الثلاث؛ إذ حاول تحديد نطاق كل من العلوم الثلاثة: الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في جملة من المحددات والسمات في قائمة بيانية أسماها (مقارنة الثقافات الثلاث من خلال تسعة من النطاقات). إذ حدد العلوم الاجتماعية بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثربولوجيا وعلوم اللغة وعلم السياسة وعلم الاقتصاد، أما العلوم الإنسانية فهي بحسب

زعمه تضم الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي والجمالي والدراسات النسوية وعلم الأخلاق والدراسات الثقافية. تجدر الإشارة إلى أن جيروم صنف العلوم من منظور علاقاتها بالمنهج العلمي؛ إذ «يتفاوت العلماء في درجة اعتمادهم على ثلاثة أنماط من الهياكل العقلية حال وصفهم أو تفسيرهم للظواهر أيًّا كانت: المفاهيم والمعادلات الرياضية، وشبكات التعبير اللغوي، والوصف القائم على تنظيم المدركات الحسية» وتلك هي الأدوات المنهجية التي يستعملها كل من أراد أن يشتغل بأحد العلوم الثلاثة. في الوقع لا توجد حدود قطعية بين أنساق المعرفة العلمية الثلاثة، فجميع العلوم هي إنسانية في آخر المطاف بمعنى أنها من إبداع الإنسان ومن أجل سعادته، وربما كان التمييز بينها يأتي لضرورة منهجية.

والخلاصة يمكن تعريف العلوم الإنسانية بأنها: تلك العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً وتضم العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية والاقتصادية، فضلا عن الفلسفة والأنثربولوجيا والتاريخ والسياسة والقيم واللغة والعلم والدين والأدب والثقافة عامة. إن نظرة متأملة في تراثنا التربوي التعليمي العربي الإسلامي التقليدي تجعلنا نؤكد بإن الأطر القيمية التربوية والتعليمية المعرفية والذهنية التي كانت ولا تزال سائدة في حياتنا الراهنة لم تعد قادرة على القيام بوظيفتها أمام تحديات ومتغيرات الحياة الراهنة بل غدت عديمة الفائدة وشديدة الخطر بما تحمله من قيم تربوية وتعليمية عفى عليها الزمن .إذ ما زالت المدرسة عندنا عبارة عن مصنع لإنتاج البضاعة ذاتها منذ أبو الحامد الغزالي وسفينة الصحراء - أي إنتاج المجتمع القديم ذاته لان نُظمنا التربوية والتعليمية لم تتغير لتواكب متغيرات الحياة النامية باستمرار ولم تفسح المجال للتلاميذ والطلاب في أن يفهموا ما يعرفونه جيدا. إن كل شاب مجبر خلال عشر أو عشرين سنه من حياته على البقاء جالسا في أحسن وقت من يومه في قاعة مكتظة اكتظاظا شبه دائم أمام لوح الأسود لكي يتابع دروسا فرضتها عليه إدارة بعيدة عنه ولا تمت بصلة تذكر إلى اهتماماته السيكولوجية والثقافية والفكرية والاجتماعية والبيولوجية أو حتى الاقتصادية والبيئية- في هذا التعليم الذي لا يعني شيئا للتلاميذ والطلاب يجعلهم يلجأون إلى الحلم والشرود الذهني أو النوم، إذ نجدهم ليسوا حاضرين حقا وفعلا في قاعة الدرس الا باجسامهم أما حضورهم الذهني فلا يكون إلا بمعدل دقائق في اليوم، لحظة دخولهم القاعة وخروجهم منها فقط. غير أن هدوءهم وخجلهم المصطنع في مقاعد الدراسة خوفا من العقاب فضلا عن كبت فضولهم واسئلتهم ورغباتهم مجبرين لا مختارين يتحول فيما بعد الى «غباء ارتكاسي» وسلوك منحرف وجنوح خطر إذ إن طاقة المراهقة فيهم وقد كبتت وتركت دون رعاية وتنمية وتربية، تجعلهم يصرفون النظر عن الثقافة الجادة لحساب ثقافة تحتية أو سلبية عنيفة كما تشهد بذلك نتائج التعليم التقليدي الراهنة في حياة مجتمعاتنا العربية واجيالها الشابة

وتجدر الاشارة الى أن التربية السليمة لا تقوم في تكوين بشر بحسب أنماط جاهزة ونماذج مشتركة ومسبقة التصور والتصميم، بل تكمن مهمتها الأساسية في الإفراج في كل

طالب وطالبة عما يحول دون أن يكون ذاته/ ذاتها الإنسانية الناضجة، وفي أن تخوله أن يحقق ذاته بحسب خصائصه الفردية وقدراته واهتماماته ومواهبة الشخصية العميقة التي تختزنها ذاته/ ذاتها في أعماقها وكل ما تحتاجه هو منحه الفرصة والحريّة الكافية للتعبير عنها وتنميتها، وعندما نبلغ أعمق ما في الذوات الفردية للناشئة فإن ذلك العمق هو ما سيكون بنائيا خلاقا وناميا وجديرا بالقيمة والتربية والتنمية نحو الأفضل نفعاً وعدلا وجمالا وخيرا وكمالاً. وحينها تستطيع الجامعة أن تحقق مثلها الأعلى في تنمية وتنوير العقول إذ إن المثل الأعلى للجامعة لا يتمثل في منح الطلاب المعرفة بقدر ما يتمثل في منحهم القدرة على فهم واستخدام المعرفة التي اكتسبوها في سنوات حياتهم العشرين الأولى وبذلك تكون وظيفتها الجوهرية -الجامعة- هي العمل على تحويل معرفة التلميذات والتلاميذ إلى قدرة الرجال والنساء المعول عليهم في بناء وتنمية المجتمعات في حين أن نظام التربية والتعليم التقليدي بمناهجه وأدواته وقيمه البالية هو من يعمل على هزيمة الاهتمام والفضول والدهشة والرغبة في المعرفة والانتباه وإحباط فطرة الإنسان في حب الاستطلاع والتساؤل والحلم والخيال والتخييل ومثل هذا النمط من التعليم الذي يقوم على الحفظ والتلقين لا ينتج إلا أناسا ممتثلين أو متمردين أو منحرفين خطرين على ذواتهم وعلى أسرهم وعلى مجتمعاتهم وعلى التعليم ذاته ويعمق الغربة والاغتراب بين الافراد وحياتهم وعصرهم وزمانهم. وحين نضغط على الأطفال التلاميذ والطلاب والطالبات أو نثقفهم بثقافة الطاعة والسكون والأدب يبقوا صامتين منفذين للتعليمات بروح سلبية لا مبالية بدلا من تشجيعهم على طرح الأسئلة وتنمية قدراتهم ومواهبهم بحرية وهنا يتحول الفضول الطبيعي إلى سلبية ورغبة في تجنب الآخرين، كما يتعود الأطفال على تخطي واهمال أسئلتهم وأجوبتهم النابعة من ذواتهم الحرة وبدلا من ذلك يسعون إلى توجيه الاسئلة والاجابات التي يعتقدون إن الآباء والامهات وكبار السن والأساتذة يودون سماعها منهم، وما أن يصلوا مرحلة الجامعة حتى يكون الطفل الموجه داخليا قد أصبح البالغ الموجه خارجيا وهكذا يحل الحذر والسلبية محل الفضول والرغبة في التساؤل، كما يحل تدوين ملاحظات افكار الآخرين محل التفكير النابع من الذات، كما يحل التيقن محل التفكير. وحين نرهق الولد بما لا يسد أي رمق أو لا يشبع جوع، أو يبل عطش، وحين نخنق تلك الحاجة العجيبة للتلميذ إلى المعرفة والفهم والاستكشاف والنشاط واللعب، أي بكلمة حين نخنق الحاجة إلى أن ينمو، أي يصير انسانا، لا طفلا كبيرا- والشرير هو طفل كبير أسيئت تربيته- وقد أكدت الدراسات العلمية إن كبت الحاجات الفطرية للفضول والتساؤل والفهم والاكتشاف عند الأطفال والمراهقين حد اختفاءها الظاهر لا يعني محوها واختفاء أثرها من حياتهم الراشدة بل يعمد اللاوعي الى تأجيلها أو إزاحتها واستبدالها وتمظهرها على نحو لا إرادي جملة من مظاهر السلوك الشاذ أو غير السوي كحلم اليقظة والشرود الذهني، والانحرافات الشاذة، والمشاغبة واللامبالاة والكسل والتسيب والتسرب والخوف والاتكال والكذب والنفاق والجبن والتهور

والغش والجنوح والإدمان والتطرف والسطحية والابتذال وازدواج الشخصية واضطرابها وغير ذلك من الأفعال وردود الأفعال غير السوية الضارة بالحياة الاجتماعية. وهكذا يجب أن نعي ونفهم إن سيكولوجية الولد المكبوته تثأر لنفسها بطرق ووسائل سلبية وخطيرة، كما تفعل دينامية الاقتصاد المكبوت في الدول الشمولية في ازدهار السوق السوداء ومنافذ التهريب والرشوة والفساد. يقول عالم النفس (كارل ساغان): «أن كل فرد يولد مزود بحب الاستطلاع والدهشة مما حوله، غير أن المجتمع يتولى هزيمة ذلك في نفسه، فالأطفال الصغار الذين سيكتشفون العالم المحيط بهم ببطئ ويوجهون التساؤلات البريئة، حول، مثل لماذا لون العشب أخضر؟ أو اين الله ومن هو الله؟ ومن اين ولدت؟ وكيف ولدت؟ يواجهون بردة فعل غاضبة وصارمة وزاجرة كأن يقال لهم لا توجهوا أسئلة غبية؟ أو أستغفر الله العظيم! أو تسخر منه أو تحملق في وجهه أو تضربه .. الخ. وهذا ما يعيق تفتح فطرته الطبيعية ونموها وتنميتها عقلانيا وإنسانيا. ومعلوم إن الكائنات البشرية تولد بغريزة فطرية بالفضول وحب الاستطلاع والتعجب والدهشة والتساؤل المؤدي إلى الاستكشاف والمعرفة والفهم وتقوم التربية السلمية على تنمية هذه القدرة الفطرية وتهذيبها. يقول (جون هوليت): «ليس علينا أن نجعل البشر أذكياء، فهم يخلقون كذلك بالفطرة وكلما علينا أن نفعله هو التوقف عن تربيتهم وتعليمهم الغباء الذي نحمله»!

ختاما: نكرر التأكيد إن التغيرات المتسارعة في مختلف مناحي حياة المجتمع اليوم تجعل مفاهيم التربية والتعليم التقليدية موضع تساؤل: إذ كيف نعلّم التلاميذ بينما هناك نظريات ومناهج وموضوعات يكون قد عفا عليها الزمن قبل أن يترك التلاميذ مقاعدهم في المدرسة ويضيف أننا نعيش لحظة تاريخية فارقة تجعل التغييرات في الأشخاص عاجزة عن ملاحقة سرعة التغيرات الاجتماعية والثقافية والعلمية المتسارعة في زمن العولمة الذي يشهد انفجار الثورة العلمية والتقنية الرقمية على نحو لم يسبق له مثيل، إن المعارف العلمية والقيم التربوية في عصر العولمة وانكماش الزمان والمكان. عصر العلم والميديا الجديدة تعيش حالة من التغيير والتبدل بوتيرة متسارعة في بضع ساعات فقط. وهذا يعني إن تحديات الحياة المعاصرة لا يمكن مواجهتها إلا بالاستجابة الإيجابية الفعالة وتلك الاستجابة لا يمكن أن تكون إلا بتغيير جذري في أدوات ومحتويات ووسائل وطرق التربية والتعليم العتيقة. فمجتمع الغد أما أن يكون في الروضة والمدرسة أو لا يكون. وهكذا يظل سؤال التربية الملح كما كان في كل العصور. ماذا نريد أن نكون؟!.

(*) رئيس قسم الفلسفة كلية الأداب جامعة عدن.

السياسات الثقافية المستدامة
رؤية استراتيجية لتحقيق التنمية الشاملة
العاصمة عدن انموذجا

أ. عمرو محمد عقيل الإرياني
عضو المجلس التنفيذي لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين

مقدمة:

تلعب الثقافة دورًا محوريًا في تشكيل هوية المجتمعات، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتحفيز التنمية المستدامة. فهي ليست مجرد انعكاس للهوية الوطنية أو مظهر من مظاهر الرفاهية، بل تمثل قوة دافعة للنمو الاقتصادي، والتطور الفكري، وتعزيز الوعي الجمعي. في عالمنا اليوم، أصبحت الثقافة عاملاً حاسمًا في صياغة استراتيجيات التنمية الشاملة، حيث تسهم في دعم الصناعات الإبداعية، وتوفير فرص العمل، وتعزيز السياحة الثقافية، إلى جانب دورها الحيوي في نشر قيم التعددية والانفتاح

وفي هذا السياق، تبرز مدينة عدن بوصفها إحدى المدن التي تمتلك إرثًا ثقافيًا غنيًا، حيث شكلت عبر تاريخها الطويل مركزًا للحراك الثقافي والفكري والتجاري، وكانت نقطة التقاء للحضارات المختلفة. تميزت عدن بتنوعها الثقافي وتقاليدها العريقة في المسرح، والأدب، والموسيقى، والفنون البصرية، مما جعلها نموذجًا للتفاعل الحضاري والانفتاح على العالم. إلا أن هذا الزخم الثقافي يواجه اليوم تحديات كبرى، نتيجة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها المدينة في العقود الأخيرة التي أثّرت على بنيتها الثقافية وأضعفت دور مؤسساتها الثقافية. ومن أبرز هذه التحديات، غياب السياسات الثقافية المستدامة، وضعف التمويل، وتدهور البنية التحتية الثقافية، مما أدى إلى تراجع النشاط الثقافي والفني، وغياب استراتيجيات واضحة لحماية التراث ودعم الصناعات الإبداعية

في ظل هذه التحديات، تصبح الحاجة ملحّة لوضع رؤية استراتيجية شاملة للسياسات الثقافية في عدن، تهدف إلى إعادة إحياء المشهد الثقافي، وتعزيز دوره في التنمية المستدامة. فالثقافة ليست قطاعًا معزولًا، بل جزءا لا يتجزأ من المنظومة التنموية، حيث يمكن أن تسهم في تحقيق النمو الاقتصادي من خلال الصناعات الإبداعية، ودعم ريادة الأعمال الثقافية، وتحفيز السياحة الثقافية، بالإضافة إلى دورها في تعزيز الاستقرار الاجتماعي وبناء مجتمعات أكثر انسجامًا وتكاملًا

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم إطار شامل للسياسات الثقافية المستدامة في عدن، من خلال تحليل الأسس النظرية لهذه السياسات، واستعراض أبرز التحديات التي تواجه القطاع الثقافي في المدينة، وتقديم استراتيجيات وآليات تنفيذية تضمن تفعيل الثقافة

كمحرك للتنمية. كما تسعى إلى تقديم توصيات عملية لتعزيز التكامل بين الثقافة والتنمية المستدامة، وتفعيل دور الفاعلين الثقافيين، والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة لتعزيز انتشار الثقافة وتوثيقها

إن بناء سياسات ثقافية مستدامة في عدن لا يقتصر فقط على حماية التراث أو دعم الفنون، بل يشمل أيضًا تفعيل الثقافة كأداة للتنمية، وتعزيز دورها في بناء مجتمع أكثر ازدهارًا وانفتاحًا. فبدون سياسات ثقافية واضحة ومستدامة، ستظل الجهود الثقافية فردية ومبعثرة، وستفقد عدن واحدة من أهم مقوماتها كمركز حضاري وتاريخي. لذا، فإن هذه الدراسة تسلط الضوء على ضرورة إدراج الثقافة في الخطط التنموية، وربطها بمختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، لضمان بيئة ثقافية متجددة تلبي تطلعات الأجيال القادمة، وتعيد لعدن مكانتها كمركز ثقافي نابض بالحياة.

أولا: الإطار النظري للسياسات الثقافية المستدامة

مفهوم السياسات الثقافية وأهميتها:

تشير السياسات الثقافية إلى مجموعة من الخطط والإجراءات والتشريعات التي تهدف إلى توجيه وتطوير القطاع الثقافي لتحقيق أهداف اجتماعية واقتصادية وتنموية. تستند هذه السياسات إلى مبدأ الحوكمة الثقافية الذي يعزز الشراكة بين الدولة، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني، ويضمن تكافؤ الفرص في الوصول إلى الثقافة والاستفادة منها في ظل التحولات العالمية، أصبحت السياسات الثقافية المستدامة ضرورة ملحة لمواكبة التطورات الرقمية، وتعزيز الاقتصاد الإبداعي، وحماية التنوع الثقافي. تعتمد هذه السياسات على التخطيط طويل الأمد، والتكيف مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، لضمان استدامة الأنشطة الثقافية وجعلها عنصرًا فاعلًا في التنمية

٢. أهداف السياسات الثقافية المستدامة:

ترتكز السياسات الثقافية المستدامة على أربعة محاور رئيسة، تسهم في تحقيق التنمية الثقافية المتوازنة:

أ. تعزيز الهوية الثقافية والترابط الاجتماعي:

- دعم الفنون الشعبية والتراث الشفهي كوسيلة للحفاظ على الذاكرة الجمعية وتعزيز الانتماء الوطني.
- تشجيع المبادرات الثقافية المجتمعية التي تعزز الحوار بين الأجيال والمجتمعات المحلية.
- إدماج الثقافة في التعليم من خلال مناهج دراسية تعكس التراث المحلي وتحفّز الإبداع.

ب. دعم الصناعات الثقافية والإبداعية:

* توفير بيئة تشريعية محفزة لدعم رواد الأعمال الثقافيين والفنانين المستقلين.
* تسهيل الوصول إلى التمويل، من خلال برامج دعم موجهة للصناعات الثقافية، مثل السينما، والنشر، والفنون الرقمية
* تشجيع الابتكار في القطاع الثقافي، من خلال دمج التكنولوجيا الحديثة في الإنتاج الثقافي والفني.

ج. ديمقرطة الثقافة وإتاحتها للجميع:

- تعزيز مبدأ العدالة الثقافية عبر نشر المراكز الثقافية في مختلف المناطق، خاصة في المناطق المهمشة.
- دعم الوصول المجاني أو منخفض التكلفة إلى الفعاليات الثقافية، وتشجيع الأنشطة التفاعلية التي تشرك الجمهور في العملية الإبداعية.
- تعزيز دور المكتبات العامة، والمتاحف، والمسارح كفضاءات مفتوحة للمجتمع.

د. تكريس الثقافة كأداة للتنمية المستدامة:

* إدماج الثقافة في الاقتصاد المحلي، عبر تطوير السياحة الثقافية ودعم الصناعات الحرفية
* تعزيز استخدام الثقافة كأداة لحماية البيئة، من خلال الترويج للتراث الأخضر والأنشطة الثقافية الصديقة للبيئة
* دعم المشاريع الثقافية التي تساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مثل برامج التوعية البيئية عبر الفنون، أو تعزيز المشاركة المجتمعية من خلال المسرح التفاعلي.

٣. السياسات الثقافية في السياق العدني:

في مدينة عدن، التي تمتلك تاريخًا ثقافيًا غنيًا ومتنوعًا، فإن تطبيق سياسات ثقافية مستدامة يتطلب مراعاة عدد من الخصوصيات المحلية، مثل

* التنوع الثقافي الناجم عن دور عدن كميناء تجاري عالمي وتأثيرها في تشكيل الهويات الثقافية المختلفة
* أهمية إعادة إحياء المراكز الثقافية والمسارح التي لعبت دورًا محوريًا في المشهد الثقافي العدني
* تطوير استراتيجيات تكاملية بين الفنون، والتعليم، والاقتصاد، لتعزيز الإبداع الثقافي كقوة محركة للتنمية

تُعدُّ السياسات الثقافية المستدامة حجر الأساس في بناء مجتمعات حيوية ومتطورة،

حيث تساهم في خلق بيئة تعزز الابتكار، وتحمي التراث، وتدمج الثقافة في منظومة التنمية الشاملة. ومن هذا المنطلق، فإن تطوير السياسات الثقافية في عدن يجب أن يعتمد على نهج متكامل يشمل تعزيز الهوية، دعم الصناعات الثقافية، ضمان العدالة الثقافية، ودمج الثقافة في القطاعات التنموية المختلفة

ثانيًا: التحديات التي تواجه السياسات الثقافية في عدن

على الرغم من الإرث الثقافي الغني لمدينة عدن، إلا أن السياسات الثقافية تواجه تحديات متعددة تعيق تحقيق التنمية المستدامة في هذا المجال. وتتنوع هذه التحديات بين مشكلات البنية التحتية، وضعف التمويل، وغياب التشريعات الملائمة، وعدم المساواة في توزيع الأنشطة الثقافية. وفيما يلي تحليل موسّع لهذه العقبات وتأثيراتها على المشهد الثقافي في عدن:

١. ضعف البنية التحتية الثقافية:

* غياب المسارح ودور السينما المتخصصة:

تأثرت عدن تاريخيًا بازدهار الحركة المسرحية والسينمائية، لكن الإهمال ونقص الاستثمار أديا إلى اندثار العديد من المسارح ودور العرض. هذا الغياب يؤثر على إنتاج العروض المسرحية والفنية، ويحد من إمكانية تطوير قطاع السينما

* المراكز الثقافية:

لا تتوفر في عدن مراكز ثقافية حديثة تستوعب الأنشطة الإبداعية، وذلك ما يعيق إقامة الورش الفنية، والندوات، والمعارض، ويضعف من فرص الوصول إلى الثقافة، خصوصًا في المناطق المهمشة

* ضعف المكتبات العامة وحفظ المعلومات (الأرشيفات):

تعاني المدينة من نقص في المكتبات الحديثة وقلة الاهتمام بحفظ المعلومات (الأرشيفة) الثقافية والتاريخية، مما يؤثر على البحث الأكاديمي، وتوثيق التاريخ الثقافي للمدينة، وإتاحة المعرفة للأجيال القادمة

* ضعف البنية التحتية الرقمية للثقافة:

لا تزال عدن تفتقر إلى المنصات الرقمية المتخصصة في نشر وترويج المحتوى الثقافي، مثل المواقع الإلكترونية، والتطبيقات الثقافية، والأرشيفات الرقمية للمحتوى المحلي.

٢. غياب التمويل المستدام:

* الاعتماد على الدعم الحكومي المحدود: يشكل التمويل الحكومي المصدر الرئيس لدعم الأنشطة الثقافية، لكنه غالبًا ما يكون غير كافٍ لتغطية احتياجات القطاع الثقافي المتزايدة، مما يؤدي إلى تأجيل أو إلغاء العديد من المشاريع الثقافية والفنية

* ضعف مساهمة القطاع الخاص: يظل القطاع الخاص غير منخرط بشكل فعّال

في دعـم الثقافـة، حيـث لا توجـد حوافـز ضريبيـة أو آليـات تشـجع رجـال الأعمال على الاسـتثمار في الفنـون والمشـاريع الثقافيـة

*غيـاب صناديـق التمويـل الثقـافي: عـدم وجـود آليـات تمويـل بديلـة، مثـل صناديـق دعـم الصناعـات الثقافيـة والإبداعيـة، والتمويـل الجماعـي (Crowdfunding)، يحـرم المبـدعين والمؤسسـات الثقافيـة مـن مصـادر دخـل مسـتدامة

* قلـة المنـح والبرامـج الدوليـة: لا يتـم الاسـتفادة بشـكلٍ كافٍ مـن التمويـل الـدولي المخصص للمشـاريع الثقافيـة، مثـل منـح اليونسـكو، وبرامـج الاتحـاد الأوروبي لدعـم الفنـون، مـا يحـد مـن الفـرص المتاحـة لتطويـر القطاع.

٣. الافتقار إلى التشريعات والسياسات الداعمة:

* غيـاب قـوانين تحمـي حريـة الإبـداع والتعبـير: لا توجـد تشريعـات واضحـة تدعـم الفنـانين والكتّـاب والمثقـفين في ممارسـة أنشـطتهم بحريـة، مما يعـوق إنتـاج محتـوى ثقـافي متنـوع

* ضعـف سياسـات الملكيـة الفكريـة: لا تتوفـر حمايـة كافيـة لحقـوق المؤلـفين والفنـانين، مما يجعـل الكـثير مـن الإنتاجـات الثقافيـة عرضـة للقرصنـة والاسـتغلال التجـاري غير المشروع

* غيـاب اسـتراتيجية وطنيـة للثقافـة: لا توجـد سياسـة ثقافيـة موحـدة تربـط بين التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة والهويـة الثقافيـة، مما يـؤدي إلى تفـكك الجهـود الثقافيـة وعـدم انسـجامها مـع خطـط التنميـة الشـاملة

* ضعـف الأطـر القانونيـة للاسـتثمار الثقـافي: لا توجـد قـوانين مشـجعة للاسـتثمار في القطاعـات الثقافيـة، مثـل تقديـم إعفـاءات ضريبيـة أو تسـهيلات ماليـة للمشـاريع الثقافيـة والفنيـة.

٤. التهميش الجغرافي والاجتماعي:

* عـدم المسـاواة في توزيـع الأنشـطة الثقافيـة: تتركـز معظـم الفعاليـات والأنشـطة الثقافيـة في مناطـق محـددة داخـل عـدن، بينـما تعـاني الأحيـاء النائيـة والمناطـق المهمشـة مـن غيـاب شـبه كامـل للأنشـطة الثقافيـة

* ضعـف تمثيـل الفئـات المهمشـة: تواجـه بعـض الفئـات الاجتماعية، مثـل النسـاء، والأقليات، والشـباب، صعوبـات في الحصـول على فـرص للمشـاركة في الحيـاة الثقافيـة، سـواء كمنتـجين أو مسـتهلكين

* عـدم اسـتغلال الأماكـن العامـة للأنشـطة الثقافيـة: على الرغـم مـن توفـر العديـد مـن السـاحات والحدائـق العامـة، إلا أنهـا لا تُسـتغل بالشـكل الأمثـل لإقامـة فعاليـات ثقافيـة وفنيـة مفتوحـة للجمهـور

٥. غياب التكامل بين القطاعات الثقافية والتنموية:

* فصـل الثقافـة عـن خطـط التنميـة: لا يتـم دمـج الثقافـة بشـكل فعّـال في استراتيجيـات التنميـة المحليـة، مما يقلـل مـن دورهـا في تعزيـز الهويـة الوطنية، ودعـم الاقتصـاد الإبداعي،

وتحقيق التنمية المستدامة

* ضعف الربط بين الثقافة والتعليم: لا توجد برامج كافية لدمج الثقافة في المناهج الدراسية، أو لتعزيز الفنون والمسرح والموسيقى في المدارس، مما يقلل من وعي الأجيال القادمة بأهمية الثقافة

* عدم استغلال الثقافة في تعزيز السياحة: تمتلك عدن تراثًا ثقافيًا غنيًا، لكن لم يتم استثماره بالشكل الكافي في تنمية السياحة الثقافية، مثل تنظيم مهرجانات فنية، أو تطوير مسارات سياحية ثقافية.

٦. تحديات التكنولوجيا والرقمنة في الثقافة:

ضعف البنية التحتية الرقمية: لا توجد منصات إلكترونية متخصصة في ترويّج للثقافة العدنية، مثل متاجر الكتب الرقمية، أو مواقع بث العروض المسرحية والأفلام

* ضعف الوعي بأهمية التحول الرقمي: لا تزال المؤسسات الثقافية تعتمد على الأساليب التقليدية في إدارة وتوزيع المحتوى، مما يحد من انتشار الإنتاج الثقافي محليًا وعالميًا

* عدم توافر التدريب على الأدوات الرقمية: يواجه الفنانون والمثقفون صعوبة في الوصول إلى التدريب على تقنيات الإنتاج الرقمي، مثل تصميم الجرافيك، أو صناعة الأفلام الرقمية، أو الترويج عبر وسائل التواصل الاجتماعي

تواجه السياسات الثقافية في عدن تحديات كبيرة تتطلب حلولًا مبتكرة وسياسات مستدامة لمعالجتها. إن تطوير البنية التحتية الثقافية، وتنويع مصادر التمويل، وتعزيز التشريعات الداعمة، وضمان العدالة في توزيع الأنشطة الثقافية، وربط الثقافة بالتنمية المستدامة، كلها عناصر ضرورية لإحياء المشهد الثقافي في المدينة. ومن هنا، فإن التغلب على هذه العقبات يستدعي تضافر جهود الدولة، والمجتمع المدني، والقطاع الخاص، والمبدعين، لإيجاد بيئة ثقافية حيوية ومستدامة

ثالثًا: استراتيجيات بناء سياسات ثقافية مستدامة في عدن

لمواجهة التحديات التي تعيق تطور المشهد الثقافي في عدن، يجب تبني سياسات ثقافية مستدامة قائمة على رؤية استراتيجية طويلة الأمد. تعتمد في سياستها على مبدأ الحوكمة التشاركية، وتطوير البنية التحتية، وتنويع مصادر التمويل، ودمج الثقافة في خطط التنمية المستدامة، إضافة إلى تعزيز التعليم والتكوين الثقافي لضمان استمرارية هذه الجهود.

١. تفعيل الحوكمة الثقافية التشاركية:

* إشراك جميع الفاعلين الثقافيين في صنع القرار: يتطلب بناء سياسات ثقافية مستدامة تضافر جهود المؤسسات الحكومية، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني، والمبدعين المستقلين لضمان استدامة هذه السياسات وتكييفها مع احتياجات المجتمع

* تعزيز دور المجتمع المدني في إدارة المشاريع الثقافية: يمكن تحقيق ذلك من خلال تمكين المنظمات الثقافية غير الربحية والمبادرات المجتمعية من لعب دور فاعل في

التخطيط والتنفيذ

* إقامة شراكات بين القطاع العام والخاص لدعم المشاريع الثقافية الكبرى، مثل تنظيم المهرجانات الثقافية، وتمويل الصناعات الإبداعية، وتطوير منصات الفنون الرقمية
* تعزيز مبدأ اللامركزية في الإدارة الثقافية بحيث تُمنح السلطات المحلية والمجتمعات الثقافية حق إدارة وتنفيذ المشاريع الثقافية بما يتناسب مع خصوصيات كل منطقة.

٢. تطوير البنية التحتية الثقافية:

* إنشاء مراكز ثقافية متكاملة في مختلف أحياء عدن، تضم مكتبات، ومساحات للفنون، واستوديوهات تسجيل، ومعارض دائمة، لتوفير بيئة حاضنة للإبداع والابتكار
* ترميم وإعادة تأهيل المباني التراثية وتحويلها إلى فضاءات ثقافية متعددة الاستخدامات، مما يسهم في الحفاظ على الهوية التاريخية للمدينة وتوفير أماكن للعروض الفنية والمسرحية
* توسيع نطاق المسارح ودور السينما عبر تشجيع الاستثمار في إنشاء مسارح حديثة وإعادة إحياء دور السينما المغلقة، مما يعزز من صناعة الفنون البصرية والمسرحية
* تحسين البنية التحتية الرقمية للثقافة من خلال إطلاق منصات إلكترونية لعرض المحتوى الثقافي العدني، وتحفيز استخدام الوسائط الرقمية في الإنتاج الفني.

٣. تنويع مصادر التمويل:

* تفعيل التمويل الجماعي (Crowdfunding) كأداة لدعم المبادرات الثقافية من خلال منصات إلكترونية تتيح للمجتمع المشاركة في تمويل المشروعات الثقافية والفنية
* تقديم حوافز ضريبية للقطاع الخاص لتشجيعه على الاستثمار في المشاريع الثقافية، مثل الإعفاءات الضريبية للشركات التي تدعم الفنون والمهرجانات الثقافية
* إنشاء صندوق دعم الصناعات الثقافية والإبداعية بتمويل مشترك بين الدولة والقطاع الخاص لدعم المشاريع الناشئة في مجالات السينما، والمسرح، والأدب، والموسيقى، والفنون الرقمية
* الاستفادة من التمويل الدولي عبر إقامة شراكات مع المنظمات الثقافية العالمية، مثل اليونسكو، والاتحاد الأوروبي، والصناديق العربية لدعم المشاريع الثقافية
* إطلاق برامج منح للفنانين والمبدعين لتمويل مشاريعهم الفردية، سواء في مجالات البحث الثقافي، أو الإنتاج الفني، أو التوثيق التاريخي للمدينة.

٤. دمج الثقافة في التنمية المستدامة:

* تعزيز السياحة الثقافية عبر الترويج للمواقع التاريخية في عدن، مثل الأحياء القديمة، والحصون، والأسواق الشعبية، وإدراجها ضمن برامج الرحلات السياحية، وتنظيم الفعاليات الثقافية فيها
* إدماج الثقافة في التخطيط العمراني من خلال حماية المعالم التراثية، وتطوير أماكن

مخصصة للفعاليات الثقافية في المشاريع العمرانية الجديدة
* دعم المشاريع التي توظف التكنولوجيا الرقمية في الفنون، مثل إنتاج الأفلام الوثائقية عن تاريخ عدن، وإنشاء متاحف افتراضية تتيح للزوار استكشاف تراث المدينة عبر الإنترنت
* تشجيع الابتكار في الفنون لتعزيز الاقتصاد الإبداعي، مثل دعم رواد الأعمال الثقافية، وتمكينهم من تأسيس مشاريع مبتكرة في مجالات التصميم، والوسائط المتعددة، والإنتاج الفني
* استخدام الفنون كأداة للتوعية الاجتماعية والبيئية، مثل المسرح التفاعلي وحملات الجرافيتي التي تتناول قضايا مجتمعية مثل التغير المناخي، وحقوق المرأة، والتنمية المستدامة.

٥. تعزيز التعليم والتكوين الثقافي:

* إدراج مواد الفنون والثقافة في المناهج الدراسية لتعريف الطلاب بتراثهم الثقافي، وتعزيز تقديرهم للفنون، وتنمية مهاراتهم الإبداعية
* إنشاء أكاديمية للفنون والإبداع في عدن أو اعادة تأهيل معهد جميل غانم وتوفير برامج تدريبية في مجالات المسرح، والموسيقى، والسينما، والفنون البصرية، والتصميم الرقمي
* دعم برامج تدريب الشباب في المهن الثقافية عبر توفير ورش عمل متخصصة في الإخراج المسرحي، وصناعة الأفلام، وتصميم الأزياء، والكتابة الإبداعية
* تطوير برامج تدريبية للفنانين والمثقفين على ريادة الأعمال الثقافية لتمكينهم من إدارة مشاريعهم الثقافية بشكل مستدام والاستفادة من الفرص الاقتصادية المتاحة
* تعزيز الشراكة بين المؤسسات الثقافية والجامعات لإقامة أبحاث ودراسات حول المشهد الثقافي في عدن، واستجلاء سبل تطويره

يُعدُّ تطوير السياسات الثقافية المستدامة في عدن أمرًا حيويًا لإحياء المشهد الثقافي، وتعزيز الهوية المحلية، ودفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية. واعتمادا على نهج الحوكمة التشاركية، وتحسين البنية التحتية الثقافية، وتنويع مصادر التمويل، ودمج الثقافة في التنمية المستدامة، وتعزيز التعليم الثقافي، يمكن تحويل عدن إلى مركز ثقافي نابض بالحياة، قادر على استيعاب التغيرات، والاستفادة من الفرص المتاحة، وتحقيق استدامة فعلية للقطاع الثقافي

رابعًا: آليات تنفيذ ومتابعة السياسات الثقافية في عدن

تتطلب السياسات الثقافية المستدامة في عدن آليات واضحة للتنفيذ والمتابعة لضمان تحقيق الأهداف المرجوة. وتكمن فعالية هذه السياسات في قدرتها على التكيف مع المتغيرات، وإشراك جميع الفاعلين الثقافيين، واعتماد ممارسات الحوكمة الرشيدة لضمان

الشـفافية والمسـاءلة. وفـيما يلي مجموعـة مـن الآليـات التـي تسـاهم في تنفيـذ السياسـات الثقافيـة ومراقبـة أدائهـا:

١. تأسيس هيئة مستقلة للسياسات الثقافية:

* إنشـاء مجلـس أعلى للثقافـة والفنـون يكـون مسـؤولًا عـن وضـع خطـط ثقافيـة طويلـة الأمـد، ومتابعـة تنفيذهـا، وتقييـم أثرهـا على المجتمـع
* إشراك ممثـلين مـن القطـاعين العـام والخـاص والمجتمـع المـدني لـضمان نهـج تشـاركي في صنـع القـرار الثقـافي
* تحديـد أولويـات التنميـة الثقافيـة وفقًـا للاحتياجـات المحليـة، وربطهـا بالأجنـدات الوطنية والدوليـة للتنمية المسـتدامة
* تـوفير قاعـدة بيانـات وطنيـة للقطـاع الثقـافي تشـمل الفنـانين، والمنـظمات الثقافيـة، والمشروعـات، والمصـادر التمويليـة، لـضمان التخطيـط الفعّـال.

٢. إعداد تقارير دورية لقياس مدى تحقيق الأهداف:

* وضـع مـؤشرات أداء لقيـاس تقـدم السياسـات الثقافيـة مثـل نسـبة المشـاركة المجتمعيـة، وعـدد الفعاليـات الثقافيـة، ومعـدلات التوظيـف في القطـاع الثقـافي
* إعـداد تقاريـر سـنوية توضـح مـدى تحقيـق الأهـداف المحـددة في الاستراتيجيـات الثقافيـة، وتقديمهـا للحكومـة والجهـات المانحـة وأصحـاب المصلحة
* إطلاق منصـة إلكترونيـة لمتابعـة تنفيـذ المشـاريع الثقافيـة تتيـح للمجتمـع الاطلاع على التقـدم المحـرز وتقديـم الملاحظـات
* إجـراء دراسـات تقييميـة للبرامـج والمبـادرات الثقافيـة لمعرفـة مـدى تأثيرهـا على التنميـة الثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة.

٣. تعزيز الشفافية والنفاذ إلى المعلومات:

* إنشـاء بوابـة إلكترونيـة للسياسـات الثقافيـة تعـرض تفاصيـل المشروعـات الثقافيـة، وأوجـه التمويـل، وتقاريـر الأداء، مما يعـزز مـن الشـفافية والمسـاءلة
* إلـزام المؤسسـات الثقافيـة بـنشر تقاريـر ماليـة دوريـة توضـح أوجـه الإنفـاق، ومصـادر التمويـل، وآليـات تخصيـص الميزانيـات
* إتاحـة الوصـول إلى المعلومـات المتعلقـة بالمنـح الثقافيـة لـضمان توزيـع عـادل للمـوارد بين الفاعـلين الثقافـيين والمشـاريع المختلفـة
* إطلاق مبـادرات للحـوار المفتـوح بين الحكومـة والمجتمـع المـدني حـول التحديـات والفـرص في القطـاع الثقـافي.

٤. اعتماد المشروعات النموذجية القابلة للتعميم:

- * تنفيـذ مشـاريع تجريبيـة في مجـالات الفنـون، والصناعـات الثقافيـة، والـتراث، والتعليـم الثقـافي قبـل تعميمهـا عـلى نطـاق أوسـع.

- إجراء تقييم شامل للمشروعات النموذجية من حيث الأثر الاجتماعي والاقتصادي، لضمان استدامتها وفعاليتها.
- تشجيع الشراكات بين القطاعات المختلفة لدعم المشروعات الناجحة وتوسيع نطاق تأثيرها.
- تحفيز الابتكار في البرامج الثقافية من خلال دعم المبادرات التي تعتمد على التكنولوجيا الحديثة والفنون الرقمية.

٥. تعزيز التعاون الإقليمي والدولي:

- الانضمام إلى الشبكات الثقافية الدولية مثل اليونسكو والمنظمات الإقليمية لتعزيز تبادل الخبرات وتطوير السياسات الثقافية وفقًا للمعايير العالمية.
- عقد اتفاقيات تعاون مع المدن الثقافية الرائدة للاستفادة من تجاربها في تطوير البنية التحتية الثقافية وتعزيز الصناعات الإبداعية.
- تفعيل الدبلوماسية الثقافية من خلال تبادل الفنون والمعارض والمهرجانات مع دول أخرى لتعزيز الهوية الثقافية لعدن على المستوى الدولي.
- ٦. بناء قدرات الفاعلين الثقافيين والمجتمع المحلي:
- توفير برامج تدريبية مستمرة للعاملين في القطاع الثقافي حول الإدارة الثقافية، والتسويق الفني، والابتكار في الصناعات الثقافية.
- تعزيز دور الشباب في التنمية الثقافية من خلال دعم المبادرات الشبابية، وتوفير منح وتمويلات صغيرة للمبدعين الصاعدين.
- إشراك المجتمع المحلي في تخطيط وتنفيذ المشروعات الثقافية لضمان تلبيتها لاحتياجات الجمهور وتحقيق تأثير اجتماعي أعمق.

تمثل السياسات الثقافية المستدامة في عدن أداة حيوية لتعزيز الهوية الثقافية، وتحقيق التنمية الشاملة، ودعم الصناعات الإبداعية. إن نجاح هذه السياسات يعتمد على تنفيذ آليات واضحة تشمل إنشاء هيئة مستقلة للسياسات الثقافية، وتعزيز الشفافية، واعتماد المشروعات النموذجية، وإعداد تقارير دورية لقياس مدى تحقيق الأهداف. كما أن تعزيز التعاون الإقليمي والدولي، وبناء قدرات الفاعلين الثقافيين، وتمكين المجتمع المحلي، عوامل أساسية لضمان استدامة هذه الجهود. من خلال تطبيق هذه المبادئ، يمكن لعدن أن تستعيد دورها كمركز ثقافي نابض بالحياة، يسهم في بناء مستقبل مزدهر ومستدام

خامسًا: توصيات لتعزيز السياسات الثقافية المستدامة في عدن

لمعالجة التحديات التي تواجه السياسات الثقافية في عدن، وتعزيز استدامتها، يجب تبني استراتيجيات متكاملة تشمل تطوير التشريعات، وتمكين الفاعلين الثقافيين، وتحديث البنية التحتية، وتوسيع آليات التمويل، وتعزيز التعاون الإقليمي والدولي. تهدف هذه التوصيات إلى تحويل الثقافة إلى ركيزة أساسية للتنمية المستدامة، وضمان استمرار الأنشطة الثقافية

بشكل يحقق الأثر الاجتماعي والاقتصادي المطلوب.

١ . تعزيز التشريعات والسياسات الداعمة للثقافة:

- إقرار قانون وطني للسياسات الثقافية يحدد إطارًا قانونيًا شاملًا لدعم الثقافة، ويحدد الأدوار والمسؤوليات بين القطاعين العام والخاص والمجتمع المدني.
- تحديث قوانين الملكية الفكرية لحماية الإنتاج الثقافي من القرصنة والاستغلال غير المشروع، وضمان حصول المبدعين على حقوقهم المادية والمعنوية.
- إدراج الحقوق الثقافية في الدستور والتشريعات لضمان الوصول العادل إلى الثقافة، وتعزيز التنوع الثقافي، والحق في الإبداع والتعبير الفني.
- إقرار تشريعات تشجع الاستثمار في الصناعات الثقافية والإبداعية، بما في ذلك تقديم حوافز ضريبية للشركات التي تدعم الفنون والمشاريع الثقافية.
- سن قوانين لحماية التراث الثقافي المادي وغير المادي، ومنع التعدي على المعالم التاريخية، وتشجيع توثيق التراث وحفظه للأجيال القادمة.

٢. دعم وتمكين الفاعلين الثقافيين:

- إنشاء صناديق دعم للفنانين والمبدعين، مع توفير منح إنتاجية للمشاريع الثقافية في مجالات المسرح، والأدب، والموسيقى، والفنون البصرية.
- إقامة برامج تدريبية متخصصة لبناء قدرات العاملين في القطاع الثقافي، تشمل مهارات الإدارة الثقافية، والتسويق الفني، وريادة الأعمال الإبداعية.
- دعم المبادرات الثقافية المجتمعية التي تشجع التفاعل الثقافي بين مختلف الفئات الاجتماعية، وتوفر فرصًا للمواهب الشابة.
- تعزيز دور المرأة والشباب في المشهد الثقافي من خلال دعم مشاركتهم في الإنتاج الثقافي، وإقامة برامج تدريبية وفرص تمويل خاصة بهم.
- تطوير منظومة العمل الثقافي الحر من خلال إنشاء منصات لدعم الفنانين المستقلين، وربطهم بفرص التمويل والتعاون الإقليمي والدولي.

٣. تفعيل دور الإعلام والثقافة الرقمية:

- إطلاق منصات إلكترونية متخصصة في الترويج للأنشطة الثقافية، توفر محتوى رقميًا يعزز التفاعل بين الجمهور والفاعلين الثقافيين.
- دعم إنتاج المحتوى الثقافي الرقمي مثل الكتب الإلكترونية، والأفلام الوثائقية، والبودكاست الثقافي، والمعارض الافتراضية التي تتيح الوصول إلى التراث الثقافي عن بُعد.
- تعزيز التعاون بين المؤسسات الثقافية ووسائل الإعلام لضمان تغطية

أوسع للفعاليات الثقافية، وإنتاج برامج ثقافية متخصصة تعزز الوعي الثقافي.

- تشجيع استخدام التكنولوجيا في الفنون مثل توظيف الواقع المعزز والواقع الافتراضي في المتاحف والمعارض، وإنشاء تطبيقات تفاعلية لتعزيز تجربة الجمهور الثقافية.
- إقامة حملات توعية عبر الإعلام الرقمي للترويج للثقافة المحلية، وتشجيع الشباب على المشاركة في الأنشطة الثقافية.

٤. تطوير البنية التحتية الثقافية:

- إعادة تأهيل المسارح ودور السينما لتكون مراكز ثقافية متعددة الاستخدامات، تدعم الإنتاج المسرحي والسينمائي، وتوفر مساحة للفنانين للتعبير عن إبداعاتهم.
- إنشاء مراكز ثقافية متكاملة في مختلف الأحياء والمناطق النائية، تتضمن مكتبات، واستوديوهات فنية، ومساحات للعروض الموسيقية والمسرحية.
- تشجيع الاستثمار في البنية التحتية الثقافية من خلال الشراكة بين القطاعين العام والخاص لإنشاء مجمعات ثقافية، ومعارض فنية، ومنشآت للإنتاج الإبداعي.
- تطوير البنية التحتية الرقمية للثقافة عبر إنشاء منصات لبث الفعاليات الثقافية عبر الإنترنت، وتوفير أرشيف رقمي يوثق الإنتاج الثقافي في عدن.
- تحويل المباني التراثية إلى فضاءات ثقافية لدعم الفنون والاستفادة منها كمراكز إبداعية تساهم في تنشيط المشهد الثقافي.

٥. دمج الثقافة في التنمية المستدامة:

- تعزيز السياحة الثقافية عبر تطوير مسارات سياحية تشمل المعالم التاريخية،وتنظيممهرجاناتثقافية،وتشجيععروضالفنونالتراثيةلجذبالسياح.
- دعم الصناعات الثقافية والإبداعية مثل الحرف التقليدية، وتصميم الأزياء، وصناعة الأفلام، والنشر الإلكتروني، لتحفيز الاقتصاد الثقافي.
- إدماج الثقافة في التخطيط الحضري عبر الحفاظ على الهوية المعمارية لعدن، وإنشاء فضاءات عامة تدعم الفعاليات الثقافية والفنية.
- استخدام الثقافة كأداة للدمج الاجتماعي من خلال برامج ثقافية تستهدف الفئات المهمشة، وتوفر فرصًا تعليمية ومهنية في المجالات الإبداعية.
- تعزيز الاستدامة البيئية من خلال الفنون عبر دعم المشروعات الفنية التي تركز على القضايا البيئية، مثل إعادة التدوير في الفنون، وإنتاج أعمال توعوية حول قضايا المناخ.

٦. تحسين آليات تمويل الثقافة:

- تنويع مصادر التمويل عبر إقامة شراكات مع القطاع الخاص، والاستفادة من المنح الدولية، وإطلاق صناديق استثمارية لدعم المشاريع الثقافية.
- إطلاق برامج للتمويل الجماعي (Crowdfunding) لتوفير دعم مباشر من المجتمع للمشاريع الثقافية المستقلة.
- استحداث حوافز ضريبية للشركات والمؤسسات الخاصة التي تستثمر في الثقافة والفنون، لتعزيز مساهمتها في دعم المشروعات الثقافية.
- إنشاء صندوق وطني لدعم الصناعات الإبداعية يقدم قروضًا ميسرة للمبدعين، ويدعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المجال الثقافي.
- تحفيز المسؤولية الاجتماعية للشركات (CSR) لتوجيه جزء من أرباح الشركات إلى تمويل المبادرات الثقافية والفنية.

٧. تعزيز التعاون الإقليمي والدولي:

- تفعيل الدبلوماسية الثقافية عبر تعزيز التعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية مثل اليونسكو والألكسو لدعم المشاريع الثقافية.
- إقامة شراكات ثقافية مع مدن تاريخية مشابهة للاستفادة من تجاربها الناجحة في الحفاظ على التراث الثقافي، وتطوير الصناعات الثقافية.
- الانضمام إلى الشبكات الثقافية العالمية مثل شبكة المدن المبدعة التابعة لليونسكو، لتعزيز مكانة عدن كمركز ثقافي.
- تنظيم برامج تبادل ثقافي دولي تتيح للفنانين والمبدعين فرصًا للعمل والتعلم مع نظرائهم من مختلف أنحاء العالم.
- الاستفادة من التمويل الدولي للمشاريع الثقافية من خلال تقديم مقترحات لمشاريع تتوافق مع أولويات التنمية الثقافية المستدامة عالميًا.

خـتـــامـــــا:

تمثل السياسات الثقافية المستدامة في عدن حجر الأساس لإعادة إحياء المشهد الثقافي للمدينة، وتعزيز هويتها التاريخية، وتوسيع آفاق التنمية الثقافية والاقتصادية. فالثقافة ليست مجرد ترف فكري أو نشاط جانبي، بل هي قوة دافعة للتنمية المستدامة، تساهم في بناء مجتمعات أكثر وعياً، وابتكاراً، وانفتاحاً على العالم. إن تحقيق هذه الرؤية يتطلب نهجًا استراتيجيًا شاملًا، يُراعي التكامل بين الثقافة والسياسات العامة، ويؤسس لبيئة تمكينية تتيح للمبدعين والمثقفين العمل بحرية وإنتاجية

إن تنفيذ التوصيات المطروحة في هذه الدراسة، من تطوير التشريعات، وتحسين البنية

التحتية الثقافية، وتوسيع آليات التمويل، وتعزيز التعاون الإقليمي والدولي، سيخلق بيئة ثقافية حيوية وديناميكية قادرة على الصمود أمام التحديات، واستثمار الإمكانيات الكامنة في عدن بوصفها مدينة ذات إرث ثقافي غني. ومن خلال تكريس مبدأ الحوكمة الثقافية التشاركية، وضمان العدالة في توزيع الفرص الثقافية، وربط الثقافة بمختلف القطاعات التنموية، يمكن تحقيق نهضة ثقافية متكاملة تُسهم في تعزيز الهوية الوطنية، وتحفيز الاقتصاد الإبداعي، وتوسيع نطاق المشاركة المجتمعية في الحياة الثقافية

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد على دور القطاع الخاص، والمجتمع المدني، والمبادرات الشبابية الذي يُعد حاسمًا في استدامة هذه الجهود، حيث يمكن لهذه الجهات أن تشكل شريكًا أساسيًا في تمويل ودعم المشاريع الثقافية، وتوفير منصات تتيح للفنانين والمبدعين التعبير عن أفكارهم وإبداعاتهم. ولا يمكن إغفال دور التكنولوجيا والرقمنة في نشر الثقافة وتعزيز وصولها إلى مختلف الفئات المجتمعية، ما يجعل من تطوير البنية التحتية الرقمية أولوية لا غنى عنها

إن عدن كانت وما تزال منارة ثقافية وحاضنة للإبداع والفكر الحر، تمتلك المقومات اللازمة لاستعادة دورها كمركز ثقافي إقليمي، شرط أن يتم تبني سياسات ثقافية مستدامة ترتكز على الابتكار، والانفتاح، والاستدامة. فبناء مستقبل ثقافي مزدهر ليس مجرد خيار، بل ضرورة لضمان تماسك المجتمع، وتحقيق التنمية المتوازنة، وصياغة هوية ثقافية تعكس التعددية والانفتاح الذي لطالما ميز هذه المدينة

إن العمل على تفعيل هذه الرؤية يتطلب إرادة سياسية جادة، وتضافر جهود جميع الأطراف المعنية، والتزامًا طويل الأمد بتطوير القطاع الثقافي بما يواكب التحولات العالمية، ويحفظ لعدن مكانتها التاريخية كمركز ثقافي نابض بالحياة، قادر على تجديد نفسه، ومواكبة العصر، وخلق مستقبل أكثر إشراقًا للأجيال القادمة

مصادر الدراسة ومراجعها:

أولًا: الكتب والمراجع الأكاديمية:

١. إدوارد، ت. هول (١٩٨٩). البعد الخفي: كيف تؤثر الثقافة على السلوك الإنساني؟ نيويورك: دار دوبلداي.
٢. ريتشارد، فلوريدا (٢٠٠٢). صعود الطبقة الإبداعية وكيف يغير ذلك طريقة العمل والعيش والثقافة، نيويورك: منشورات بيزيك بوكس.
٣. ديفيد، ثروسبي (٢٠١٠). الاقتصاد والإبداع: كيف تساهم الثقافة في التنمية الاقتصادية؟ كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.
٤. هاري، لاهتاينن (٢٠١٨). نحو سياسات ثقافية مستدامة: منظور مقارن. هلسنكي: المعهد الفنلندي للثقافة.

ثانيًا: الدراسات والتقارير الدولية:

٦. اليونسكو (٢٠١٥). تقرير السياسات الثقافية والتنمية المستدامة. باريس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.
٧. منظمة الأمم المتحدة (٢٠١٥). أجندة التنمية المستدامة ٢٠٣٠ وأهدافها المتعلقة بالثقافة. نيويورك: الأمم المتحدة.
٨. البنك الدولي (٢٠٢٠). الاقتصاد الإبداعي: تحويل الثقافة إلى أداة للنمو والتنمية. واشنطن: البنك الدولي.
٩. تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي (٢٠١٩). الثقافة والاقتصاد الرقمي: التحديات والفرص في العصر الحديث. جنيف: المنتدى الاقتصادي العالمي.

ثالثًا: المقالات والأبحاث العلمية:

٩. أحمد السقاف (٢٠١٢). تاريخ الثقافة والفنون في مدينة عدن: من الاستعمار إلى الدولة الحديثة. المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، العدد ١٥.
١٠. عبد الله باوزير (٢٠١٨). الصناعات الثقافية في اليمن: الواقع والتحديات. مركز دراسات الشرق الأوسط، العدد ٢٢.
١١. خالد الحاج (٢٠٢١). دور الفنون في تحقيق التماسك الاجتماعي في المجتمعات المتعددة ثقافيًا: دراسة حالة مدينة عدن. مجلة الثقافة والتنمية، العدد ١٠.

رابعًا: المواقع الإلكترونية والتقارير الصحفية:

١٢. موقع منظمة اليونسكو org.unesco.www – تقارير الثقافة والتنمية المستدامة.
١٣. موقع البنك الدولي org.worldbank.www – الاقتصاد الإبداعي والثقافة كأداة للنمو.
١٤. موقع المنتدى الاقتصادي العالمي org.weforum.www – الثقافة في عصر العولمة والرقمنة.

خامسا: القوانين والاتفاقيات الدولية:

١٥. اتفاقية اليونسكو لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (٢٠٠٥).
١٦. اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي (٢٠٠٣).
١٧. إعلان مكسيكو للسياسات الثقافية (١٩٨٢).

«في: وَساوِسِ البندقية الدَّرداء..!!! (*)»

جمال الرموش (*)

الأناشـيدُ، ومَعزوفـاتُ الحماسـةِ في العُـروضِ العسـكريةِ..
التي ما فتئت تُمَجِّدُ الجنودَ ..!!
والبوارِيد ..
وحروبَ التيه ..
باتـتِ الآن مخنوقـةً تحـت أحذيَـةِ العابريـن ..!!
ومـا عـادت تَشْـغَلُ الجوعـى عـن جَحيـمِ المَعيـش ..!!
والمُحاربـونَ _ حُمـران العيـون _ الذيـن يَهِمُّـونَ إلى استراحـةٍ خفيفـةٍ،
وقت وطيسِ الحرب ..
سوف لا تشجيهم صلاةٌ ولا تَرتيل ..!!
ولن تُغريهُم رشفَةَ قهوةٍ أو كأسَ تُوت ..!!
لكنما ما سَيدورُ في خُلدِهِم ..
كيـف يُقَطِّعـونَ بالـ «سُـونكي» بُندُقياتهـم ..،
كما سَـمكِ التُونـه!!
ليَخفونها في صُررِ الشَّحاذين ..!!
أو يَقبُرونها في أجرافٍ سَحيقه ..
.... و لربمـا يُعلِـنُ جِنرالٌ مـا إستراحـةَ حـربٍ
.. أقـرب إلى الفُسـحةِ المدرسـية ... لا غير ..!!
فقـط ... ليتذكَّـرَ القـتلى ..سِـيماءَ ، وأسماءَ مَـن تَرَكوهُـم أحيـاءً..
على أرضٍ تَتَمَـزَّقُ تَحتَهُـم ... قُبالـةَ أُفـقٍ شَـحيح ..!!
.... ولأني فَطِنتُ مُبَكِّراً .. بأنَّ إله الحرب ..
لكي يَسـمو، يَظَـلُّ يَقتـاتُ مِـن هَـوانِ الجنـودِ ، والرِّعـاع ..!!
كذلك جَرَسُ الآيديولوجيا ..
مرةً يكونُ رَنَينُهُ ... شاحباً ...
وفي أُخرى يُشبِهُ النَقيق ..!!
وحيـنما تغـدو لحِيـةُ شَـيخٍ ... أثقـلَ مِـن كتـابِ مَـدرَسي ...
ومِن كيسِ خِضارٍ ..!!, بيدٍ نَحيله ..!!
سأقرأ على بلدي السلام ..!!!
أو قد أنامُ لِلَيلَةٍ وحيدَةٍ... بسلام ..!!
إذا أدرَكتُ أنَّ طِينَ حَقلي الصَّغير ..
أزهى شباباً مِن عَقيقِ السماوات ..!!
أو تذكَّـرتُ أنَّ في يـومٍ ... كان إكـسِيرُ ريـقَ أُمـي ..!!
أعذبَ من « آيسكريم» القيامة ..
.... وحتى لا يُنكِرُني أحدٌ ..!!
أقولُ الحقَّ ..
بأنَّ اناشيدَ الحماسةِ في العُروضِ العسكريةِ،
التـي مـا فتئـت تُمَجِّـدُ زَهـوَ الخـرابِ على اليابسـه ..!!
باتت مَغمومَةً مِن غازِ الضغينةِ ..!!
ولا تَجلُبُ نِصفَ نَصر ..!!
مهما أمست الراياتُ غبراءَ شعثاء ..!!
بيـنما أحلامُ النِّسـاءِ تَضمَحِـلُّ كـثيراً في الحُـروب ..!!
لأنَ البندقيةَ، تَكذب..

مهما أقسَمَتْ على بَذلةِ الغَيب ..!!
وزعمتْ بأن بها قلباً.. يَتَنَهَّد..
كما قُلوبِ الأُمهات، وقتَ غَيبَةِ الأبناء..!!،
أو عنـد سَماعِهِـنَّ وقِيـصَ الجرحـى، وهـو
يَشُـقُّ صَـدرَ الليـلِ، كالسِّـكّين..!!
ثـم تَكـذب، إذا تَذَرَّعَـتْ بـأن شِـغافها تَمـورُ
بهـا رِقَّـةُ الأُنثـى..
أو أنهـا تُشـبِهُ، شـجى الزوجـاتِ الصـغيراتِ
المُحَنّيـات.. اللآتي يَسـهَدنَ في إنتظـار طَرقَـةٍ
خَفيفةٍ من الأزواجِ على الأبواب!!.
كذلـكَ تَغْـدُرُ.. وهـي تتقمَّـصُ حـواسَ
الـبَشَري..!!
لكنها حينَ تَتَنَشَّقُ الفِلفِل.. لا تَعطُس..!!
وإن أرادت أن تَـعبُرَ إلى ضفـةٍ أُخـرى تخطـو
بينَ ظِلالِ القـتلى كما الطـاؤوس..!!
ولا تُبالي بالخطايا..!!
وإذا مَضَت في غَيِّها..!!
لا تَطلُـبُ الغُفـران، حتـى وهـي في آخـرةِ
العُمـر...!!
***
البندقيةُ.. تُوغِلُ في الكِتمان..!!
ولا تَبوحُ بمآربِها..!!
وفُنُونِ فَتكِها..!!
***
البُندقيةُ..
لقيطَةُ مُومِساتِ الليلِ الكثيراتْ..!!
ورُبَّما يعودُ أصلُها في الأساطير..
إلى نُطفةٍ سوداء تُدعى «أمّ السَبَقبَق» !!
وهي أختُ إبليس من الرضاعة..
وأشـقى الشـقياتِ في سُلالـةِ النـارِ المَعدنيـةِ،
والمَنجَنيـق..!!
بينما بناتُها الرصاصاتُ السافلاتُ..
حين يُغـادِرنَ فَـمَ البندقيـةِ الأُم.. مِـن بين
الثُّكنـات، وقـتَ لهيـبِ المقتلـه..
يَتمَخطَرنَ بِدَلالٍ، كالبَغيّاتِ الصَّغيراتِ..
ويَتسَكَّعنَ ما بين مفاصلِ الطُرقِ,
صوبَ ميادينِ الإعتصامات ،
حتى أسمُوهُنَّ..:- قحابَ
حُروبِ
الشوارع..!!!
.....
ومـا زِلـتُ أتَذَكـرُ إحداهُـنَّ، عصرَ «جُمعـةِ
الكرامـة»
إذ ببذلةٍ من «جِريلَّةٍ» و «بُلُوزَةٍ»
نحاسيةَ اللون..!!
مَرَقَت مُتوَفِّزَةً في لحظةٍ خاطفةٍ..
كأنها على موعدٍ آبِق..!!
وما أن احْمَرَّتْ بَذلَتُها..
إنْقَضَّت كالذئبةِ!!
وغَمَسَـت جمرتهـا.., في قلـبِ وردةِ صاحـبِ
القميـصِ البنفسـجي
الشاب الذي كان يسعى إلى الحُريةِ ..،
مع صِحابِهِ في طرفِ « الزُبيري «
***
تِلكَ هي خسةُ الرصاصةِ..!!
تَلبَسُ لموعِدِها الآبِقُ..
بَذلَةً تغدو حمراء.., وبعد عشر ياردات
تنتقي أبسلَ الشُّبّان..!
ليكونَ فريستها اللدود..!!
... وهكذا تُبصِرُها لحظةَ انفلاتتها الأُولى..
كأنها هي كذلك تنتزعُ حُرِّيَّتَها..!!
لِتَختالَ في طَيَرَانٍ حُر..!!
وتكونُ هي نفسُها الرصاصةُ..
الابنَـةُ التـي لم تخـرج يومـاً، مُصادفـةً عـن

طاعــةِ أُمِّهــا البندقيــه..!!
***
البندقيةُ امرأةٌ لَعوب..!!
لها ابنَةٌ لقيطةٌ تُدعى الــ «سُونكي»..!!
لا تَمتُّ بِصِلَةٍ إلى أُبُوَّةٍ بيضاء..!!
لأن آباءها: دَزينةَ جنرالات..!!
أولئكَ.. الذين لا شيءَ فيهم، مِنّا..!!
ولا شيءَ مِنهُم، فينا..!!
بيــنما بندقياتُهــم ... يــوم يتقاعَــدن!!، بعــد
سِــنَّي شَــقاءٍ، وشَــقاوة ..!!
لا يَتَذَكَّرنَ كَم كُنَّ يَحصَدنَ مِن أنفاس ..!!
... فيما الـ « دُمدُم «حين يصلُ إلى شَيخوختهِ
يذهبُ بِهِ المُحاربونَ إلى دارتهِ الهلاك..!,
ليقضيَ أيامهُ الأخيرةَ.. في مَقبرَةٍ،
تَنوءُ بِحديدٍ عابسٍ ، أو عاجز..!!,
بعد أن كان يوماً ذلك المُستَبد..!!
فيا أبانا في الأعالي وَحدَكَ ـ لا غيرَ ـ يَعلم..
أنَّ أيامَ سِلوانا، أقَلُّ مِن عُمرِ الحروب..!!،
والمَنافيَ ، أكثَرُ مِن مَواقدِ القرويين ،
في بلداتنا !!!.
... ولأنني دائماً ما كُنتُ أظُنُّ..
أنَّ مَن أنشأ البندقيةَ..
هو مَن أيقظَ أظلافَ الماموث..!!
وزادها ولعاً في النَهش..!!
ومَن أنشأ البارود..
هو مَن فَرَّخَ الكبريت
وطَوَّحَ بِزُلالِهِ للضواري..!!
حتى تناسلت من جِرابِهِ..
كلَّ هذه الظُلمَةَ الغَشومه..!!!
إذن.. ليــس مــن حــقِ البندقيــات، أن تدعــو
آلِهتَهــا بِمَديــدِ حيــاة..
ومِن حَقّيَ أن أمُدَّ بِعُمرِ حِنّاءَ حَقلي..
وجدائلَ مَن قَدَّسنَ عَينيَّ العَسَليَّتَين..!!
... على الرُغــمِ مِــن دِرايتــي .. أنَّ مِــنْ عــادةِ
البندقيــةِ..
إذا كَبُرت عَجينةُ البارودِ في حِنجَرَتِها..
فإنها تُشبِهُ « لقمةَ الخانوق « !!
وإذا تَجَشَّــأت، فليســت ســوى مــن شَــبعةِ
الفَتــك..!!!
ورصاصاتُهــا الســافلاتُ، حيــنما يَنكَعــنَ مِــن
بَطــنِ ماســورتِها..
لا يسألنَ
عن اسمِ الضَّحية..!!
وهــل فَمــهُ.. ســوف يُغازلــهُ الــورد.. مِــن ،
بَعــد..!!؟
بينما البندقيةُ الأمُّ البَغيظةُ..
لا تَــوَدُّ أن تحلُــمَ بأُمنيــةٍ.. كي لا يذهــبَ بهــا
الحَــظُّ..
نَحوَ ليلٍ أدرَد..!!
***
البندقياتُ يَحرَدنَ..
متى ما أحسَسنَ..
بــأنَّ جنــوداً خائــفين.. أمسَــوا يُعَمِّــرونَ
بُطُونَهــا بِرَصــاصٍ « فِشــنج «!!
خلال ليلةِ الحربِ الجموحةِ تِلك!
***
البندقيةُ.. تُسفِكُ دمَ الآدَميَّةِ..!!،
ودمَ الفضاء، والمياهِ الآمِنَة ..!!
أينما تكون ..!
وكيفما تشاء..!!
بينما إبرَتُها..!!
تسعى بالكائناتِ نحو الفجيعة..!!
لأنها ليست كما شوكةِ «الإسطرلاب»..!
ترنو إلى النجاة..!!

...، ولكـم كنـتُ أتمنـى أن تَبـزُغَ مِـن وَسَـطِ عُنُـقِ البندقيـةِ،
« تفاحةَ آدم»..
لكي أشنُقَ في أوداجِها شبابَ إبليس..!!
ليس لأن لوحي الإلآهِي..،
لا يَثقَلُ بالخطايا الخَفيفَة..
بـل لأني تَذَكَّـرتُ الجُنـودَ الذيـن بُعَيـدَ عَوداتِهـم مـن مواسـمِ الحـرب..، يَخجَلـونَ..، سـاعةَ يسـامرونَ نسـاءهم..
عـن مـا أضمَرَتـهُ لهُـمْ، البندقيـاتُ مـن حَيرةٍ، وحِيلـه..!!
حينَ تَخيَّلَـتْ، أن بِهـا وجـعُ الـرأسِ، وضريـب الأطـراف.
لكنها لم تكن راغبةً في حَبَّةِ «أسبِرين»..!!
.... كما تَذَكَّـرتُ، مـا كان يَدفـعُ الجنـودَ إلى الضَّحِـك،
بُعَيدَ عوداتِهم من الحرب،
وهُـم يَحكـونَ لآباءهـم عـن ذلـك الـجنرال الـذي عَجِـزَ مِـن تَفـسيرِ لُعبَـةِ « الغُمَيضـان « ومهزلـةِ العـرش!!
وظَنّوهُ رجعَ الى القصرِ، غاضباً
لكنهُ عاد إلى ثُكنَتِهِ، مُثقَلاً بالنياشين..!!
وخرجَ الى الساحاتِ، يَسُبُّ عيالَ الله
حتـى آمنـتُ..، بـأن «موديـس» أُنثـى السَّـعدان..!!
أطهـرُ مـن مِنديـلِ يَـدٍ في جَيـبِ جِنَرالٍ دَيـوث..!!
يُقامِرُ بالدمِ، وبالأرضِ.. والعِرض..!!
.... عندئذٍ.. عاتبتُ، أو كلَّمْتُ نفسي: ـ
هل أستوردُ أصدقاء..!!؟
كما تَسـتوردُ دولتـي المَهيبَـةُ..!!، المعـادنَ، والأمـنَ، والبرتقـالَ، والشَّـك، والـفِتَنَ الباهِظـه، والقيـود!!
وهـي كما يَفقَـهُ سـادةُ الـشِمال ــ أبهـى مِـن الشَّـمس..!!
....، وأنـا أعلـمُ أن إذا ابتَرَدَ الخُبـزُ، والشُـوفانُ تَشَـقَّقَ مِـن يَبَاسِـه..!!
فإنَّ البنادقَ لن تَبرُد..!!
ورصاصُهـا سـوف لـن تُصَـبْ بِضَربَـةٍ مِـن صَقعَـةِ صَحـراء..
... لكـنما الخائنـون، الذيـن إذا احسـوا بِرَعـدَةٍ خَفيفَـةٍ، مِـن شِـتاءٍ يَخونُهُـم!!، كما خـانَ (المغـولَ .. والرايـخ)
سَـيَعجَزونَ في حَشرِ أردافِهـم..!, خلالَ حـربٍ عَجولـة..!!
لأنَّهُـم يَدرِكـونَ، أن البندقيـةَ، بعـد معاركِها الأخيرةَ..
عـادةً مـا تصحـو فجـراً، لتتوضـأ مما، إكتَسَـبَتهُ مِـن دَمِ ابـن آدمَ..، ومِـن دَمِ الماعِـزِ ، والـطَّير..!!
ثُمَّ تَقرَأُ أدعِيةً في الهلاك..!!
وتدعو إلآهَ الحرب، أن يُبارِكَ لها قَتلاها..!!
ويُخفـفَ خُرَافـةَ الخـوفِ منهـا لـدى، الكائنـات..!!
وفي إثرِ كُلِّ مُنازَلَةٍ داميةٍ.. لها..
تعـودُ إلى بَيتِهـا شـامخةً، وتَصعَـدُ إلى رَفِّهـا، الخَشَـبي
لتنامَ واقفةً.. راضيةً، مَرضيَّه..!!، كالخيل..!!
.. وتُصَلِّي،
كما حَفّـارِ القُبـورِ، يُـصَلِّي، حتـى يُكرِمُـهُ اللـه كلَ يـومٍ .. بالجنـازات..!!
***
ويُدرِكُ الخائنونَ..
أنَّ البندقيةَ..،
كما حَفّارِ القُبُورِ..!!

كِلاهُما لا يَشبَع..!!!
لكنَّ، مالم يُدرِكُهُ الخائنون..!!
أنَّ البندقيةَ لا تَلِدُ مِن أحشائِها.. نایاً..!!،
ولا تَصعَدُ مِن حَنجَرَتِها مَواويل..!!،
أو يَغمُرُ قلبَها شجنٌ..!!،
حتى تَصدَحَ بالأغاني..!!
بينما قَصَبُ السُّكَّرِ، يَجوزُ لَهُ أن يُقَطِّرَ مِن فَمِهِ دَندَناتٍ ألذَّ مِن الشَّهد..!!
مِثلما يَجوزُ للفراشةِ أن تَرُشَّ مِن رِيشِها الرَهيف.. أحلى مَطَر..!!
كما لم يُدرِكُهُ.. الخائنونَ.. أنَّهُ كُلما أوغَلَ الجِنرالُ في الخَطيئةِ..
تمادَتْ البندقيةُ في عِنادِها..!!
وأنَّ الرصاصةَ.. أيقُونَتُهُ..!!
لكنها، مُنذُ الثانيةِ الأُولى، لِشَهقَتِها الأخيره..!،
حتى أقصى درجاتِ حُمرَةِ جَمرَتِها..
وبِرُغمِ كُلَّ ضَراوةِ بَطشِها الوحشي..
وعطشِ بارودِها المُريع..!!
وكُلَّ صِفاتِ التَّوحشِ فيها..!!
تساوي صِفراً مِيكروسكوبيّاً
أمامَ جَبَروتِ اللَّوعه..
واللَّهفَةُ البِكر المملوءةُ بِفَزَّةِ المَجذوب..!!
واللظى الذي يَسري كالدبيبِ في الروحِ العاشقه..!!
اللظى العَذبْ..!!!
***
الرصاصةُ.. ليس بها دَمُ رَحمة
وتستطيعُ الوصول حتى آخرِ شُرفَةٍ بين نوافذِ القلب..!!
... القلبُ الذي شَبَّ على ولَعٍ بالحياة..!!،
وهو القلبُ ذاتُهُ
الذي عاشَ في هَلَعٍ..
مِن سُطوةِ الصلصال..!!
***
الرصاصاتُ، في عيونِ البندقيات..،
زينةُ الموتِ، في الدنيا..!!
وزَيفُ الغالِبِ، على المَغلوب..!!!
لكنَّ هَديلَ زغاريدِ الأُمهات..
يدومُ عُمراً اطولَ، مِن صَريرِ الرصاص..!!،
بينما أزيزُ الدانات، وصَفيرُ الصَّراصير..!!،
شَقيقانِ..!!،
مِثلما البندقيةُ توأمُ البُهتان..!!!
وقد يصيرُ في عُرفِ الجنود..
أنَّ صوتَ الرصاصةِ يُشبِهُ صوتَ العَندَ ليب . . ! ! !
لكِنَّها هي نفسُ الرصاصةِ، بِعَظمِها، وشَحمِها.
لحظَةَ بُلوغِها أقصى مِليمترٍ في الأقاصي..
حينما لا تَنالُ ما تَمَنَّتهُ..
تُوغِلُ في وحشَتِها..!!!
وإذا بَلَغَتِ الجَبينَ، والأعناق..
فإنَّه في الحال..
يَضيءُ بَدَنُ الأرض..!!!

.....
(*) اديب وصحفي
عدن -اليمن
بدايات عام ٢٠٢١م
في الذكرى العاشرة على مذبحة الكرامة في ساحة التغيير في العاصمة صنعاء مارس ٢٠١١

(تحدي)

وضاح حريري (*)

سأترك مصيري للحرب فقد تقرر عني كيف سأعيش
سأترك مساحة خالية من مواقفي السياسية ليعبث فيها قادة الصراع
سأحاصرهم عن بعد بأزمات لم يستطيعوا حلها إلى الآن
ولن أدع لهم فرصة ليأكلوا جلدتي فكروشهم ممتلئة بينما ماتزال
جماجمهم خاوية إلا من أزيز الرصاصة التي ستوصلهم إلى سدة الحكم
كلما حلموا بمزيد من الدماء
الحرب لعبة مفهومة لدي لأني أدرك منها شيئا ما له اطلالة بريق في نفسي
أما هؤلاء فهم لا يخوضون حروبهم بادراك يكفيهم للنصر، بل برهانات ليس لهم منها سوى جماجمهم المشبعة بالموت فقط.

.....

(*) وضاح اليمن خالد حريري
مارس ٢٠٢٥

« برق عدني»

سمير محمد(*)

أشَجاهُ بَرقُ سماءٍ من ذُرى عَدَنٍ
أو رامَ حُلْمًا بها ما اعتدَّ بالوَسَنِ

حتّى رأى خُلَّبًا ما كانَ بالهتِنِ
تَجمَّدَ الدهرُ في أيامِ مِحنتِهِ

كمْ سارَ في وَمضهِ يرجو تَجسُّدَها
فلا يَعدُّ على الأحداثِ بالزمنِ

ألفَى سَرابًا بما في النَّفسِ من شَجَنٍ
و لا يمرُّ على وقتٍ فَيَحسِبُهُ

كمشهدٍ سِينَمائي تَخيَّلَها
أخْنَى عليهِ زمانٌ ضاربُ المِحَنِ

وَشى بمكنونِه الأدنى إلى العَلَنِ
يغشى الهمومَ إذا مَا اهتجَّ عازِمُهُ

كانتْ على نَغمةِ النَّاياتِ همستُها
فَصارَ باللومِ مثلُ العاجزِ اليَفَنِ

وَ خامُ لمستُها كالسُّندسِ الَّلدِنِ
غدا ضَحيَّتَها تُصمي جَوائِفَه

و في مَشاعِرِهَا أنثى مُعتقَةٌ
بالوقتِ من كثرة التأنيبِ والظنَنِ

كأنَّها مِن عَطاءِ الحُبِّ كالوَطَنِ
لكنَّهُ .. كَتَمَ الآلامَ مُستَتِرًا

ما استَوحشَ القَطْرَ إلا مِن تَجَدُّبِهِ
- عمَّن يُحيطُونَهُ ـ في ناصعِ الرُّدُنِ

أعياهُ مِن غِلظةِ الأعْصَابِ و الثَّفَنِ
كم حدَّثَتْهُ وَساويسٌ بِمهْلِكِهِ

لم ينسَ في جَدبِهِ أنواء لهفَتِهِ
فيحزمُ الأمرَ - لولا الشوقُ ـ ثمَّ يَني

كانت تَسحُّ بها كالعارضِ الدَّجِنِ
لكنَّما كلُّ مشتاقٍ بغربَتِهِ

في قلبِهِ بعضُ آثارٍ لِقصَتِهِ
يأوي إلى الصبرِ مثلُ الطيرِ للوُكُنِ

تُحييهِ كالطلِّ في مُخضرَّةِ الدِّمَنِ .....

إنْ أمَّ طيفًا تَمادى في تَشوّقِهِ (*) شاعر يمني

أغنيـــة المطـــــر

د.عبد الحكيم الفقيه (*)

مطر وفي عينيك أمواج
وفي صدري الرعود،
سحائب تبكي
وقافية المدينة لا ترن
وفي المدى برق وكركرة القرى،
مسكوبة القطرات أمزان الأصيل
السقف أبيض والكلامُ
وضحكة الأطفال من خلف النوافذ
والزروع تعانق الريح الكثيفة والغيوم
ووردة الأوقات عامرة الرحيق
هو الأسى
ما أشجن المطر الطري
وما ألذ الدمع
حتى العشب يرقص في المقابر والطريق
أصون ذاكرتي ودفتر نغمتي
وأبوح بالآه الغزيرة
والسماء ترمم الفجوات في قلب التراب
حبيبتي شجر وأحلامي غصون
مطر وأغنيتي شذى مرجي وسوسنتي حنين
ناوليني يا فتاة الطيف أمكنة تبوح
فهاهنا شوق
وأزمنة تفوح
العطر تحت الغيم منكسر
وفي قلبي جروح
داخت الأثلام
وانهمرت على وقتي الشجون
ماذا ستفعل بعد هذا الغيم؟
هل تحمي السنابل؟
هل تفكر بالتجول في الحقول
العسكر البلدي قد يأتون
والينبوع صار له جفون
قلق عنيف
والمدى المملوء بالأوجاع متكأ على جرح الندى
هذا زمان الغيم
أزمنتي التي خرج المكان لكي يدور
وكي تمور
وفي السنا بلل
وميقاتي تسيجه الظنون
هوادجي ريح
وصرصرتي جنون
إنه مطر وفي قلب الحجارة رقة
والبرق أقواس ونون
هـي السـنون تـسير منهكـة لكي نقـوى وترهقنـا السـنون
مطـر وصافـرة الريـاح وسـطح منزلنـا وأرديـة الجبـال
هو ابيضاض والسماء تداخلت بالأرض
والفلق الكبير مرشرش
والطير تهرب
والبيوت تغيب في طقس كأن بها دلال أو جنون
مر قربي البرق
خبأت البياض
فتحت لي باب الخيال
وعدت بي مني وغلفني السكون
مطر وأغنيتي حنين واشتياق
وابل حزني ومزني والفراق
أنا الذي يجري على طرق الجبال
وفي يدي غيمي وفي روحي انطلاق

أكوننـــي والســـالكون على دمـــي مـــروا فـــرادى أو جماعـــات
وعرجوني أتون
جمرتي الأولى كقلبي
والسواقي تعزف المعنى
وفي صخري عيون
مطر ومزراب الغروب كعين عاشقة
وأشتات السحاب كبلدتي
والشرق يومض في التلال كبارق
والحب في قلبي حصون
مطر عفيف القلب أنقى كالندى
وعلى الشـــعاب، على الرصيـــف، على الحجـــارة والســـطوح
الأرض كشكول وذاكرة السماء
تخط درس الخصب في فصل النماء
الظل مبتل الجهات ولم يزل
والماء مبتهج حرون
مطر ويعبر في أزقة قريتي
ويمازح الشباك يدخل غرفتي
ويلوح فوق السطح يغسل رايتي
والناس ضاحكة
ويبدو الطاعنون
درداء أسنان الكبار ويضحكون من القلوب
يرددون نكاتهم
والماء يمرح والعيون
مطر لذيذ القصف مغسول الرياح
تغربلت في العصر قبعة السماء
وعاد دمع الناس أمطارا
وبللت الصخور
تخور أردية الوجوم
وتكتـــوي بنشـــيجها النايـــات والســـحر المخبـــأ في الجـــداول والخريـــر
السيل أغبر من جلود الزارعين
ومن وعود الحكم والمذياع
والقلق الدفين يصون متجه الدقائق
والرعود تنهدات
أنبتت في كل صدر غصة
والضاحكون تأوهوا
والسالكون تكمموا
والصمت تنطقه القرون
مطر وطفل خائف لو أن سقف البيت يسقط
أو يزيد الرعد في الرعب الشديد
وطفلة تبكي على كشكولها
المطمور في الماء الذي اخترق الجدار
وجدة تهذي وتسعل من جديد
موطن ينهار
جدران تخون
الماء قلب الماء أحيانا أشد من الحديد
وفي السماء يقرفص الدمع الهتون
مطر ويبكيني ارتجافي
هل يعود الفائتون
الفائتون غياهب
والأرض تفعمها السجون
مطر وأكواخ الجياع حزينة
والشارع الموبوء بالأنات مكتظ الركام
كأنه سيل تُحمله المدينة بالغبار
وما اشتراه الأغنياء
الشمس غائبة
ويرقبها المدى والراجفون
مطر يعيد إلى الرصيف رصيفه
ويبلل الجدران والصور القميئة
هل يولي الزائفون؟
مطر وباقات الورود ضحوكة
والزهر يرقص والشذى
والطلح والسدر المبلل
والذرى
والزيزفون

.....

(*) أديب وأكاديمي

«حين أُسقط ظلي جثة هامدة»

عادل العامري (*)

أعدو يعدو؟
أقِف يقف!
اشتط غضبا»
من هذا الظل ال....
أين كان ظلي
غائبا»
حين كان الضوء أمامي؟!
كلما ابتعدت عن الضوء قليلا «يتعملق ظلي
أكثر
جاهدا «أحاول أن أصرعه
أن أسبقه
ولو بخطوة واحدة
أن أقزِّمه
كما كان سابقا»
إنّه يقاسمني حركاتي
إشاراتي
وكل هيكلي الجسدي
يقاسمني حتى جهدي والتعب
صعب أن أسقط ظلي هذا اللعين
مالم أصوِّب رصاصة من فوهة مسدسي وإلى
رأسي مباشرة

ليسقط
مضرجا»
بدمي
وحده الضوء من يوجد الظلال
اطفوا أنوار هذه المدينة المكتظة بالأشباح
الظلالات
أنا أكره الظل
حتى ظلي أكرهه أيضا»
أكرهه
أكرهه حتى الموت
ربما ستسمعون دوي طلق ناري هنا
سأتخلص من ظلي وإلى الأبد
سأكون بلا ظل
حين أُسقطُ ظلي جثة هامدة
في عتمة هذه المدينة التي دون جدوى
تنتظر
انبثاق
ضوء النهار
بووووم

.....

عادل العامري، اليمن، ٢٠٢٠م

«الفنان محمد سلطان وقراءة الهجرة في الأغنية اليمنية»

عبدالباري طاهر(*)

صدر للفنان المبدع والباحث المُجِدّ محمد سلطان اليوسفي كتاب مهم تحت عنوان «الهجرة والاغتراب في الغناء اليمني»

وهو بحث تقدّم به الباحث في الأساس لفريق الآثار المتبادلة للهجرة اليمنية؛ وهو المشروع الوطني الذي دعا إليه وتبناه رجل الأعمال الأستاذ الفقيد علوان الشيباني، رئيس مجلس العالمية

الفنان محمد سلطان عازف عود، ومثقف متعدد المواهب والطاقات؛ فهو شاعر، وناقد، وباحث يواصل حاليًا دراسته العليا في المعهد العالي للنقد الفني وأكاديمية الفنون بالقاهرة

كما صدر له ديوانان، هما: «صمت الأضواء»، و«قبضة من أثر الحرب»، كما أعدّ وحرر كتاب «أغنيات الشمس وأبجديات الوطن»

محمد سلطان ناشط وحضوره الأدبي والفني والثقافي مائز فقدم العديد من الندوات والمحاضرات في اليمن، وساهم بالكتابة في العديد من المجلات والصحف، وقد خص الباحث بالإهداء للكاتب والأديب عبد الرحمن بجاش، وإلى أولئك الذين صاغوا من شجن الغربة وحنينها أغاني خالدة: شعراء، وملحنون، ومطربون.

الكتاب «الهجرة والاغتراب في الغناء اليمني» كما ذكرنا آنفا كان في البدء بحثا تقدم به

المؤلف لفريق الآثار المتبادلة للهجرة اليمنية، ومن ثم طوّر مباحثه إلى كتاب صدر عن مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

يقع الكتاب في ٢٤٧ صفحة مكون من الإهداء، وسؤال: لماذا الهجرة والاغتراب؟ وتسمية الاغتراب إشكالية، ودلالالتها مختلفة، ولكن المؤلف توخَّى الاصطلاح المتعارف عليه يمنيًا، كما تتصدر الفصول توطئة مهمة. إضافة إلى ثلاثة فصول تضم عشرات العناوين الفرعية، ثم المراجع

والواقع إن الهجرة، وغربة اليمني قديمة قِدم التاريخ اليمني، وسرديتها -رغم واقعيتها- ترتدي في مراحل معينة صبغة الأسطورة، والموسوعة الصادرة عن الآثار المتبادلة للهجرة اليمنية تشتمل على أبحاث

ودراسات قيمة عن الهجرة في اليمن، وعبر المراحل التاريخية المختلفة

يتناول «الفصل الأول» من الكتاب أغاني الوداع والسفر. ويدرس الباحث في هذا الفصل معاناة اليمني المهاجر، وحنينه إلى الديار، وشوقه للأهل والأحبة؛ مشيرًا إلى تفنن الشعراء في تصوير تلك المعاناة منذ مغادرة المهاجر اليمني داره، والأهل يلوحون له بالسلام مودعين

يدرس في هذا الفصل ثماني عشرة أغنية، يدوّنها ويدرسها بحس فني رفيع، ويرى أن هذه الأغاني وَثَّقتْ بدقة متناهية تفاصيل السفر، وظروفه، ولحظات الوداع، ووسائل النقل المتاحة حينها، وقد انعكست في الأشعار

المِيزة الرائعة أن الباحث يدرس الأغنية في عموم اليمن، والمراحل المختلفة لغنائها، ولا يكتفي الباحث بقراءة الأغنية، بل يتناول الفنان، والجوانب المهمة من حياته، ودوره الفني، والعديد من أغانيه، والمميزات التي يتمتع بها

تتسم قراءة الفنان محمد سلطان بحسن الاختيار للأغاني المدروسة، فيدرس في الفصل الأول أغنية يحيى عمر «يا مركب الهند»، وهي أشهر أغانيه، كما يتناول معلقة الغربة «البالة»، للشاعر الكبير مطهر علي الإرياني

يقرأ وسائل النقل: الجمال، والخيول، والسفن، والبواخر، والسيارات، والطائرات

كما يدرس المحجات؛ طرق الحج القديمة. ويدرس شيئًا من أقاصيص الأغاني، ويقف طويلاً إزاء «البالة» التي هي نشيد الإنسان اليمني لليمنيين رجالاً ونساءً، والأروع سرد قصة كتابتها بحسب رواية الشاعر الكبير مطهر الإرياني، وأغنية أحمد صالح الأبرش: «ألا شدوا الجمال ما عاد ناش جمال»

لم تعد الجِمال وسيلة النقل السائدة أو الوحيدة، ولكنها تبقى في الذائقة، وتظل كذلك لارتباطها بالإرث الإنساني وبالوجدان.

ويورد الأغاني المتعلقة بوسائل النقل المختلفة «يا طائرة طيري على بندر عدن». ويورد الأغاني الأكثر حداثة في هذا الباب كأغاني الدكتور سلطان الصريمي، ويسلم بن علي، والشاعر الكبير حسين المحضار، وأغاني المبدع أيوب طارش، والفنان طه فارع، وعبد الرب إدريس، والأستاذ والشاعر الكبير محمود الحاج في «لا تسافر»، و«مركب الحب»، اللتين غناهما الفنان الكبير أحمد فتحي

ويأتي على تناول أغاني الشاعرين الكبيرين: عبد الله عبد الوهاب الفضول، ومحمد عبد الباري الفتيح، بالإضافة إلى أحمد يوسف الزبيدي، وأحمد علي مانع الجنيد، والثلاثي الكوكباني، والحبيشي، والفنانة منى علي. ويتناول أغنية «دار الفلك دار»، لحسين المحضار، وغناء شيخ الفنانين اليمنيين محمد مرشد ناجي

في «الفصل الثاني» يتناول الحنين إلى الوطن، فيدرس الأغنيات التي جاءت على لسان المغترب اليمني في الغربة، ومعاناته، وحنينه للعودة لوطنه؛ موردًا أغنية «عد إليها عود»، للمرشدي، و«غربة عذاب»، للشاعر عبده إبراهيم الصبري، و«كيف الحال يا مغترب؟»، للفنان الكبير فيصل علوي.

ويورد الكثير من الأغاني المكرّسة لمعاناة المغترب وحنينه للعودة: أغنية أيوب طارش

«يـا غريـب الوطـن»، كلمات أحمـد علي مانـع الجنيـد، و«لهفـة الغريـب»، لمطهـر الإريـاني، و«يـا طير يـا رمـادي»، للشـاعر الكـبير سـعيد الشـيباني، وأغنيـة «أخـي المهاجـر»، للشـاعر والفنـان القديـر زيـد حمـود عـيسى، وأغـاني الشـاعر الدكتـور سـعيد الشـيباني لهـا حضـور كـبير وتـأثير عميـق في الدعـوة للثـورة، والتبـشير بهـا، ودعـوة المـغترب اليمنـي للعـودة، وكذلـك بعـض قصائـد الأسـتاذ عبـد العزيـز نصر، والأسـتاذ سـالم أحمـد السـبع «أخـي المهاجـر»

ويعـود الباحـث مجـددًا لقـراءة «البالـة»، وقصـة تسـجيلها في إذاعـة تعـز، والكـورس إلى جانـب الفنـان على السـمة. ويفـرد «للبالـة» مسـاحة أوسـع مـن أي أغنيـة كملحمـة إبداعيـة، وشـعرية حمينيـة. يـدرس عميقًـا قصائـد الشـاعر الحمينـي القـاضي العلامـة علي بـن محمـد العـنسي وديوانـه «وادي الـدور»، آتيًـا على إبدعاتـه: «وامغـرد بـوادي الـدور»، و«يـا أحبـة ربـا صنعـاء اليمـن»، والتـي غناهـا عبـد الباسـط عـبسي. ويتنـاول أغنيـة «غريبـان وكأنـهما البلـد»، بصـوت عطـروش، ويربـط علاقـة المـغترب بـالأرض، وأثـر غيابـه عليهـا كما في قصيـدة محمـد عبـد البـاري الفتيـح، وغنـاء عبـد الباسـط «لايـن شتسـافر واعندليـب».

ويـدون العديـد مـن الأغـاني للشـعراء: سـعيد الشـيباني، والفنـان الماهـر محمـد محسـن عطـروش، والفنـان الكامـل الشـاعر والمغنـي والعـازف محمـد سـعد عبـد اللـه، والشـاعر أحمـد سـالم البيـض، ومحمـد أبـو نصـار، والمحضـار، والفنـان المتعـدد المواهـب صاحـب الصـوت فائـق القـدرة أبـو بكـر سـالم بلفقيـه، والعـزي محمـد دحـوة، ومحمـد علي مـيسري، والشـاعر الكـبير حـداد بـن حسـن الـكاف، وآخريـن كثر. ويكـرّس «الفصـل الثالـث» للمـرأة، وأغـاني الاغتراب اشـتياق دائـم، وحـنين لا ينتهـي

تحتـل الأغنيـة مكانـة رفيعـة في حيـاة الإنسـان اليمنـي: امـرأة، ورجـل. وكان اليوسـفي شـديد التوفيـق في اختيـار أغنيـة الهجـرة؛ لأنهـا قصـة أساسـية في حضـارة الإنسـان اليمنـي، والبوابـة الـكبرى لنشـأة الحضـارة الحديثـة، والتمـدن، والتحديـث، والثـورة، ونشـأة الحركـة الوطنيـة، وبـروز دور الحضـارم في جنـوب شرق آسـيا وشرق أفريقيـا، وبنـاء العربيـة السـعودية.

الأغنيـة كانـت الأهـم والأسـبق في توحيـد اللهجـات والمـزاج اليمنـي، والتأسـيس لبروز الهويـة الوطنيـة، وغـرس القيـم والمثـل العليـا، وحـب الحيـاة والنـاس والوطـن، والحـث على الحـب والعمـل والبنـاء؛ بنـاء الحيـاة والإنسـان

وإذا كانـت الأغنيـة التعـبير المكثـف عـن قيـم الحـب والحريـة والحيـاة والسرديـة الـكبرى في حيـاة اليمنـي المهاجـر عبر التاريـخ؛ فـإن المـرأة والأرض هما الضحيـة

فالمـرأة، التـي يغيـب عنهـا زوجهـا أو أبوهـا أو أخوهـا، وتتحمـل مسـؤولية نفسـها وأسرتهـا، وتواجـه أعبـاء ومشـاق الحيـاة في قـرى شـديدة القسـوة والشـقاء والبـؤس، تكـون الضحيـة الأولى للهجـرة

أمـا أغـاني المـرأة اليمنيـة الريفيـة وعنهـا، فهـي في قلـب أغـاني الهجـرة، وبابهـا واسـع، ولهـا قـراءة أخـرى.

.....

(*) صحفي وكاتب، - نقيب الصحفين الأسبق.

يافع ارضاً وإنسانًا

د.سالم علوي الحنشي (*)

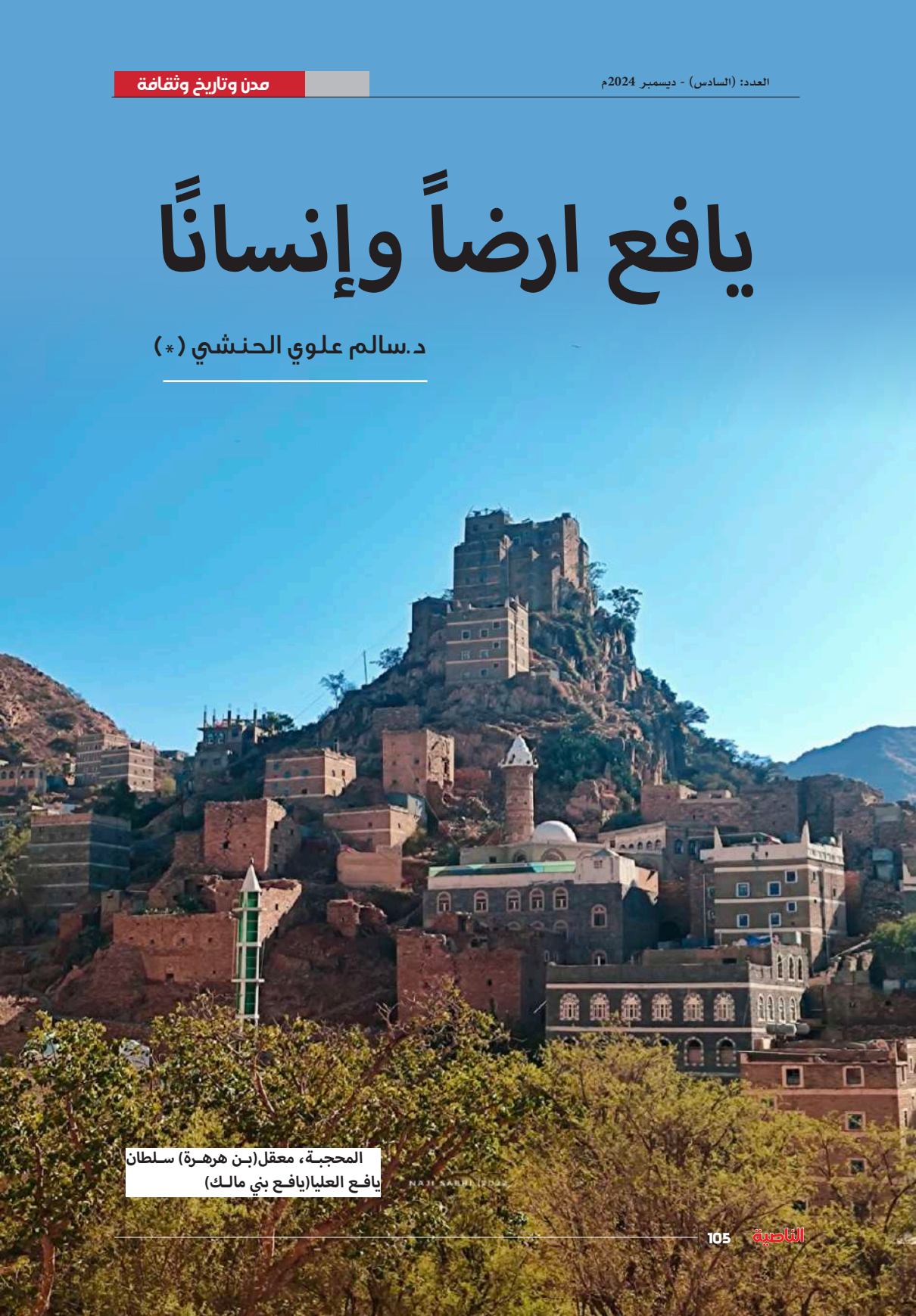

المحجبة، معقل(بن هرهرة) سلطان يافع العليا(يافع بني مالك)

مدن وتاريخ وثقافة

تقديم:

هـذه دراسـة خاصـة في بلاد يافـع بدرجـة أساسـية، الموجـودة ضمـن المنطقـة الجغرافيـة في جنـوب غـرب الجزيـرة العربيـة، ولهـا إطلالـة على سـاحل بحـر العـرب، هـذه البـلاد التـي جمـع مسماهـا بين الأرض والإنسـان، فـحين يطلـق مسـمى المـكان يافـع أو بلاد يافـع يتبـادر إلى الذهـن ذلـك الجـزء المرتفـع مـن هـذه الأرض التـي معظمهـا جبـال متلاصقـة ببعضهـا بعـض، وحين يطلـق هـذا المسـمى على الإنسـان يقـال يافعـي أو اليافعـي، فيتبـادر إلى الذهـن ذلـك الشـخص المنتسـب إلى ذلـك المـكان، وفي هـذه الدراسـة سـأحاول تتبـع نسـب هـذا المسـمى، وموقـع تلـك البـلاد وحدودهـا المكانيـة، ومسـاحتها، وتضاريسـها، ومـا تتميـز بـه مـن منـاخ، وتعـداد سـكانها، والتقسـيم القَـبَلي لهـذه البـلاد، وهـو الأسـاس الـذي مـا زال الإنسـان اليافعـي يتعامـل وفقـه ويتعـارف بوسـاطته، والتقسـيم الإداري في تلـك البـلاد بعـد الاسـتقلال مـن الاسـتعمار الخارجـي (البريطـاني) ومـا شـهده مـن تحـولات تتبـع التحـولات التـي شـهدتها الدولـة في عـدة مراحـل، ولمحـة موجـزة وسريعـة عـن الحيـاة الدينيـة في تلـك البـلاد منـذ أقـدم الأزمـان حتى اليـوم، فـضلًا عـن الحيـاة الثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة وخصوصياتهـا في تلـك البـلاد، وسـأذكر أهـم المواقـع الأثريـة التـي مـا زالـت قائمـة حتـى اليـوم بانتظـار مزيـد مـن التنقيـب والدراسـات فيهـا، ومـا تشـهده بلاد يافـع مـن مهرجـان سـنوي لـلتراث يـقترن بعيـد الأضحـى المبـارك، يحـرص أهـل يافـع فيـه على إظهـار الإرث اليافعـي القديـم المادي والمعنـوي وعرضـه، ومـا يتميـزون بـه خصوصيـات سـواء في الملبـس أو المأكل والفـن بدرجـة أساسـية، وسـأختم هـذه الدراسـة بتنـاول سريـع وموجـز للعلاقـة المتبادلـة بين يافـع وحضرمـوت

نسبة يافع:

تنسـب يافـع إلى "يافـع بـن قـاول بـن زيـد بـن ناعتـة بـن شُرَحْبيـل بـن الحـارث بـن زيـد بـن يَريـم ذي رُعَيْن الأكبر بـن سَـهْل بـن زيـد الجمهـور بـن قَيْـس بـن مُعاويـة بـن جُشَـم بـن عبـد شـمس بـن وائـل بـن الغَـوْث بـن حَيْـدان بـن قَطَـن بـن عُرَيـب بـن زُهَير بـن أَيْمَـن بـن الهُمَيْسـع بـن حِـمْيَر"

وقـد عُرفـت يافـع باسـم(سَرْو حِـمْيَر) تمييـزًا لهـا عـن(سَرْو مَذْحَـج) المحـادة لهـا مـن الشرق والـشمال

الموقع والحدود المكانية لبلاد يافع:

تقـع بلاد يافـع شمال شرق العاصمـة عـدن بين دائـرتي عـرض 13، 14 درجـة شمالًا، وبين دائـرتي طـول 45، 46 درجـة شرقًـا

يحـد بلاد يافـع مـن الـشمال محافظـة البيضـاء، ومـن الجنـوب سـاحل البحـر العـربي المعـروف بسـاحل أبين وبلاد أهـل فضـل في سـاحل أبين، وأطـراف لحـج والحواشـب، ومـن الشرق مديريـة لـودر ومـكيراس (بلاد

106

العواذل) بمحافظة أبين، ومن الغرب ردفان وحالمين(بلاد الأجعود) والضالع، وبشكل عام تمثل يافع الجهة الشمالية الشرقية لمحافظة لحج، والغربية لمحافظة أبين

وتنقسم يافع إلى قسمين رئيسيين: يافع الساحل ويافع الجبل، وهناك تقسيم آخر، هو: يافع بني مالك (يافع العليا) ويافع بني قاصد (يافع السفلى)

مساحة بلاد يافع وتضاريسها ومناخها:

لا تقل مساحة يافع عن 3500 كم مربع، وتنقسم بلاد يافع إلى أربع مجموعات تضاريسية، هي: السهل الساحلي الجنوبي(يافع الساحل) وأهم بلداتها: باتيس، والحصن، والرواء، وجعار. والسلسلة الجبلية الجنوبية والغربية، وهي تشكل معظم بلاد يافع الجبل. والهضبة الوسطى(لبعوس حاليًا)، والهضبة الشمالية(الحد). وهذه بمجموعها تُعدُّ أقصى امتداد للجبال الغربية من الجزيرة العربية، التي تُعرف لدى الجيولوجيين بالدرع العربي، ويسميها العرب(جبال السَّرَوات)، وهذه المنطقة الجبلية تنحدر ارتفاعاتها كلما اتجهت جنوبًا، ويتراوح ارتفاع الجبال في يافع تدريجيًا عن سطح البحر بين 500 م _ 2500م، وتعد قِمَّة جبل ثَمَر أرفعها إذ يبلغ ارتفاع هذه القمة 2520م فوق سطح البحر

وتنقسم بلاد يافع إلى منطقتين مناخيتين، هما: المرتفعات الجبلية، وتشمل معظم بلاد يافع، ومناخها معتدل جاف في معظم السنة، يميل إلى البرودة شتاءً، وهواؤها منعش عليل، لا أثر فيها لريح السَّمُوم التي تهب في الصحاري، وتهطل الأمطار فيها صيفًا. والسهل الساحلي، وهي منطقة السهل الجنوبي(جعار والحصن والرواء وباتيس)، ومناخها حار صيفًا، معتدل في باقي الفصول، ونسبة الرطوبة فيها عالية، وتهطل الأمطار فيها شتاءً

السكان:

لا يوجد تعداد يشمل جميع من ينتسب إلى يافع؛ لأن أبناءها تفرقوا في بلدان كثيرة، وقد بلغ سكان من يعيش في منطقة يافع الجبلية في تعداد 2004م قرابة 300000 نسمة، وهذا التعداد لا يشمل أهل يافع الذين يتبعون مديرية حبيل جبر في لحج، ولا الذين في عدن وخنفر وزنجبار(أبين) وحضرموت وباقي المناطق التي شملها التعداد في هذا العام، فإذا أضيف إلى هذا العدد سكان بلاد يافع الذين في خنفر بمحافظة أبين، والذين يتبعون حبيل جبر في لحج، فإن العدد سيتجاوز 400000 نسمة على أقل تقدير، في ذلك الوقت، قبل عشرين عامًا

التقسيم القبلي في بلاد يافع:

تنقسم بلاد يافع إلى قسمين رئيسيين، هما: يافع بني مالك(يافع العليا) ويقع معظمها في محافظة لحج حاليًا، ويافع بني قاصد(يافع السفلى) ويقع معظمها

مباني قديمة في يافع

في محافظة أبين حاليًا، ويتكون كل قسم من خمسة مكاتب، وينقسم كل مكتب إلى عدة تقسيمات، ويشتمل كل قسم على عدة قبائل، ومكاتب يافع بني مالك، هي: الموسطة، والضُّبي، والمفلحي، والحضرمي، والبُعْسي. ومكاتب يافع بني قاصد، هي: الكلدي، واليهري، والسعدي، واليزيدي، والناخبي. وكان في كل قسم سلطان، وعلى رأس كل مكتب شيخ، ويأتي بعدهم في المرتبة رؤساء القبائل أو الأفخاذ أو الخَمْوَس... ويسمون العقَّال، وسلطان يافع بني مالك في (آل هرهرة) في قرية المحجبة بلبعوس الداخلة في حدود مكتب الضُّبي، وسلطان يافع بني قاصد في (آل العفيفي) في قلعة القارة المطلة على سوق رُصُد من الشمال وسوق السعدي من الشرق

ومما سبق يتضح أنه يوجد في يافع عشرة مكاتب، والمكتب عبارة عن مجموعة قبائل متحالفة مجتمعة على شيخ واحد، فمشيخة مكتب كلد في أهل العطوي في قرية العَلَاة في أعلى وادي سرار في مديرية سرار بمحافظة أبين، ومشيخة مكتب السعدي في أهل العمودي في قرية(مِرْبان) شرق القارة معقل سلطان يافع بني قاصد(العفيفي) في مديرية يافع رصد محافظة أبين، ومشيخة مكتب يهر في أهل بن سبعة في قرية(المُقَيْصرة) من وادي حمومة في مديرية يافع رُصد بمحافظة أبين، ومشيخة مكتب اليزيدي في أهل البطاطي في قرية (الخضراء) في مديرية يافع رُصد بمحافظة أبين، ومشيخة مكتب الناخبي في أهل الكُهَالي في وادي العِرقة في مديرية سبَّاح محافظة أبين، ومشيخة مكتب الموسطة في

أهل النقيب السُّعَيدي في قرية(القُدْمة) مديرية يافع لبعوس محافظة لحج، ومشيخة مكتب الضُّبي في أهل بن عاطف جابر في قرية(ذي صُرَى) بمديرية يافع لبعوس ويقع جزء واسع من هذا المكتب في مديرية الحد محافظة لحج، ومشيخة مكتب البُعْسي في أهل الضُّباعي في قرية(الهَجَر) في مديرية يافع لبعوس محافظة لحج، ومشيخة مكتب المفلحي في أهل بن يحيى في(الجُرْبة) في مديرية المفلحي محافظة لحج، ويقع جزء من هذا المكتب ضمن محافظة الضالع، ومشيخة مكتب الحضرمي في أهل بن غالب في قرية(الشِّبْر)

وينقسم كل مكتب إلى عدة تقسيمات اتبعت طريقة المثامنة وهي طريقة التقسيم الحميري القديم، بحيث يقسم كل مكتب إلى أرباع، أو أخماس، أو أسداس، أو أثمان، ويوجد في كل قسم، كما سبق الإشارة، عدة قبائل، وتتباين هذه التقسيمات من مكتب إلى آخر، فمثلًا، في مكتب يهر تسمى خُمْوَس(جمع خميس)، وفي مكتب اليزيدي تسمى عُزل(جمع عزلة)، وتسمى في مكتب السعدي فخائذ، وأرباع أو أثمان في مكتب الموسطة، وأسداس في الضُّبَي، وأثلاث في المفلحي، وأنصاف في مكتب البعسي. ويمثل هذه الأجزاء في داخل كل مكتب ما يُعرَف بالعاقل، وهذا تقسيم ذو طابع حربي، وله علاقة مباشرة بوحدة(المخصم والمغرم) المتعارف عليه عند القبائل، وهي معاهدة بين أفراد القبيلة الواحدة أو عدة قبائل متحالفة في الدم والهَدْم، فيكون التحالف في السِّلم والحرب، ويكون الغرم واحد عند المتحالفين في الدماء والأموال وغيرها، فيشتركون في دفع ما يتعرض له المتحالفون من خسائر كبيرة لا يستطيع شخص واحد بمفرده أن يدفعها، وظلت يافع وما زالت محافظة على هذا التحالف، لكن بصورة متطورة فيشترك لاسيما الميسورين في تنفيذ الأعمال الكبيرة، ويقومون بدفع نصيب كل مكتب فيما يتعرضون له من خسائر كبيرة، لا يستطيع شخص أو قبيلة تحملها، وكذلك في تنفيذ بعض المشاريع العامة التي يفترض أن تقوم بها دولة، كبناء المدارس والطرقات(شهدت يافع مؤخرًا ما يعرف بثورة الطرقات فنفذت مشاريع عديدة بهذا الاتجاه، كانت تحتاج إلى دولة لتنفيذها)، ومساعدة المحتاجين لاسيما أصحاب الأمراض المستعصية التي تحتاج إلى متابعة علاجها خارج الوطن، وعدة نشاطات إنسانية على طول الوطن وعرضه

التقسيم الإداري لبلاد يافع:

كانت يافع تتعارف وتتعامل فيما بينها ومع غيرها بحسب التقسيم القبلي المشار إليه سابقًا، ثم بحسب التقسيم المكاني فيها(العليا والسفلى)، وبعد الاستقلال مباشرة، واعتماد التقسيمات الجديدة: محافظات ومديريات، أصبحت يافع في عهد(جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) تُسمى(المديرية الغربية) من المحافظة الثالثة(أبين)، وعاصمتها مدينة(جعار)، ثم عُدِّل التقسيم في وقت لاحق، فصارت

أشجار البن في يافع

جعار ضمن المديرية الجنوبية في المحافظة الثالثة(أبين). ولبعوس عاصمة المديرية الغربية(يافع) ضمن محافظة أبين أيضًا

وفي بداية الثمانينات تم تعديل التقسيم الإداري، وفيه توزعت يافع بين محافظتي أبين ولحج، وأصبح ما يُعرف بيافع بني مالك(يافع العليا) وجزء من يافع السفلى(يهر) تابعًا لمحافظة لحج، وتسمى مديرية(يافع لبعوس) وتضم مراكز: لبعوس، والمفلحي، والحد، وفي هذا التقسيم أصبحت يهر تتبع(المفلحي). والباقي مما يعرف بيافع بني قاصد(يافع السفلى) تابعًا لمحافظة أبين، وتسمى مركز(يافع رُصُد)، وهي تابعة لمديرية خنفر، ثم أصبح هذا الجزء التابع لمحافظة أبين مديريةً في أواخر عام 1986م، وتضم ثلاثة مراكز، هي: رُصُد، وسرار، وسبَّاح

وبعد عام 1990م تم توزيع يافع إلى ثمان مديريات، أربع تتبع محافظة لحج، وأربع تتبع محافظة أبين، على النحو الآتي

المديريات التي تتبع محافظ لحج، هي: مديرية لبعوس، وعاصمتها سوق السلام. ومديرية الحد وعاصمتها بلدة بني بكر. ومديرية المفلحي وعاصمتها سوق القُرَّاعي. ومديرية يهر وعاصمتها سوق يهر

والمديريات التي تتبع محافظة أبين، هي: جزء كبير من مديرية خنفر وعاصمتها جعار، ومديرية رُصُد وعاصمتها سوق رُصُد، ومديرية سرار وعاصمتها سوق سرار، ومديرية سباح وعاصمتها سوق سبَّاح

جامع أسعد علي،جامع اثري في معربان يافع

ويوجد جزء واسع من يافع يقع ضمن مديرية حبيل جبر في محافظة لحج، وهذا الجزء من مكتبي كلد في يافع بني قاصد، والمفلحي في يافع بني مالك، وأصبح جزء من هذا المكتب(المفلحي) _ خَلَّة، وشُكُّع، وجبل حرير، ووادي مَرَات _ يتبع محافظة الضالع

ومع وجود هذه التقسيمات التي لم تراع التقسيمات القبلية السابقة، وبالأصح حاولت تذويبها في التقسيمات الجديدة، ومواكبة أبناء يافع لهذه التقسيمات ومعايشتهم ضمنها إلا أنهم ظلوا متمسكين بالتقسيمات القبلية السابقة، ويتعاملون وفقها متى ما كانت مصلحتهم فيها، لاسيما عند التعرض للخسائر الكبيرة أو القيام بالمشاريع الكبيرة، وعند التداعي للتدارس حول القضايا العامة، والدليل على تمسكهم بالتقسيمات القديمة استمرار تلك التسميات، حتى أصبحت بعض المديريات تحمل اسم المكتب، كمديرية المفلحي، ومديرية يهر، وظلت أسماء أماكن بارزة في بعض المكاتب تحمل اسم المكتب حتى اليوم، وتمثل أهمية كبيرة لأبناء المكتب، فيوجد في مكتب يهر وادي يهر أكبر أودية هذا المكتب وإليه نُسِبَ، وسوق السعدي ضمن مكتب السعدي، ووادي ذي ناخب ضمن مكتب الناخبي الذي يُعدُّ أكبر أودية هذا المكتب وإليه يُنسَب، وجبل اليزيدي ضمن مكتب اليزيدي، ويعزز ذلك الانتساب إلى المكتب حرص اليافعي على الانتساب إليه حين يخرج من بلاد يافع؛ لهذا نلاحظ العقارات والمحلات التجارية التي تحمل هذا الانتساب إلى المكتب في أكثر من مكان في هذه البلاد، وخارجها، فتجد فندق السعدي، ومحلات السعدي، والدكتور السعدي، والوزير السعدي، والقائد السعدي،

والفنان السعدي، فهؤلاء وأصحاب هذه العقارات هم أناس من مكتب السعدي، ويحرصون على حمل وسم مكتبهم للتعريف بهم، رغم أنه لا توجد فخيذة بعينها داخل هذا المكتب توسم بهذا الاسم، وبالمثل تجد من المكاتب الأخرى في خارج بلاد يافع ينتسبون إلى مكاتبهم، وقد يكون الانتساب إلى يافع بشكل عام، ويظل هذا الانتساب رغم مرور الزمن وتعاقب الأجيال، وقد تجد من يشتهر بنسبه اليافعي، وهو لا يعرف بلاد يافع، ولم يحصل له أن زارها في حياته، وإنما الحرص على النسب إلى الأصل، وهذا مبدأ ثابت لديهم(الأصيل من لا ينكر أصله)

الحياة الدينية في بلاد يافع:

دانت يافع بالعقائد اليمنية الحميرية القديمة قبل الإسلام... سواء منها الأديان الكتابية التوحيدية أو الوثنية، ولما جاء الإسلام أسلم أهل يافع في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، طواعية، ووفد إليه بعضهم ضمن قبيلة(ذي رُعَيْن) الحميرية

وانتشرت في يافع المذاهب الفقهية السُّنية، وإن كان غير معلوم المذهب الذي ساد فيها قبل القرن الخامس الهجري، إلا أن عامة الفقهاء في المناطق المحيطة بها كانوا من أهل السُّنة الجماعة، ويتمذهبون بالمذهبين: الحنفي والمالكي.. لكن بدءًا من القرن الخامس الهجري انتشر المذهب الزيدي في اليمن الشمالي، والمذهب الشافعي في الجبال الجنوبية والوسطى والسواحل، فكانت يافع ضمن المذهب الشافعي... وبدأ التصوف في الانتشار منذ القرن السادس الهجري، فانتشر في بلاد يافع، وكان للدولة الرسولية الأثر الأكبر في نشره في السلوك، والأشاعرة في الاعتقاد في البلاد التي امتد إليها سلطانهم. وفي تلك الفترة برز عشرات الأعلام من العلماء والقضاة والفضلاء من أهل يافع الذين هاجروا إلى مدن العلم مثل عدن والجَنَد ومكة والمدينة وغيرها، أمثال القاضي أبي بكر بن محمد اليافعي الجَنَدي(ت552هـ) الذي كان قاضيًا ووزيرًا وشاعرًا مفلقًا، ومترسلًا فصيحًا...، والشيخ عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الملقب(قطب الحرم المكي)، (ت768هـ)، وكان مصنفًا، ومؤرخًا، وشاعرًا، ومتصوفًا، وأشهر مؤلفاته(مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة حوادث الزمان)، و(الدر النظيم في خواص القرآن العظيم)، و(روض الرياحين في حكايات الصالحين)... وقد نظم قصيدة عنوانها(نزهة الألباب وطرافة الآداب في استعارة المعاني الغِراب) في النحو، عددها 3600 بيت، وقصيدة في المعاني والبيان والبديع والعروض، أما شعره فتذكر بعض المصادر أن له ديون شعر كبيرًا لكن لم يصل إلينا، وقد جُمِع شعره المبثوث في كتبه وكتب من ترجموا له وحُقّق ودُرِس في جامعة عدن وجامعات عربية أخرى، وله قبر باسمه يزار، موجود بالقرب من حمَّام شَرْعة في بلاد حالمين الموجودة في الغرب

اللبس التقليدي الذي تتزين به المرأة في يافع

من بلاد يافع، ومسجد باسمه كان عامرًا في حَوْطة الشِّحْر بحضرموت

وشهدت يافع في القرن العاشر الهجري دعوة صوفية ذات مرجعية علوية حضرمية، بسبب البعوث التي بعثها مولى عينات، لطلب أهل يافع لهم؛ ليعلّموا أهلها، ويقوموا بإصلاح ذات البين عند نشوب النزاعات القبلية، ويتولوا القيام بالأعمال الشرعية من إبرام للعقود وكتابة للوثائق، فضلًا عن جمع العشور والنذور المتعهد بها؛ لترسل إلى سادة(عِينات)، وتفرق أولئك السادة والفقهاء في بلاد يافع، وبنوا الأربطة والمساجد، وكانوا يتعمدون السكن عند حدود المكاتب والقبائل، فتحول موضع سكنهم إلى(حَوْطة) يحرم فيها القتال، وإذا حدث نزاع بين فريقين سارعوا بحمل راياتهم في التدخل للتوقيف والصلح، وكان الناس يحترمونهم ويعتقدون فيهم البركة

وبسبب انتشار الجهل والغلو في الصالحين رتّب الناس لقبور بعض الصالحين مواسم للزيارات بقصد التوسل والتماس البركة وقضاء الحوائج عندها، وبنوا عليها القباب المجصصة، وما لبث هؤلاء _ كغيرهم من القبائل العربية المجاورة _ بعد ذلك أن اعتقدوا بأولئك المقبورين الخوارق، وصرفوا لهم ما لا يليق إلا بالله من دعاء وذبح ونذر وغيرها

وكانت طائفة من اليهود (أهل الذمة) تتردد على يافع، تأتي من أماكن أخرى، فتعيش بين الناس بسلام، ويعملون في صياغة الذهب والفضة والبناء، وقد هاجرت من يافع وغيرها عام 1366هـ _ 1947م، بإيعاز وتنسيق من بريطانيا، واجتمعوا في عدن، وهُجِّروا منها إلى فلسطين في عملية عُرِفت

حينها بـ(بساط الريح)

أما اليوم فيافع، ولله الحمد، جميعها على مذهب أهل السُّنة والجماعة، وتتمذهب بالمذهب الشافعي، والمساجد في كل قرية، وتقام خطب الجمعة في كل مكان، وكذلك العيدين، وغيرها من الفروض الدينية، واختفت تمامًا زيارات القبور والتبرك بها، وأصبحت قصصها في ذمَّة التاريخ، ومواضعها آثار دالة على حياة القدماء الذين سكنوا بتلك الأماكن

الحياة الثقافية في يافع:

كانت الأميَّة غالبة على أبناء يافع، باستثناء بيوت السادة والفقهاء والقضاة الذين توارثوا الصفة الرسمية في الفتوى، وتحرير الوثائق، وتعليم القرآن الكريم، والقراءة، والكتابة في المعلامات (الكتاتيب)، وكانت الفتاة محرومة تمامًا من أي حظ في التعليم إلا فيما ندر

وفي منتصف القرن الماضي بدأ تأسيس المدارس النظامية الحديثة، فأنشئت مدرستان في يافع الساحل، إحداهما: في جعار، والأخرى في الحِصْن، وفي مطلع الستينيات أنشئت مدرسة صغيرة قرب قرية العَلاة في وادي سرار، بمكتب كلد، وفي عام 1963م أنشئت جبهة الإصلاح اليافعية مدرسة في لبعوس، ثم تسارع تأسيس المدارس فيما بعد بجهود أهلية في الغالب، وما زالت تلك الجهود الأهلية حتى اليوم تنشأ بين حين

في الاحتفال بالموروث اليافعي في قلعة القارة

وآخر مدرسة بهذه القرية أو تلك، وتوجد كلية التربية الجامعية في لبعوس تابعة لجامعة لحج، تأسست عام 1999م ضمن كليات جامعة عدن، بدعم مادي كبير من قبل رجل الأعمال عمر قاسم العيسائي(الله يرحمه)، وحاليًا بداية تأسيس كلية تربية في يافع رُصد تتبع جامعة أبين

وعلى صعيد الإبداع الأدبي نجد التنوع في فنون الأدب في يافع بين الشعر، والقصص، والأساطير، والأمثال والحِكَم، ويعكس المنجز الإبداعي الأدبي في بلاد يافع صلابة الأرض وصعوبة الحياة فيها، وتقاليد الحياة القَبَلية، ففيه القوة والصلابة والحكمة والإيجاز

ويُعدُّ يحيى عمر الجمالي (أبو مُعْجِب)، وشائف محمد الخالدي(أبو لوزة)، وصالح سند اليزيدي، والشيخ راجح هيثم بن سبعة اليهري، والشيخ محمد ناصر مجمل الكلدي، أبرز الشعراء الشعبيين في تاريخ يافع الذين حفظ الزمان شعرهم، وتمَّ نقله إلينا، فضلًا عمن ما زال على قيد الحياة كثابت عوض اليهري، ومحمد سالم الكهالي، وصالح غالب الشقي، وأولاد غالب السليماني محمد (أبوحمدي) ومحسن، وداعس، وصالح حنش سالم الحنشي وغيرهم كثير

وعرف اليافعيون عدة فنون شعبية مارسوها في مناسبات خاصة، كالغناء في الأعراس، وحين تنفيذ بعض الأعمال كالبناء، وحراثة الأرض، ومواسم الحصاد، ورعي الأغنام، في الشعاب والأودية، في السلم والحرب. ويختلف الغناء في إيقاعه من حال إلى آخر، فيكون الإيقاع الحماسي السريع (الزامل) ويؤدى على إيقاع الطبول والمرافع في الحرب، وفي الشَّواعة التي تذهب برفقة العريس لإحضار العروس إلى بيت زوجها، وعند استقبال تلك الشواعة، ويكون الإيقاع الغنائي المطرب في مجالس الطرب والرقص الشعبي في الأعراس وغيرها من المناسبات التي فيها فرح وسرور، والإيقاع المصحوب بالتفاؤل في مواسم الخير، وقدوم المسافر والعائد المنتصر من الحرب، واللحن الحزين المؤثر عند سفر المحبوب، وزواج الفتاة

والحال أيضًا في الاختلاف في الرقص، فرقص الرجال يختلف عن رقص النساء، والرقص في الحرب يختلف عنه في الأعراس والمناسبات الاجتماعية التي فيها الفرح والسرور، وتؤدى بعض الرقصات بشكل ثنائي أو جماعي، ومن الرقصات الرجالية: البَرْعة(وتسمى الحَفَّة) وتؤدى مع إشهار السيوف والجنابي اليافعية وتحريكها في الأيادي وتكون عادة مرافقة السير في الطريق، والرقصة الرجالية وتؤدى بإيقاعات راقصة جميلة محكومة في مكان واحد، والسفيخ وهي رقصة أكثر خفةً وحركةً وسرعةً وتؤدى في مساحة دائرية أوسع مما تؤدى فيها رقصة الرجالية، ومن الرقصات النسائية: النسوانية والشوبلية، ولا يوجد في أنواع الرقص اليافعي تكسُّر ولا تميع ولا هزَّ لأعضاء الجسد..

أما الفنون البصرية واليدوية من رسم، ونقش، وزخرفة، ونحت، فقد وظفها اليافعيون في فن العمارة والبناء، فالبناء اليافعي تحفة منحوتة من الصخر، وفن قائم بذاته يتميز عن سائر أنماط البناء

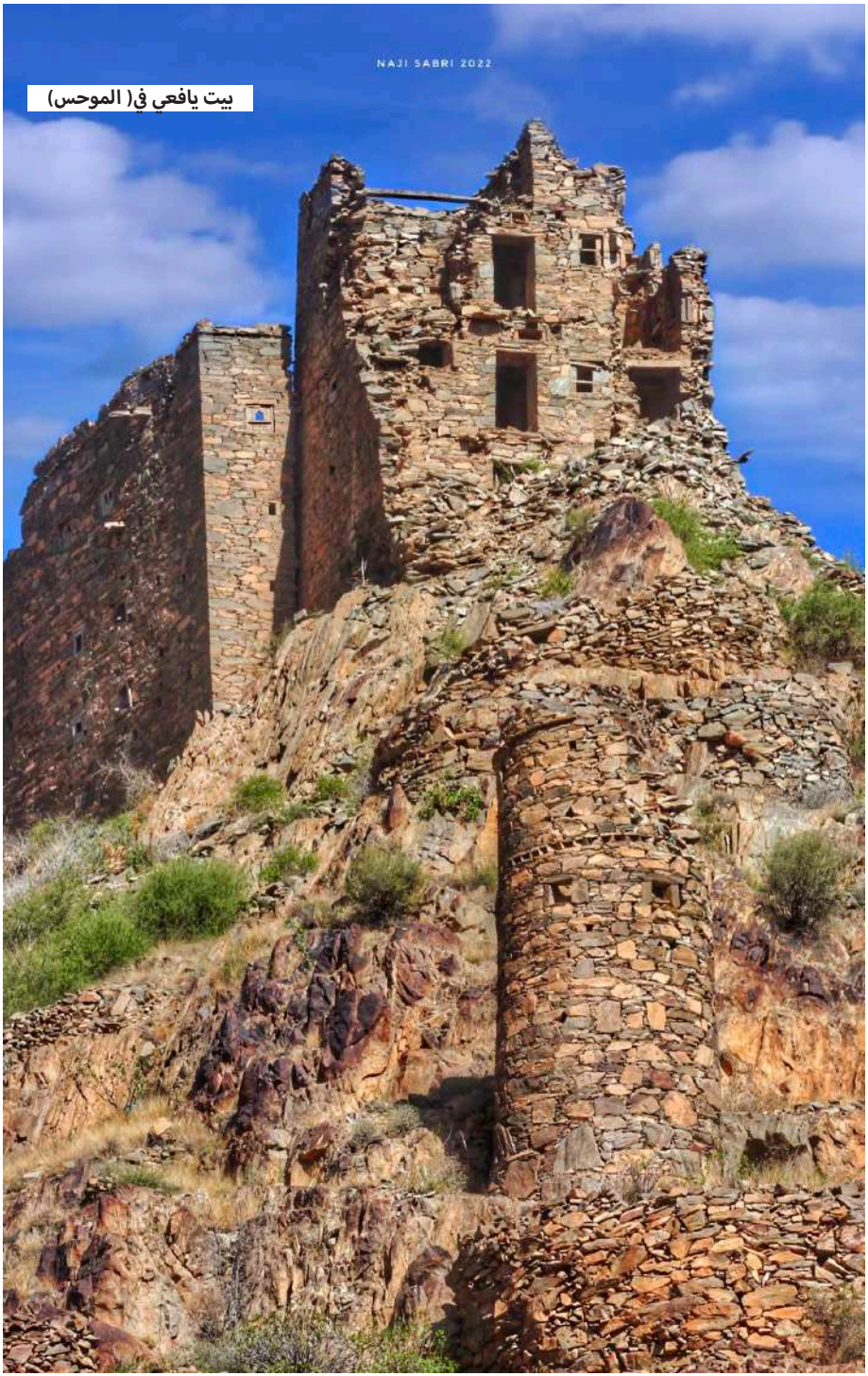

بيت يافعي في(الموحس)

في البلاد العربية، وهو قديم قدم الإنسان اليافعي في أرضه، ورغم التأثر بأنماط البناء الحديثة، إلا أنه لم يفقد هويته وبصمته الخاصة، وهو الأرقى والأكثر تطورًا الذي سبق الهندسة المعارية في الجزيرة العربية كما تقول د. سلمى سمر الدملوجي العراقية المنشأ والبريطانية الجنسية، الأستاذة بجامعة لندن، المختصة في فن العمارة

ويتخاطب أبناء يافع بلهجة متميزة تُعدُّ إحدى لهجات جنوب الجزيرة العربية الأصيلة، وتتشابه مفرداتها وتراكيبها مع كثير من الظواهر اللهجية العربية التي حفظتها المعاجم اللغوية، وتختلف تفاصيل النطق ببعض الكلمات من مكان إلى آخر تبعًا لتأثير الجوار، أو البداوة، وأشار المؤرخ الهمداني إلى ارتباط لهجة(سرو حمير) بلغة حِمْيَر القديمة، ويُعدُّ الأدب وفي مقدمته الشعر الشعبي أبرز مصادر التعرف على لهجة يافع فضلًا عن الدراسات المختصة في هذه اللهجة، إذ تشهد لهجة يافع، مؤخرًا، اهتمامًا من قبل أبنائها في توثيقها ودراستها، ويُعدُّ د. سند عبدالقوي اليهري الذي درسها في أبحاث أكاديمية في دراسته في الماجستير والدكتوراه فضلًا عن أبحاث أخرى يقوم بها خدمةً لهذه اللهجة، أبرز المهتمين بلهجة يافع، ويعدُّ د. علي صالح الخلاقي أبرز المهتمين بجمع الشعر الشعبي والتراث اليافعي وتوثيقه ونشره، فضلًا عن أ. د. سالم عبدالرب السلفي الذي اهتم بإبراز بعض أعلام يافع في بلاد يافع وخارجها، وكذلك د. نادر سعد عبادي بن حلبوب العُمَري صاحب المُؤلَّف الأشهر(الموسوعة اليافعية) التي تتكون من ثمانية مجلدات في اثنى عشر جزءًا، ألَّف إحدى عشر جزءًا منها مختصه بيافع في بلاد يافع، وشاركه المُؤلِف طارق بن سالم سعد المُوسِطي وآخرون في تأليف الجزء الثاني عشر المختص بيافع في حضرموت

الحياة الاجتماعية في بلاد يافع

المجتمع اليافعي مجتمع قَبَلي مترابط، بدءًا بالأسرة وانتهاء بالقبيلة، محكوم بالأعراف المستمدة من الشريعة الإسلامية، وتجارب الحياة وتراكماتها عبر الأجيال.. وعُرِف عن اليافعي الشجاعة والكرم، فهو جسور عند الخطوب، كريم مضياف لا يخفر ذمة من نزل به مَنْشَط، أو استجار به في مكروه، وقد وصف المؤرخ الهمداني أهل يافع بأنهم أنجد رجال هذه البلاد

ويطلق على النظام القبلي في يافع: القَبْيَلة أو القَبْوَلية، وهو الإطار الاجتماعي العام، وتنطوي كل مجموعة قبائل في مكتب، والمكاتب اليافعية يجمع بينها وحدة المخصم والمغرم والداعي أكثر مما يجمع بينها رابط النسب، وكان الغريب يستجير بالقبيلة ويتحالف معها بعقد الأُخُوَّة، ويلطلق عليه باللهجة اليافعية(المُخُوَّة)، فيصير هذا الغريب واحدًا من أبناء القبيلة التي خاواها، له ما لأفرادها وعليه ما عليهم، وعندما يستجير مظلوم بإحدى القبائل ويدعوها إلى نصرته، يسمَّى

بـ(العُـروة)، فتقـوم القبيلـة بنصرتـه سـلمًا أو حربًـا

ولم يكـن التمايـز الطبقـي حـادًا في يافـع، ولم يكـن احتقـار بعـض الأعمال والمهـن دافعًـا إلى امتهـان مـن يقـوم بهـا، فهـؤلاء يقدمـون خدماتهـم للمجتمـع مقابـل أجـر مـالي خـاص جـرت بـه العوائـد، يأخذونـه وهـم معـززون مكرمـون، وإن اعتُـدي على أحـد أهـل الحِـرَف فـإن القبيلـة التـي يسـكن في إطـار نطاقهـا الجغـرافي تسـارع إلى نصرتـه والدفـاع عنـه

وتجـد المـرأة اليافعـة على مسـتوى الأسرة، شريكـة للرجـل في فلاحـة الأرض وريهـا وزراعتهـا، وفي تربيـة المـواشي والأغنـام، وتقـوم بجلـب الماء والحطـب، واحتياجـات البيـت مـن المـواد الغذائيـة مـن آخـر موضـع توصـل إليـه تلـك المـؤن بوسـائل المـواصلات المختلفـة،

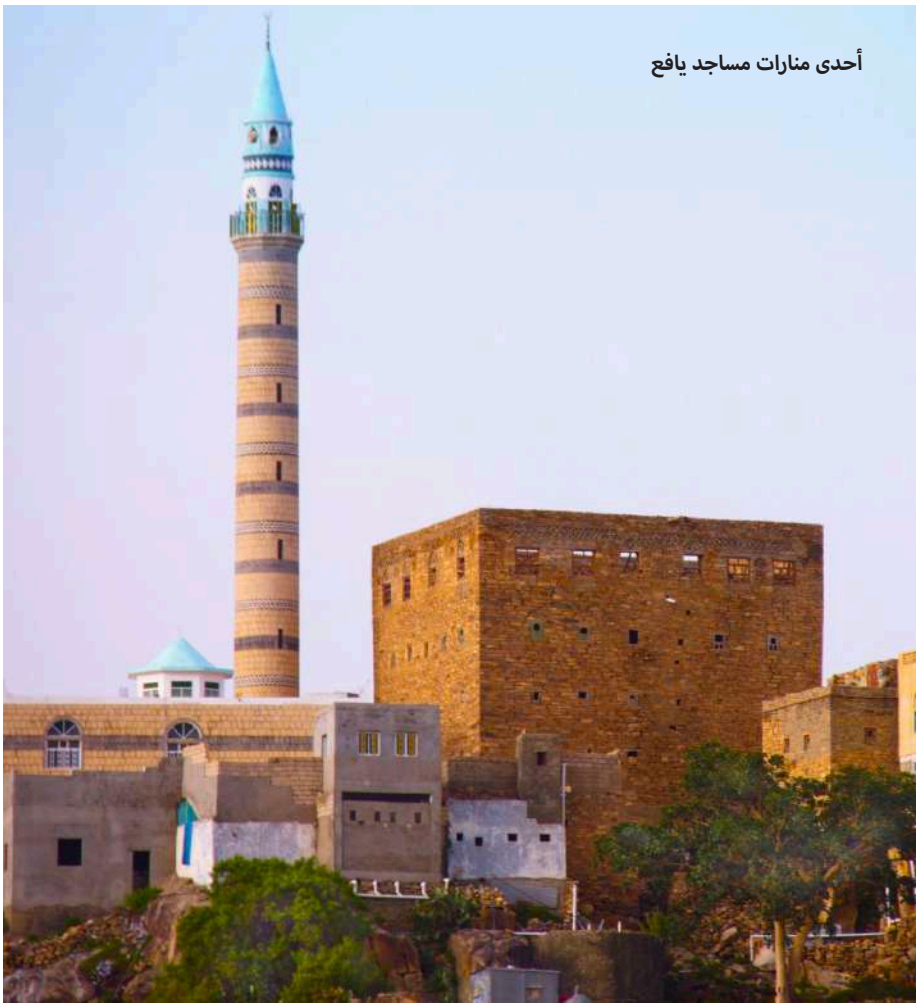

أحدى منارات مساجد يافع

فضلًا عن دورها المعروف ربة بيت

الحياة الاقتصادية في بلاد يافع:

كانت الزراعة من أهم المهن في يافع، وكانوا قديمًا إلى الاستقلال عام 1967م يعتمدون عليها كليًّا في معاشهم، وفي حال الجفاف ينزح أهل يافع عن بلادهم إلى غيرها، ويُعدُّ هذا أحد تفسيرات حالات الهجرة لكثير من أهل يافع أفرادًا وجماعاتٍ إلى خارجها؛ فضلًا عن قلة المساحات التي لا يكفي منتوجاتها بسد احتياجات الزيادة المطردة في السكان؛ لهذا كانت وما زالت هجرة الإنسان اليافعي من بلاده باستمرار، بوصفها حلًا لهذه المشكلة التي تعانيها بلاد يافع مع فائضها السكاني

ولأن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في يافع الجبل محدودة جدًا _ باستثناء منطقة الحد المستوية المسطحة ففيها توجد أراضي زراعية واسعة _ فقد أقام أهل يافع الأراضي الزراعية منذ قديم الزمان بما يتناسب مع تضاريس بيئتهم، فأقاموا المدرجات الزراعية في رؤوس الجبال، وفي أحضان الشعاب المنحدرة، وفي بطون الأودية استغلالًا لهذه المساحات في تدبير الحياة...، وأهم المحاصيل الزراعية في يافع: البُن، وهو من أجود الأنواع التي عرفتها الأسواق العالمية باسم(Afa Cafeey)، والحبوب(الذرة بأنواعها، والدُّخن، والدُّجر..)، وشجرة القات التي للأسف انتشرت زراعتها منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، ومما تتميز بزراعته بلاد يافع: الورس، والهدس، الفرسك، والغرنوط، والخيار الشوكي الذي لا يوجد نظير له إلا بأمريكا كما قال أحد علماء النبات في جامعة عدن، ويوجد في يافع البلس(التين الشوكي) ومما يتميز به أنه مشاع لا يمتلكه أحد، ويوجد في يافع مختلف أنواع الأشجار المعمرة كالعلب(السدر) الموغل في القدم ذات الارتفاعات العالية التي قد تصل إلى أكثر من خمسين مترًا، والتولق والأثل، والأثب، والقرظ، والضبيان، والقتاد، والشبه(الطلح)..

وتعتمد الزراعة في يافع على مياه الأمطار؛ لذا أقام اليافعي منذ عصور قديمة أنظمة بديعة للري تتناسب مع طبيعة كل أرض زراعية من مساق للسيول وتُرع وخزانات مياه وسدود وغيرها، ويوجد فيها الصهاريج الطبيعية التي تحتفظ بالمياه، إلا أنها توجد في الجبال بعيدًا عن الأراضي السكنية والزراعية؛ لذا يستفاد منها بدرجة أساسية في سقي المواشي التي ترعى في تلك الجبال، ومع التطور الموجود عمل الإنسان اليافعي على الاستفادة من المياه في تلك المواضع في ري الأرض بواسطة الأنابيب

أما السهل الساحلي اليافعي(أبين) ففيه الحقول والمزارع الواسعة التي ترتبط فيما بينها بشبكة ري حديثة من معابر ومحابس وترع ونحوها، وأهم محاصيله: القطن(العُطْب)، والموز والمانجو، والباباي، والفول السوداني(اللَّوز)، والسِّمْسم(الجلجل)، والخضروات بأنواعها

وقد عرف اليافعيون التجارة منذ القدم،

وهنـاك أماكـن مخصصـة للتسـوق فيهـا أسـبوعيًّا، فيجلـب إليهـا السـكان _ في اليـوم المحـدد مـن الأسـبوع _ منتوجاتهـم مـن المزروعـات والمـواشي والعسـل وغيرهـا مـن السـلع المنتوجـة في بيئتهـم، وكذلـك البضائـع المسـتوردة، ويـأتي إليهـا التجـار مـن خـارج يافـع لتسـويق بضائعهـم، ويـقضي العُـرْف بحرمـة هـذه الأسـواق فلا اعتـداء فيهـا على أحـد، وتثقَّـل عقوبـة المعتـدي أو حتـى محاولة الاعتـداء فيهـا، وتكـون قبيلـة الشـخص المعتدي أول مـن يقـف أمـام هـذا الشـخص المعتدي فلا تـنصره، وتـجبره على دفـع العقوبـة المحكومـة عنـده، ونتيجـة حركـة السـكان والانتقـال لاسـيما مـن المرتفعـات الجبليـة إلى السـهول وضفـاف الأوديـة، وتوافـر المـواصلات ونشـاط حركتها وتعددها لاسـيما بعـد الاسـتقلال مـن الاسـتعمار الخارجي(البريطـاني) اندثـرت بعـض تلـك الأماكـن، فلـم يعـد فيهـا حركـة تسـويق؛ لكنهـا مـا زالـت محتفظـة بالاسـم؛ كرهـوة سـوق الجمعـة بجبـل الصحـراء في رخمـة، وشِـعْب السُّـوق في أسـفل وادي نَخْـرة، وسـوق حريـض خلـف جبـل شـعب في سرار، وشِـعْب السُّـوق في مَدانـة بـأعلى وادي مَعْرَبان، وسـوق الرَّبـوع في قريـة مسـجد النـور... وظلـت بعضهـا محتفظـة بنشـاطها الأسـبوعي وظهـرت مواضـع أخـرى، كسـوقي الـسلام وأكتوبـر في لبعـوس اللذيـن يشـهدان حركـة تسـوق شـبه دائمـة ويوميـة، وسـوق رصـد الـذي كان يعـرف بسـوق الصَّعْـوَة في يـوم السـبت، وسـوق سـبَّاح في يـوم الأحـد، وسـوق رخمـة في يـوم الثلاثـاء، وسـوق سرار في يـوم الأربعـاء، وسـوق السـعدي في يـوم الخميـس، وسـوق الصفـأة يـوم الجمعـة...

وتتميـز هـذه الأسـوق بالحركـة النشـطة والدؤوبـة التـي تبـدأ مـن مغـرب اليـوم الأول بتوافـد التجـار إليهـا لاسـيما البعيديـن عنهـا،

سقف أحد المنازل القديمة في يافع. بخشب السدر (العلب)

وبدء تنظيم مواضع عرض سلعهم في السوق حتى تصبح جاهزة في اليوم التالي، ويبدأ التسوق فيها بتوافد المتسوقين من القرى مع الساعات الأولى من يوم التسوق، وتستمر حركة التسوق والنشاط فيها إلى وقت الظهر

وقد شهدت أسواق يافع ازدهارًا وتطورًا يتمثل في توسعها ووجود فيها كل الاحتياجات، فتوجد فيها محلات الجملة والتجزئة في مختلف أنواع السلع والمواد التموينية والاحتياجية للإنسان، والمراكز والمولات الواسعة، كسوق جعار الذي لا حاجة للتعريف به، ويعد مول(يافع)، و(المحمل1) و(المحمل2) في سوق أكتوبر بلبعوس أبرز المعالم التجارية في يافع الجبل حاليًا

وقد برز من أهل يافع تجار كبار ورجال أعمال وأرباب مال داخل البلاد وخارجها في دول الخليج العربي وغيرها من بلدان العالم

وقد كان الحرص في يافع على امتلاك المواشي وتربيتها، إلا أن موجات الجفاف قد أدت إلى تناقصها، إذ كان أهل يافع إلى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي يحرص كل بيت على امتلاك بقرة على الأقل وجمل وحمار، وبعض الأغنام التي تكفي بحاجيات الاستهلاك في البيت، وتنفيذ بعض الأعمال كحراثة الأرض، وجلب المؤون واحتياجات البيت، وتُعدُّ مديرية سبَّاح حاليًّا وجزء من مديرية سرار هي المواضع التي تتم فيها تربية الماشية وتغطية بعض احتياجات بعض الأسواق من الماشية داخل يافع الجبل، فضلًا عن بعض أجزاء من يافع الساحل التي تتميز بتربية الدواجن أيضًا

ويمارس اليافعيون المهن المختلفة حسب احتياجاتهم، فبرعوا في فنون المعمار، وتفننوا في نحت الصخور، والبناء، وتوارثت أسر بأكملها بعض المهن، كالبناء _ الذي اشتهر به أهل الصلاحي في يافع بني مالك وعلى أيديهم بنيت وأُبدِعت أكثر حصون يافع وبيوتها الحجرية في الماضي والحاضر، وأهل بن غُرامة وبن رُبَّاح في يافع بني قاصد _ والنجارة، والحِدادة، والصياغة، والدباغة، والجزارة، والحلاقة

أهم المواقع الأثرية في بلاد يافع:

توجد في يافع كثير من المواقع الأثرية، وتتنوع بين قرى قديمة، وخرائب قرى مندثرة، وقلاع وحصون، وآبار قديمة، ومآجل (سدود)، ومقابر، وغيرها

ومن هذه المعالم:

1_ قرية دخان: توجد في مكتب كلد، في أعلى جبل قصبي، في منطقة شقصة، وتُعدُّ مدينة أثرية لم يعد يسكنها أحد، وتزخر بوجود العديد من المدافن، وبقايا أساسات مبان قديمة، وبقايا مبان متلاصقة بعضها ببعض، ويوجد فيها مواحس عديدة(حفر صخرية تستعمل لدهس الحبوب وطحنها)، ويبدو أن لها سورًا وبابين، ويوجد داخلها مسجد قديم مبني بأسلوب هندسي بديع تزين جدرانه بعض الزخارف والعقود

الجميلة، ويوجد خارج السور في الاتجاه الجنوبي الغربي سد كبير يتسع لكميات كبيرة من مياه الأمطار، وهو مبطن بخرسانة النورة، وتوجد طريق من أسفل الجبل حتى هذه القرية في قمة هذا الجبل، على شكل مدرج مرصوف بالحجار الكبيرة، وتمتد هذه الطريق من أسفل جبل قصبي إلى أعلاه على شكل سلم حلزوني، وتتناثر على جوانب الجبل عدد من المباني القديمة وآثار المساجد والسدود

1_ قلعة القارة: وهي قلعة دائرية حصينة في أعلى جبل يرتفع 2000م فوق سطح البحر، ولا يوجد لها إلا مدخل واحد من الجهة الشمالية، وكانت فيها السلطنة العفيفية، في يافع بني قاصد، وفيها قرابة 25 حصنًا مبنية بالأحجار الجيرية البيضاء، ومساجد ومدافن ومآجل

2_ قلعة المحجبة: وهي قلعة حصينة تقع في جوانب جبل وعر، تحيط به جبال عالية، وكانت فيها سلطنة آل هرهرة، في يافع بني مالك، وتوجد فيها حصونٌ كثيرةٌ

3_ خربة هَديم قطنان: خرابة كبيرة تقع في هضبة الحد، كان فيها قصور لأقيال ذي خولان من آل ذي رُعين، ومعبد يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وعُثر فيها على عدة نقوش مكتوبة بالخط القتباني المسند، وتماثيل، وقطع أثرية أخرى

4_ توجد عدّة مقابر قديمة(عامية)، لا يعلم من هم المقبورون فيها، بالقرب من آثار مساكن لا يعلم من سكنها هي الأخرى، ولم يعد هناك من يقبر فيها، كمقبرة الشام في صَافِح الدِّيام، ومقبرة الصَّافِحَة التي تعبد عن الأولى بمسافة أقل من 500م، في وادي شعب الحنشي الواقع في مديرية يافع رصد، وقد تعرض جزء واسع من المقبرة الأخيرة لجرف السيول خلال السنوات القليلة الماضية

5_ توجد مآجل(سدود) قديمة جدًا في عدة جبال ومواضع أخرى لا يعلم من أنشأها، كماجل العرقوب في جبل غراب بالصفأة، وماجل دار مَخْرَق في جبل شعب، وماجل في فرعة الماجل في(فَلَج) إحدى قرى منطقة الحنشي

6_ توجد كثير من المساجد القديمة، تعود إلى عصور مختلفة، وتشهد ببراعة القدماء في المعمار، مثل: مسجد الحقب، ومسجد النور، ومسجد بني بكر، ومسجد الشيخ عبدالقادر الجيلاني وغيرها

7_ تتناثر في قمم يافع نقوش كثيرة مكتوبة بخط المسند، وبعضها رسوم ومخربشات أوسانية..

8 _ توجد آثار أسوار حدودية مبنية بالأحجار الكبيرة تمتد فوق بعض السلاسل الجبلية لمسافات طويلة..

9_ توجد كثير من المدافن(المخازن المنحوتة في الصخور) التي عادة ما تتجمع بأماكن متقاربة قرب

معالم القرى القديمة وداخلها، وتستعمل لخزن الحبوب

المهرجان التراثي في بلاد يافع:

ينفذ في يافع مهرجان سنوي للتراث يبدأ تدشينه في اليوم الرابع من أيام عيد الأضحى في مديرية يافع رصد، في قلعة القارة، معقل العفيفي سلطان يافع بني قاصد(يافع السفلى)، وفي هذا المهرجان يتم استعراض الموروث الثقافي والشعبي في يافع، وتشهد مديريات يافع الأخرى مهرجانات عيدية تراثية مماثلة لاستعراض موروثها خلال أيام العيد، ففي تاسع أيام العيد يكون المهرجان في الهَجَر بلبعوس، وفي اليوم العاشر يكون بين المحاور الموسطة، وفي اليوم الحادي عشر(الختامي) يكون في المفلحي.

ويعدُّ مهرجان عيد الأضحى المبارك أكبر المهرجانات التي تقام في يافع، ويتم تدشين أكبرها في اليوم التاسع للعيد في منطقة(الهَجَر) بلبعوس، وتحرص القيادة السياسية في الجمهورية على المشاركة والحضور في هذا المهرجان، ممثلة بالرئيس أو من ينوب عنه، ويشهد هذا المهرجان حضورًا من مختلف المحافظات، ويتم في هذه المهرجانات عرض الموروث اليافعي _ المادي والمعنوي _ بمختلف أشكاله في جميع المجالات من الرقص والغناء والزوامل والطعام واللبس والأدوات القديمة التي استعملت في مختلف أوجه الحياة، ويحرص الجمهور على الحضور بالزي اليافعي الأصيل، مع الجنبية اليافعية ذات الوضعية الخاصة المميزة عن غيرها من وضعيات تلك الأسلحة في لبسها، وفي هذه المهرجانات تحرص المكاتب في حضورها على شكل مواكب، فيدخل موكب كل مكتب إلى ساحة الاحتفال وهم مرددون الزوامل ويرقصون البرعات اليافعية الأصيلة

_ المراجع:

1. _ عادات وتقاليد الزواج وأغانيه في يافع، د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية _ صنعاء، ط1، 1427هـ _ 2006م.
2. _ فنون العمارة الحجرية في يافع، د. علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2015م.
3. _ معجم أعلام يافع، د. سالم عبدالرب السلفي، ط2، 1434هـ _ 2013م.
4. _ الموسوعة اليافعية، تأليف نادر سعد عبادي بن حلبوب اليافعي، إشراف محمد بن سالم بن علي جابر، دار الوفاق للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية ـ عدن، ط1، 1436هـ _ 2015م.
5. _ يافع في عهد السلطنتين، ج1، السلطنة العفيفية(سلطنة يافع السفلى)، د. محمود علي محسن السالمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية ـ عدن، ط1، 1435هـ _ 2014م.

(*) باحث في مركز البحوث التربوية، واكاديمي في جامعة عدن

(المجتمع المدني وعلاقته بالديمقراطية)

د. مولود زائد الطبيب

مقدمة:

ارتبط مفهوم المجتمع المدني بموضوع الديمقراطية ارتباطاً وثيقاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة، حيث نجد أنهما أصبحا متلازمين بشكل يوحي بأنه لا يمكن أن توجد دولة ديمقراطية دون وجود مؤسسات مجتمع مدني تعمل في إطارها، بل أننا نلاحظ أن الدولة تسعى إلى إنشاء أو المساعدة في إنشاء تلك المؤسسات التي تعطيها الصبغة الشرعية وتُعزز موقفها القانوني أمام المنظمات الدولية المختلفة، وللعولمة بآلياتها المتعددة وخاصة ما يتعلق بالتقدم التكنولوجي الهائل في مجالات عديدة وأهمها وسائل الاتصال دور بارز، مما سهل وصول المعلومة في أي مجال ومن أي مكان في العالم إلى أي مكان بكل يسر مما خلق ثقافة جديدة لدى الشعوب تسعى إلى نقل كل ما ترى أنه يعزز الحرية ويخلق المناخ الديمقراطي المطلوب

لقد أصبحت الإشارة إلى موضوع المجتمع المدني لازمة ضرورية في كل مناسبة تخص نقاش مشكلة الديمقراطية مثله مثل مفهوم العولمة، ونظراً لأن النقاش الدائر حول "المجتمع المدني" لم يظل أكاديمياً صرفاً، بل اتخذ طبيعة السياسة العملية الملموسة كما يرى البعض، فإنه يمكن القول إذن، أن مصطلح "المجتمع المدني" أصبح شعارا تعبويا لمختلف القوى والفئات الاجتماعية الساعية إلى إجراء تحويلات عميقة في مختلف مستويات التشكيل الاجتماعي في العديد من البلدان، وإذا كان المجتمع المدني هو مجموعة القيم والأعراف التي يقبلها المجتمع المنظم على نحو سلمي طوعياً، وهذا القبول الطوعي هو بالضرورة نتاج للثقافة الأم من جانب ثم نتاج أيضا لثقافة قائمة بذاتها تتركز حول العمل الطوعي العام، ووفقا لهذا القول فإن المجتمع المدني يشمل كل المنظمات والتجمعات المدنية غير الساعية إلى السلطة والتي تتوسط بين الأفراد والدولة(1)، ورغم أن مفهوم الديمقراطية في حد ذاته يثير إشكاليات عديدة من حيث المعنى والآليات والأهداف، إلا إن المتفق عليه هو أن الديمقراطية تعني سلطة الشعب، وعليه فإننا أمام تساؤل مهم وهو: إذا كان الشعب الذي يشكل الدولة الديمقراطية بكامله يمارس السلطة، وهو نفسه من يشكل المجتمع السياسي في إطار الدولة، فلماذا لا يتحول المجتمع كله إلى مجتمع مدني؟، أي كيف نفرّق بين المجتمع المدني وغير المدني؟، ونرى إن الجمعيات بمختلف تخصصاتها واهتماماتها الأهلية والخيرية والحرفية وغيرها تؤدي تلك الأدوار بشكل جيد إذا ما أُحسن إعدادها وتوظيفها، وبالتالي يتشكل المجتمع الديمقراطي الكامل

وسوف نقوم بتناول هذا الموضوع في

عـدة محـاور على النحـو الآتي:

أولا: المجتمـع المـدني في الفكـر الإنسـاني/ النشـأة والتطـور:

رغـم التأكيـد على أن الاهـتمام بالمجتمـع المـدني بمفهومـه العـام أو الواسـع لم يظهـر إلا حديثـاً خاصـة في العقـود الثلاثـة الأخيرة، إلا أننـا نجـد إشـارات واضحـة إلى هـذا المفهـوم منـذ العصـور القديمـة وتحديـداً بظهـور أفـكار أرسـطو التـي تلتهـا العديـد مـن الأفـكار التـي تناولـت بشـكل أو بآخـر الموضـوع كجـزء ذي قيمـة في التفاعـل الإنسـاني الـذي انعكـس إيجابـاً على سـلوك الأفـراد المجتمعـي، وبالتـالي على النظـام الاجتماعـي للمجتمعـات الإنسـانية المختلفـة، حيـث تـشير أدبيـات الفكر السـياسي الإنسـاني إلى الاهـتمام بمفهـوم المجتمـع المـدني دون أن نغفـل الإشـارة إلى الاختلافـات التـي كانـت تطـال التسـمية مـن عصر إلى آخـر ومـن فكـر إلى آخـر. لقـد اسـتُخدم مفهـوم المجتمـع المـدني منـذ زمـن بعيـد في الفلسـفة، فتحـدث عنـه أرسـطو مـن خلال مـا أسماه ""olitikeo Koinonia أي ذلـك الفضـاء الاستشـاري المتميز عـن الأسرة والشـعب ولكـن المتشـابه مـع الدولـة، ولكـن كانـت فكـرة المجتمـع المـدني في فلسـفة أرسـطو السياسـية تختلـف عـن دلالاتهـا المتعـددة منـذ العـصر الوسـيط وحتـى الـفترة المعـاصرة، فـإن مقارباتـه الفلسـفية لمفاهيـم "الجماعـة السياسـية" و"الحيـاة المدنيـة" وطبيعـة الإنسـان، قـد سـمحت مـع ذلـك بإعطـاء فكـرة عامـة عـن الإرهاصـات الفلسـفية والسياسـية الأولى لتشـكل هـذا المفهـوم(2) عندمـا كتـب أرسـطو عـن الـ ""Koinonia Politike كان يعنـي جماعـة سياسـية، ولكـن أصبـح في التراجـم اللاتينيـة ""Civilis Societies، ومنـه جـاءت تسـمية المجتمـع الأهلي أو المـدني، والإنسـان بالنسـبة لأرسـطو هـو في أعلى مسـتويات نشـاطاته المختلفـة، حيـوان سـياسي، والمدينـة (Po-lis) تمثـل غرضـه أو غايتـه بالمعنـى القطعـي، بعبـارة أخـرى المدينـة ليسـت هدفـاً خارجيـاً يحـاول المـرء الوصـول إليـه وإنمـا هـي الإنجـاز الـذي يحقـق تمامـاً الإنسـان كحيـوان سـياسي، والـ Koinonia Politike هـي جماعـة ذات أسـس أخلاقيـة وأبعـاد سياسـية معـاً، وتتألـف مـن مواطـنين أحـرار متسـاوين، وهـي تعمل في ظـل قـوانين وقواعـد تعـتبر بمجموعهـا إفصاحـاً عـن جملـة مـن القيـم هـي روح الجماعـة(3).

إن مـا وصـل إلينـا مـن أفـكار وتوجهـات ذات بعـد نظـري يؤكـد على أن مفهـوم المجتمـع المـدني، ليـس كمصطلـح، بـل كـدلالات وأبعـاد سياسـية واجتماعيـة واقتصاديـة، وبالتـالي كمـوروث ثقـافي، انتعـش وازدهـر في الـفترة التـي يطلـق عليهـا عصر النهضـة والتنويـر في أوروبـا، تلـك الـفترة التـي اسـتغرقت حـوالي ثلاثـة قـرون، أي مـن بدايـة القـرن السـادس عشر إلى نهايـة القـرن الثامـن عشر، حيـث انهـار النظـام الثيولوجـي الـذي كان قائمـاً على سـلطة الكنيسـة الكاثوليكيـة وتفـرد رجـال الديـن بالسـلطة باعتبارهـم ظل اللـه في الأرض، ومجـيء الكنيسـة البروتسـتانتية التـي انفتحـت بشـكل جيـد على أفـراد المجتمـع، خاصـة وأن العديـد مـن العلماء والمفكريـن يُرجـع مفهـوم كلمـة المـدني بأنـه مقابـل الديني أو مقابـل

العسكري أو مقابل السياسي، ويُعد منظرو العقد الاجتماعي رواد كلاسيكيون لتناول المفهوم في بداياته الحقيقية، عندما أكدوا على وجود الحالة الطبيعية التي عاشها الأفراد قبيل انتقالهم إلى المجتمع المنظم أو الدولة بمفهومها الحديث والتي تأسست نتيجة للتعاقد الذي تم بينهم . إذن فإن نظرية المجتمع المدني وإن تم تناولها في أفكار ونظريات العديد من الفلاسفة والمفكرين ومن أبرزهم الفيلسوف الاسكتلندي "آدم فرجسون" في كتابه (مقال في تاريخ المجتمع المدني 1767) و " توماس بايين" في كتابه (حقوق الإنسان1791)، فإن فكرة المجتمع المدني تبلورت لدى فلاسفة الثورة الانجليزية والفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ويشير" دينار شيخاني"(*) إلى أن النواة الأولى لنظرية العقد الاجتماعي ظهرت على يد الفيلسوف الانجليزي " توماس هوبز 1588-1679" وتطورت النظرية على يد مواطنه "جون لوك 1632-1704"، وقد تكاملت النظرية وبلغت صيغتها العلمية الكاملة على يد الفيلسوف الفرنسي " جان جاك رسو1712-1778"، وينسب الكثير هذه النظرية إلى "روسو" كونه عرض هذه النظرية بوضوح معبراً عن آرائه وآراء من سبقوه بأسلوب ثوري رائع في كتابه الشهير (العقد الاجتماعي).

ويجب إلا يغيب عنا هنا الدور العربي الإسلامي في نشأة وتبلور مفهوم المجتمع المدني سواء كان ذلك حسب تسميته الحديثة أم كان ممارسة من خلال أبعاد ودلائل تشير إليه بوضوح، فإذا ما قارنّا بعض ما ذكره "ابن خلدون" في مقدمته الشهيرة عن الاكتساب مع الدور الذي يقوم به المجتمع المدني بشأن تطور الاقتصاد والنهوض بالتنمية، نجد الكثير من الإشارات المتوافقة التي تدل على عبقرية وبُعد نظر العقل العربي، حيث يقول ابن خلدون (.... دوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في اكتسابها وتحصيلها، انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته، يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء عاماً في جميع أبواب المعاش، كان القعود عن الكسب كذلك.... وإن كان الاعتداء يسيراً، كان الانقباض عن الكسب على نسبته، فإذا قعد الناس عن المعاش، وانقبضت أيديهم عن المكاسب، كسدت أسواق العمران)(4)، وفي إطار اهتمام "ابن خلدون" بالاجتماع الإنساني الذي يميز البشر عن غيرهم من الكائنات، اهتم بالعلم كظاهرة اجتماعية وأفرد له قسماً من مقدمته يُعدُّ أول كتاب في الاجتماع، وكان أول فصوله "في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري" كان يهدف من ورائه أن يبين بأن العلم جزء من تكوين المجتمع وأنه نابع من خاصية التفكير التي تفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وأن هذا العلم مرتبط ببيئة اجتماعية معينة وهي المجتمع المدني حيث تتوفر فيه وسائل نقل المعرفة وأدواتها وهو ما لا يتسنى توفره في المجتمعات التي تعيش حياة البداوة معتمدة على

الرعي وما يتبعه من تنقل وترحال، فما لا يختلف عليه اثنان هو أن المجتمع المدني أولاً وقبل كل شيء (مجتمع المدن) وأن مؤسساته هي تلك التي ينشئها الناس بينهم في المدينة لتنظيم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فهي إذاً مجتمعات إرادية يقيمها الناس وينخرطون فيها أو يحلّونها وينسحبون منها، وذلك على النقيض تماماً من مؤسسات المجتمع البدوي القروي التي تتميز بكونها مؤسسات (طبيعية) يولد الفرد منتمياً إليها، مندمجاً فيها، ولا يستطيع الانسحاب منها(5).

إن الدارس للتاريخ الإسلامي يلاحظ أن هناك حِرفاً ومهناً استقر لكل منها عُرفها وأصولها حتى أصبح ذلك مقبولاً لدى القاضي والمحتسب في فض المشاكل المهنية، وكأنها نقابات ومنظمات مهنية لها قوانينها وضوابطها الملزمة للحكومة، وبهذا يتضح لنا أن نسبة المجتمع المدني إلى المدينة ليس للقرابة اللغوية فقط، ولكن لأن المدينة ليست مكاناً اجتماعياً وإنما هي الميدان الذي تتبلور فيه الجماعة بأي نوع كان لأن الانتساب إلى الجماعة لا يعني انتماء إلى دولة، وبهذا يمكن أن نجد في (الأمة) و(الجماعة) أسس ما نسميه بلغتنا المعاصرة (المجتمع المدني) أو(مؤسسات الأمة) التي يجب أن تتمتع بالاستقلالية لتأسيس الحقوق على مقاصد الشريعة وبما يحقق ترسيخ مقدمات الواجب، إذ إنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أو درجه ضمن فروض الكفاية التي تشير إلى قواعد التوجيه والالتزام بالجماعة لإقامة مؤسسات تسد حاجة الأمة بكل مكوناتها دولة ورعية(6)، فالمجتمع الإسلامي يقدّر ويقدّس العمل الفردي (فرد - جماعة) الذي يعمل لأجل الصالح العام ويسد حاجات الأفراد الذين لا تصلهم جهود الدولة (فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)، وبذلك فإن الشروط المحددة لفكرة المجتمع المدني قد جاء بها الإسلام ورسّخها المجتمع الإسلامي المنظم أي الدولة الإسلامية في شكل طوعية تكوين التشكيلات الاجتماعية وانتظامها من خلال بناء مؤسسي يكون العمل من خلالها تطوعياً، وقد ارتبط كل ذلك بالعدالة والحرية والمساواة وصون الحقوق وأداء الواجبات

ثانيا: ماهية المجتمع المدني:

كان للتحولات الهائلة في الفكر السياسي الأوروبي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الإطاحة بالنظام الثيولوجي القديم والتخلص من فكر أزمنة العصور الوسطى، دور بالغ الأهمية في ظهور نظام جديد أبرزت فيه على وجه الخصوص نظريات العقد الاجتماعي من خلال أفكار روادها "هوبز" و "روسو" ما أصبح يعرف بالمجتمع المدني والذي كان يُقصد به تلك المؤسسات الاجتماعية التي تقف على المسافة الفاصلة بين الفرد والدولة، حتى وإن اختلفت المفاهيم التي تناولت ذلك بين ما كان سائداً وما عرفه مفهوم المجتمع المدني في القرنين التاسع عشر والعشرين من تطور جنح به أحياناً في اتجاه المغايرة والاختلاف، ولا يعدو ذلك كونه نوعاً من التلخيص التجريدي لما عرفته كل من (الدولة) و

(المجتمع) من تحول وتطور سواء من حيث البناء الداخلي أو الذاتي لكل منهما، أو من حيث العلاقة التي تقوم بينهما فتكون من (الدولة) إرادة في السيطرة أو في الاحتواء وتكون من (المجتمع) نزوعاً نحو المزيد من الاستقلال والتمايز عن الدولة ودعوة إلى التقليل من ثقل حضورها(7).

إن الاختلافات قائمة حول مفهوم المجتمع المدني كما هي غالباً بين العلماء والمفكرين عندما يتعلق الأمر بالمفاهيم والمصطلحات الإنسانية حيث تؤثر العديد من العوامل الذاتية والموضوعية في ذلك، والاختلاف الذي يصل في بعض الأحيان إلى التناقض ما هو إلا إثراء للموضوع محل البحث والدراسة، ويتضح ذلك مما أسلفنا في تعدد التسميات التي تشير إلى مفهوم المجتمع المدني حيث يذهب البعض إلى إطلاق المجتمع الأهلي عليه وهناك من يشير إلى ذلك باسم التنظيم غير الرسمي، وقد توجد اختلافات حول مفهوم المجتمع المدني ولكن يمكن أن نعتمد على شكل مبسط من المفاهيم الذي يصبح فيه المجتمع المدني عبارة عن مجموعة من التنظيمات التطوعية المستقلة نسبياً تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح الأفراد أو تحقيق منفعة جماعية للمجتمع ككل، وهي في ذلك ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والإرادة السلمية للتنوع والخلاف(8).

وبذلك فإن المجتمع المدني ينطوي على جوانب أساسية وهي

- مبادرات أهلية مجتمعية تقوم على أساس حرية الفعل الإرادي.
- لابد للمجتمع المدني من إطار تنظيمي يقوم أساساً على التراضي بين مكوناته.
- إن يسود المجتمع نوع من الثقافة المدنية، أي تقبّل الآخر واحترام وجهة نظره وأن يسود التسامح والتعاون والإدارة السلمية عند تناول الموضوعات الخلافية.

لقد ركزت بعض التجارب التي قام بها السلوكيون على دراسة التنظيم غير الرسمي ذلك التنظيم الذي يتكون بين الأشخاص وبعضهم البعض ولا يصدر بقرار رسمي أو أن يكون للإدارة العليا دخل فيه، إن منطق السلوكيون لا يركز على كيفية تصميم المنظمات ولكن على ديناميكية المنظمات في الممارسة العملية(9)، وقد أوضحت تجارب (هاوثورن) التي أجريت بين عامي 1927 ـ1932م في مصانع شركة "وسترن إلكتريك" في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى تأثير بعض المتغيرات المادية على إنتاجية الأفراد المشاركين في التجارب، وجود تغيير جديد وهو الروح المعنوية للعمال ومدى الانسجام والوئام القائم بين المجموعة العاملة، مما يؤكد أن مؤسسات الدولة التي يقيمها النظام الرسمي، يتكون في إطارها نظام اجتماعي بالإضافة إلى أنها نظام متين وإن هذا النظام الاجتماعي يحدد أدوار أو معايير لسلوك الفرد تختلف عن أدوار ومعايير التنظيم الرسمي للمنظمة، حيث تلعب الجماعة غير الرسمية دوراً في تحديد اتجاهات الأفراد العاملين وأدائهم.

ورغم إننا نجد أثراً لمفهوم المجتمع المدني من خلال أفكار "أفلاطون وأرسطو" مروراً

بـ "هوبز" و "لوك" و "روسو" وغيرهم من رواد الفكر الغربي الحديث مثل "كانط" و "هيجل" و "ماركس" و "لينين" و "غرامشي" إضافة إلى من تناول هذا الموضوع بشكل مباشر أو غير مباشر أمثال "أوجست كونت" و "سان سيمون" و "توكفيل" و "ماكس فيبر"، إلا إنه دخل في سبات طويل لم ينتعش فيه المفهوم إلا حديثا حيث عاد هذا المصطلح بثوب فضفاض وآفاق واسعة نرى إن للعولمة دور بارز في ذلك نظراً لانتشار مفاهيم بارزة مثل الديمقراطية والحرية والعدالة وحقوق الإنسان للحد من تسلط الدولة، مع استفادة الدولة من ذلك تنفيس الاحتقان والتوتر السائد بين قطاعات المجتمع مما يخلق - إلى حد ما - التوازن في علاقة الدولة بمواطنيها واستقرار نظام الحكم السائد

ثالثا: قراءات في مفهوم المجتمع المدني:

أشرنا سابقاً إلى إنه من الصعب أن نجد تعريفاً دقيقاً ومتفقاً عليه للمجتمع المدني، إلا إن هناك مرتكزات أساسية يعتمد عليها كثير ممن تعاملوا مع الموضوع وتشكل قاسماً مشتركاً بينهم ما يعطي مصداقية وقبول لدى المتلقي سواء المتخصص أو غيره، ونحاول هنا أن نشير إلى مجموعة من التعريفات التي اجتهد أصحابها في وضع إطار فكري معرفي لمدلولات المجتمع المدني، حيث تجدر الإشارة إلى أن المعنى الأصلي لمفهوم المجتمع المدني هو (المجتمع السياسي) تمييزاً له عن المجتمع الثيولوجي الذي كان قائماً زمن القرون الوسطى في أوروبا إبان حكم الكنيسة الكاثوليكية، ذلك المجتمع السياسي الذي تحكمه القوانين تحت سلطة الدولة، إلا أن المعنى الأكثر شيوعاً الآن هو تمييز المجتمع المدني عن الدولة بوصفه مجالاً للجمعيات والمنظمات والمؤسسات الغير حكومية، حيث أطلق عليه "إدموند بيرك" الجماعات أو الفصائل الصغيرة، ويلاحظ عبد الباقي الهرماسي إن مفهوم المجتمع المدني قد مر بثلاثة أطوار من الظهور والاختفاء، ومن المد والجزر: طور أول، يقع بين الشطر الأخير من القرن الثامن عشر ونهايات القرن التاسع عشر(كان للمفهوم صولة وحضور في الفكر السياسي والاجتماعي)، وطور ثانٍ، منذ قرابة قرن كامل (آل فيه الأمر بالمفهوم إلى الضمور والاختفاء)، وطور ثالث، وهو الثلث الأخير من القرن العشرين (ويصح أن يوصف بطور الانتعاش ومعاودة احتلال صدارة النقاش السياسي)(10). وتعرّف الأمم المتحدة المجتمع المدني ممثلاً في المنظمات غير الحكومية بأنه مجموعات طوعية لا تستهدف الربح ينظمها مواطنون على أساس محلي أو قطري أو دولي، ويتمحور عملها حول مهام معينة ويقودها أشخاص ذوو اهتمامات مشتركة، وهي تؤدي طائفة متنوعة من الخدمات والوظائف الإنسانية، وتطلع الحكومة على شواغل المواطنين، وترصد السياسات وتشجع المشاركة السياسية على المستوى المجتمعي، وهي توفر التحليلات والخبرات وتعمل بمثابة آليات للإنذار المبكر، فضلاً عن مساعدتها في رصد وتنفيذ الاتفاقات الدولية، ويتمحور عمل بعض هذه المنظمات حول

مسائل محددة من قبيل حقوق الإنسان أو البيئة أو الصحة. ويشير سيف الدين إسماعيل إلى أن مفهوم المجتمع المدني هو (مفهوم مأزق) ذو مرجعية غربية، منقول إلى الواقع العربي، وهو في خبرته مفهوم أيديولوجي، يرتبط باتجاهات مختلفة كما تتبناه مدارس مختلفة، وهو مضطرب المعاني، صعب التكيف، كما أنه ليس محل اتفاق، وهو مفهوم منظومة يستدعي سيلاً من المفاهيم الغربية، وهو مفهوم حضاري يرتبط أو هكذا أُريد له بالمشروع الحضاري والنهضوي التحديثي، وهو أيضاً مفهوم نسبي، وهو وفق تعبير البعض مفهوم نظري إجرائي(11)، ذلك كله يوحي لنا بأن التعامل مع هذا المفهوم (المجتمع المدني) دون قيد أو شرط يُعدُّ سذاجة، وعدم قبول التعامل معه تهرّب من فك الارتباط الفكري الذي ليس لنا أن نتجنبه بشكل كامل وحاسم، وذلك يدعونا إلى دراسة مستفيضة لهذا المفهوم الذي وُلد في إطار فكر المجتمعات البرجوازية والعلاقات الرأسمالية الظالمة والصراع الطبقي الذي يميز تلك المجتمعات. في حين نجد بيننا من يناقش مصطلح (المجتمع المدني) كونه مصطلحاً له دلالاته التي تحتمل أكثر من احتمال، فهو حسب رأيه مصطلح غني بالدلالات والأبعاد، ومن أهمها كونه يراد به تغريبه عن العقل العربي وعن بنية المجتمع العربي، ليقف الإنسان العربي ضده ويعمل على إعاقة تحقيقه كونه يأتي من الآخر الذي لا نتفق معه ولا نثق به، ومن جهة أخرى فإن المجتمع المدني حسب هذا التوجه إنما هو من أهم التقاليد التي كانت العرب تعمل على إرسائها في الحياة الاجتماعية منذ زمن بعيد، ولذلك فهو ليس غريباً عنا وإنما من صلب البنية الاجتماعية العربية قديماً وحديثا(12). ويذهب حسنين إبراهيم إلى أن مفهوم المجتمع المدني يقع في دائرة المفاهيم التي لا يمكن الفصل بين مؤشراتها الكمية ومؤشراتها الكيفية على نحو دقيق، وإن الفصل بين النوعين من المؤشرات يتضمن قدراً من التعسف، حيث إن المؤشرات الكيفية تتضمن عناصر قابلة للقياس الكمي، كما إن بعض المؤشرات الكمية قد يكون لها جوانب كيفية، ولذلك قد يكون من الأدق الحديث عن الجوانب الكمية والكيفية لمؤشرات المجتمع المدني، ويمكن القول أن مفهوم المجتمع المدني يشير إلى (مجموعة من الأبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية تنتظم في إطارها شبكة معقده من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الاجتماعية في المجتمع، ويحدث ذلك بصورة دينامية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات التطوعية التي تنشأ وتعمل باستقلالية عن الدولة)(13).

أما عويد فقد أشار في مقال له بعنوان: دلالات المجتمع المدني ومعطياته، بأنه ليس هناك مفهوم ثابت كمعطى وحيد أوحد، صالح في معطياته ودلالاته لكل زمان ومكان، فالمفاهيم هي عادة تاريخية بامتياز وذلك انطلاقا من أن: كل تعريف هو بالضرورة تحديد، والتحديد يعني الثبات، والثبات هو الجمود والموت بذاته، ويرى أن المفهوم

مرتبط بتاريخ نشأته وسيرورة هذه النشأة و صيرورتها، فهو مرتبط بالمشكلات (الصراع والتفاعل الاجتماعي) التي كانت مطروحة عند نشأته ومجموعة الرؤى والأفكار التي لازمته حيث يأتي مفهوم المجتمع المدني وفق هذه المعطيات على أنه تحالف أو مجموعة من التحالفات الاجتماعية التضامنية، نقابة، حزب، منظمة، جمعية خيرية، واجتماعية أو ثقافية ....الخ، لها أهدافها ومصادر تمويلها وطموحاتها ومصالحها المحددة بناء على طبيعة المشكلات المادية والفكرية، حالات الصراع والتفاعل الاجتماعي والإيديولوجي التي تعيشها المرحلة التاريخية المحددة أيضاً من جهة ثانية.(14)، ومما لاشك فيه إن البناء الاجتماعي وتكويناته الداخلية في إطار الجماعات البشرية يتيح بدرجة كبيرة مجالاً لنمو الوعي داخل تلك الجماعات بما يحقق مصالح خاصة وعامة من خلال إدراك غايات وأهداف مشتركة تسعى مجموعات من الأفراد الذين تشغلهم تلك المصالح والأهداف والغايات للوصول إليها وتحقيقها، ويشير مفهوم التكوينات الاجتماعية إلى مجموعات بشرية تجمعها روابط خاصة، تضفي عليها قدراً معيناً من التضامن الداخلي بين أفرادها، وتجعلهم مهيئين للسلوك الجماعي طبقاً لهذه الروابط وهذا التضامن سعياً وراء تحقيق مصالح خاصة بهذه المجموعة، وقد تكون بعض تلك المصالح عامة ـــ كما أسلفنا ـــ تهم كل فئات المجتمع، ومن هذا المنطق فإن التكوينات الاجتماعية التي تقوم على الأسس المتعلقة بالإنجاز تعد من المقومات الأساسية للمجتمع المدني كما تطور في الغرب الرأسمالي الصناعي، في حين وجود بعض التكوينات الاجتماعية التي تعتمد على أسس موروثة ويظل دورها في النظام الاجتماعي ثانوياً ومحدوداً(15)، ويمكن طرح بعض المؤشرات للتعامل مع مفهوم القوى والتكوينات الاجتماعية بوصفها أحد مقومات المجتمع المدني، ومنها الحجم العددي لتلك القوى والتكوينات القائمة على أسس حديثة تتعلق بالإنجاز، ودرجة تبلورها الذي يدل عليه مدى وعي أعضاء هذه التكوينات بالانتماء إليها، كذلك درجة التضامن الداخلي بين أفراد هذه التكوينات، حيث إن تكوينات ومؤسسات المجتمع المدني قادرة على التصرف في شئون أفرادها بكل حرية واستقلالية ما يعني قدرة أفراد المجتمع على تنظيم نشاطاتهم بعيداً عن التدخل المباشر للدولة

رابعا: المجتمع المدني والدولة:

ظهر الاهتمام بموضوع الدولة في الحضارات القديمة؛ إلا إن الاهتمام بها كان على اعتبار إنها من أهم المؤسسات السياسية الموجودة في المجتمع لم يظهر جلياً إلا في عصر النهضة والتنوير عندما بدأ العقل الإنساني يتحرر من هيمنة النظام الديني الكنسي وأصبح يمارس المعرفة بشكل علمي موضوعي حيث بدأ البحث عن شكل جديد لنظام السلطة السياسية في المجتمع فهاجم (مكيافيللي) السلطة الدينية ورأى أنها عقبة كأداء في طريق وحدة إيطاليا السياسية كما سار أيضاً على نفس الدرب

أصحاب نظرية العقد الاجتماعي ومن جاء بعدهم، حتى أصبحت الدولة تعد من أهم المنظمات السياسية الموجودة في المجتمع ولا يمكن مقارنة أهميتها وسيادتها بأهمية وسيادة أية منظمة أخرى لسلطتها العليا التي تمارسها مع الأفراد والمنظمات ونظراً للوظائف التي تقدمها لأفراد المجتمع(16)، وقد أخذ مفهوم الدولة ولازال الكثير من اهتمام علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون والإدارة وغيرهم، ويعكس ذلك مدى الأهمية القصوى التي توليها المجتمعات للدولة باعتبارها نظام سياسي قانوني شمولي يتعدى شكل نظام الحكم ليقوم بالعديد من المسؤوليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية التي تهم المواطنين.(17) حيث إن المجتمع المدني بمنظماته المتعددة وأغراضه المختلفة التي تصب في أطار تحقيق آمال وطموحات أفراد المجتمع يُعدُّ ميداناً رحباً لممارسة الحرية التي ينشدها الأفراد إما هرباً من بطش الدولة أو معالجة لأوجه القصور والتقصير في مجالات عديدة أو ما إلى ذلك، وعلى هذا الأساس فإن علاقة الدولة بالمجتمع المدني عادة ما تدور في إطار محدد تتضح معالمه عادة بمدى نظرة النظام السياسي لما تقوم به منظمات المجتمع المدني من جهود في مجال المحددات الاقتصادية والثقافية والأخلاقية والسياسية التي تحكم تفاعل الأفراد مع واقعهم الاجتماعي، مع الأخذ في الاعتبار تفسير منظمات المجتمع المدني للجهود التي تبذلها الدولة تنفيذاً للسياسات المرسومة، ويُعدُّ ذلك أمراً مهماً لتحديد العلاقات التي يجب أن تسود لتحقيق الصالح العام الذي يُفترض إنه يسعى إليه كل من المجتمع المدني بمؤسساته الطوعية الجماهيرية والدولة بمؤسساتها القانونية بما يحقق التقدم والتطور، لذلك فإن الخوض في شرعية بناء أو وظيفة أي منها إنما يرسخ الشد إلى الخلف والتأخر وذلك ما لا يرتضيه المجتمع الراشد الذي يسعى لمواكبة التطور الذي تشهده المجتمعات المتقدمة، وإذا أعتُرف للدولة الحديثة باستقلالية مؤسساتها عن المجتمع، فهذا لا يعني تبعية المجتمع لها، بل يعني وجود حيّز واسع لحراك مجتمعي مستقل عن الدولة، والتمييز بين المجتمع المدني كمجال عام والدولة كمجال عام آخر، لا يعني أن العلاقة بينهما هي علاقة نفي وانفصال، أو أن المجتمع المدني هو نتيجة هدم أو تراجع الدولة أو زعزعتها، بل هو نتيجة العلاقة بين المجتمع والدولة، وهو كما يرى (مونتيسكيو) وليد قوة الدولة التي توازن بها قوتها وتحدد بها صلاحيتها، فالمجتمع المدني ليس اللا دولة، وإنما هو شرط وجود الدولة مثلما أن الدولة هي شرط وجوده أيضاً. عندما نتناول العلاقة القائمة بين الدولة بشكلها المتعارف عليه ومنظمات المجتمع المدني ونحاول تفسيرها بشكل تحليلي استناداً إلى الموروث الثقافي والفكري خاصة في الوطن العربي، يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى بأن التناقض يسود هذه العلاقة التي تبدو غير متكافئة، حيث إن أساس تكوين الدولة الذي يرجعه البعض إلى قوة خارجية عن طريق معاهدات (سايكس- بيكو1916) ودول

الاحتلال التي سيطرت على الوطن العربي بعد اضمحلال قوة الدولة العثمانية (1299-1924) لم يكن لقوى المجتمع العربي أي تأثير أو سيطرة عليها رغم أن بعض المنظمات التي أُنشئت كانت تحاول أن تحافظ على وجودها تحت كل الظروف السياسية، في حين إن بعض تلك الدول سمحت أن تكون هناك بعض منظمات المجتمع المدني القوية نوعاً ما، لذلك لم يكن غريباً أن تبلور الدولة عدداً من الأطر المتباينة الأهداف والوسائل للتعامل مع الجمعيات والمنظمات على نحو يجعل هامش الحركة الممنوح لها محكوماً بوجود قبضة إدارية قوية ومتداخلة وإن تباينت أساليب استخدام هذه الأُطر كنتيجة لوجود عاملين أساسيين هما: طبيعة المناخ الثقافي والأيديولوجي السائد في المجتمع. مدى قدرة تلك الجمعيات على بلورة جانب قوي للمجتمع المدني ووضع صيغ أساسية تتوافق وخصوصية التشكيلات الاجتماعية في المجتمع.(18)

إن العلاقة بين الدولة السياسية بمؤسساتها القانونية ومنظمات المجتمع المدني مازالت بين دفع وجذب حيث يراها البعض علاقة تناقض وتنافر ما يدعو إلى عدم جدوى وجود تلك المنظمات لما تسببه من إخلال بالنظام العام للدولة، في حين يرى آخرون ضرورة وجود أُطر تنظيمية تعطي منظمات المجتمع المدني الحق في مراقبة كل ما تقوم به الدولة تجاه المواطنين لتنبّه بل وتردع ما قد يضطهد المواطن لتحقيق العدل والمساواة وضمان حقوق الإنسان، في حين أن الواقع الآن لا يترك مجالاً لعملية الاختيار بين قبول ورفض الفكرة بقدر ما يمكن أن توضع لها ضوابط وقوانين من أجل تنظيمها كي لا يحدث تداخل في حدود الصلاحيات، والهدف دائماً هو حرية الإنسان وكرامته

خامسا: دور المجتمع المدني في انجاز المشروع الديمقراطي:

إذا ما سلّمنا بأن الأساس المعياري لبنية المجتمع المدني يكمن أصلاً في طوعية العمل والإدارة السلمية للصراع بين الجماعات المتنافسة أو المصالح المتضاربة، فإن ذلك يؤكد على أن هناك علاقة وثيقة بين المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، وتهدف تلك العلاقة إلى إرساء دعائم الديمقراطية بشكل يضمن لأفراد المجتمع تحقيق العدل والمساواة ويكفل احترام حقوق الإنسان، حيث أن الديمقراطية نظام اجتماعي يؤكد قيمة الفرد وكرامة الشخصية الإنسانية ويقوم على أساس مشاركة أعضاء الجماعة في إدارة شئونها، فالديمقراطية منجز حضاري وصل إليه الإنسان بعد كفاح مرير مع الجور والعسف والتسلط الذي مارسه عليه الحكام سواء كان ذلك إبّان الدولة "الثيوقراطية" أو بعد قيام الدولة الحديثة بمكبلاتها الجمّة التي تستهدف السيطرة على مقدرات البشر، وحيث أن المجتمع المدني من خلال تنظيماته الطوعية التطوعية المستقلة عن الدولة يهدف إلى تقديم خدمات اجتماعية للمواطنين لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة في إطار الالتزام بقيم

ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف، فإن جوهر دور المجتمع المدني هو تنظيم وتفعيل مشاركة الناس في تقرير مصيرهم ومواجهة السياسات التي تؤثر في معيشتهم وتزيد من إفقارهم، ونشر ثقافة خلق المبادرة الذاتية وثقافة بناء المؤسسات التي تؤكد على إرادة المواطنين في الفعل التاريخي الذي تتطلبه الحياة الحرة الكريمة للأفراد ومساهمتهم في بناء مجتمعاتهم. إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1948 عندما ننظر إليه من زاوية الديمقراطية نرى بأنه يؤكد على "إن إرادة الشعب هي مصدر لسلطة الحكومة" (مادة21 فقرة3)، والمجتمع المدني يلعب دوراً حاسماً في الديمقراطية، وتصب مساهمته في الديمقراطية في مسارين

الأول: تسيير حركة المجتمع المدني للديمقراطية ومؤسساتها

والثاني: وقاية المجتمع المدني للنظام الديمقراطي والعمل على تحقيق الرفاهية والتقدم حيث يتم تكريس التغيير في الدولة كاستجابة للقضايا الاجتماعية أولاً وحسب أولوياتها، وغدا المجتمع المدني خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين صوتاً قوياً في قاموس تطور البشرية وعاملاً مؤثراً في الديمقراطية(19)، وإذا ما كان المجتمع المدني بأبعاده المختلفة ووظائفه التي أضحت ضرورة حياتية لا بد منها، والدولة السياسية بمؤسساتها وقوانينها، صنوان متلازمان، فإن الديمقراطية هي القاسم المشترك الذي يؤكد حتمية قيام منظمات المجتمع المدني ليصبغ على الدولة صفة الديمقراطية، وتشكل مؤسسات المجتمع المدني واحدة من الحلقات الرئيسة والفعالة في إحداث التغيير في المجتمع بما يساهم في تطور المجتمع وتقدمه حسب المنهج وأسلوب العمل الذي تتخذه المنظمات تلك، سواء في تطور المجتمع أو تفعيل مشاركتها في صنع وتنفيذ القرار بما يساهم في تعزيز دورها بشكل فاعل، ويذهب البعض إلى أنه خلال العقود الثلاثة الأخيرة أخذ مفهوم المجتمع المدني حيزاً مهماً في مجال أدبيات السياسة، وارتبطت مكانته في الفضاء العام للدولة بالتحولات الديمقراطية فيها، ونشأت علاقة جدلية بين تطور المجتمع المدني وتطور الحالة الديمقراطية وبين نكوصهما أيضاً، فإذا تجذّرت أسس الديمقراطية في الدولة قويت منظمات المجتمع المدني، والعكس صحيح، وتستند عملية التحول الديمقراطي في الدولة على أساس إبراز أهمية دور المجتمع المدني في صيانة الحريات الأساسية للمجتمع، ومن هذا المنطلق فإن هناك دوراً هاماً ورائداً يجب أن تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في عملية التحول الديمقراطي في الدولة، وتتلخص بعض مهام تلك المؤسسات في نشر ثقافة حقوق الإنسان بين الجماهير، وتوعية المجتمع بأفراده وتشكيلاته المحلية وأطره الجماهيرية والنقابية بمزايا نظام الحكم الديمقراطي، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر، وفضح الممارسات غير القانونية في مؤسسات الدولة.(20)

ويؤكد بعض المفكرين على أن هناك صلة قوية بين المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، فالديمقراطية هي مجموعة قواعد الحكم ومؤسساته التي تنظم من خلالها الإدارة السلمية الصراع في المجتمع بين الجماعات المتنافسة أو المصالح المتضاربة، وهذا هو نفس الأساس المعياري للمجتمع المدني، حيث نلاحظ أن مؤسسات المجتمع المدني من أهم قنوات المشاركة الشعبية، ورغم أنها لا تمارس نشاطاً سياسياً مباشراً وأنها لا تسعى للوصول إلى السلطة السياسية، إلا أن أعضاءها أكثر قطاعات المجتمع استعداداً للانخراط في الأنشطة الديمقراطية السياسية، وبالإضافة لهذا فإن الإدارة السلمية للصراع والمنافسة هي جوهر مفهوم المجتمع المدني كما استخدمه منظرو العقد الاجتماعي "هجيل"، و "ماركس"، و "دي توكفيل"، و "غرامشي" وغيرهم، وكل ما فعله مستخدمو المفهوم من المحدثين هو تنقيته أو توسيع نطاق مظاهره في المجتمعات المعاصرة المعقدة، ويلاحظ الدارسون والمراقبون أن تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي يرجع إلى غياب أو توقف نمو المجتمع المدني، وما يتبعه من تعزيز القيم الديمقراطية وازدهار ثقافة مدنية ديمقراطية توجه سلوك المواطنين في المجتمع وتهيئهم للمشاركة في الصراع السياسي وفق هذه القيم، ويمر الوطن العربي حالياً، حسب ما يرى الدارسون بعمليتي بناء المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في نفس الوقت، والصلة بين العمليتين قوية، بل إنها أقرب إلى أن تكون عملية واحدة من حيث الجوهر، ففي الوقت الذي تنمو فيه التكوينات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة وتتبلور، فإنها تخلق معها تنظيمات مجتمعها المدني التي تسعى بدورها إلى توسيع دعائم المشاركة في الحكم(21)، لذلك فإن طبيعة المجتمع المدني وبنيته الأساسية وما تقوم به منظماته من دور ووظائف في أطار بناء المجتمع الحر الديمقراطي، كل ذلك يعد أساساً متيناً لبناء قاعدة مهمة وبنية تحتية للديمقراطية باعتبارها نظام للحياة وأسلوب لتسيير المجتمع الحديث.

ولا يمكن تحقيق الديمقراطية السياسية في أي مجتمع ما لم تصبح منظمات المجتمع المدني ديمقراطية بالفعل باعتبارها البنية التحتية للديمقراطية كنظام للحياة في المجتمع بما تضمه من نقابات وتعاونيات وجمعيات أهلية وروابط ومنظمات نسائية وشبابية ...الخ، حيث توفر هذه المؤسسات في حياتها الداخلية فرصة كبيرة لتربية ملايين المواطنين ديمقراطياً، وتدريبهم عملياً لاكتساب الخبرة اللازمة للممارسة الديمقراطية في المجتمع الأكبر بما تتيحه لأعضائها من مجالات واسعة للممارسة والتربية الديمقراطية من خلال التالي

- المشاركة التطوعية في العمل العام.
- ممارسة نشاط جماعي في أطار حقوق وواجبات محددة للعضوية
- التعبير عن الرأي والاستماع إلى الرأي الآخر والمشاركة في اتخاذ القرار
- المشاركة في اختيار قيادات المؤسسة أو الجمعية والقبول بنتائج الاختيار
- المشاركة في تحديد أهداف النشاط

وأولوياتها والرقابة على الأداء وتقييمه.(22)

وبذلك فإن المجتمع المدني يقوم ببناء الديمقراطية على مستويين، أولهما ثقافي وتعبوي يتحقق من خلال نهوض مؤسساته بوظائفها الأساسية في المجتمع، وثانيهما دور تربوي يتحقق من خلال الممارسة الديمقراطية والتدريب العملي على الأسس الديمقراطية في الحياة الداخلية لمؤسسات المجتمع المدني. إن من أهم الوظائف التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني إشاعة ثقافة مدنية ديمقراطية ترسي في المجتمع احترام قيم النزوع للعمل التطوعي، والعمل الجماعي، وقبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخر، وإدارة الخلاف بوسائل سلمية في ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي، مع الالتزام بالمحاسبة العامة والشفافية، وما يترتب على ذلك من تأكيد قيم المبادرة الذاتية وثقافة بناء المؤسسات، وهذه القيم في مجملها هي قيم ديمقراطية، من هنا فإن إشاعة الثقافة المدنية التي تمكّن لهذه القيم في المجتمع هي خطوة مهمة على طريق التطور الديمقراطي، حيث يستحيل بناء مجتمع مدني دون توفير صيغ سلمية لإدارة الاختلاف والتنافس والصراع طبقاً لقواعد متفق عليها بين جميع الأطراف، ويستحيل بناء مجتمع مدني دون الاعتراف بالحقوق الأساسية للإنسان خاصة حرية الرأي والتعبير وما إلى ذلك، ومن ثم فإن دور المجتمع المدني في إشاعة الثقافة المدنية بهذا المفهوم هو تطوير ودعم للتحول الديمقراطي في نفس الوقت، ويتأكد دور المجتمع المدني أيضاً في نشر هذه الثقافة من خلال الحياة الداخلية لمؤسساته التي ترعى وتنشئ الأعضاء على هذه القيم وتدربهم عليها عملياً من خلال الممارسة اليومية.(23)

إن هذا الدور المنوط بمنظمات المجتمع المدني وما يرمي إليه من تحقيق آمال وطموحات أفراد المجتمع والاستجابة لمطالبهم، ليس كما يتوهم البعض من أن يكون ذلك متناقضاً مع دور مؤسسات الدولة، بل يجب النظر إليه على أنه مكملاً لها، حيث يساهم المجتمع المدني مع الدولة في تحقيق الأهداف العامة المتمثلة في تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية بشكل ديمقراطي فاعل، ويضع القواعد والمعايير التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات بالشكل الذي يوفق بينهم رغم مطالبهم ومصالحهم المتنوعة والمختلفة بل والمتعارضة أحياناً، وذلك عن طريق توفير الوسائل السلمية للتعبير عنها ووضع البدائل المنطقية أمام السلطة السياسية لتحقيق أعلى درجة من التوازن بين الحقوق والواجبات الأمر الذي يمكّن من الحفاظ على الكيان الاجتماعي والنظام الاجتماعي العام

الهوامش:

[1] د. دريه السيد حافظ، السياسة الاجتماعية في عالم متغير، القاهرة، دار المعرفة الجامعية 2009م، ص359.

[2] د. سيدي محمد، المجتمع المدني والدولة، طرابلس، مجلة فضاءات، العدد المزدوج 20-19، 2005 م، ص12.

[3] روبـرت مابـرو، المجتمـع الأهلي في تاريـخ الأفـكار وفي التاريـخ الأوربي، دور المنـظمات في تطويـر المجتمـع الأهلي، عمان ــ الأردن، 2000م، ص38

[4] ابـن خلـدون، المقدمـة، بيروت، دار الأرقـم، 1999 م، ص73.

[5] جريـدة الصبـاح، المجتمـع المـدني في الإسلام، العـراق، 27 مـارس 2009م.

[6] د.كريـم نجـم خضر الشـواني، المجتمـع المـدني في الإسلام، مؤتمـر منتـدى الفكـر الإسلامـي، كردسـتان، العـراق، 2009م

[7] سـعيد بـن سـعيد العلـوي، نشـأة وتطـور مفهـوم المجتمـع المـدني في الفكـر الغـربي الحديـث، المجتمـع المـدني في الوطـن العـربي ودوره في تحقيق الديمقراطيـة (نـدوة)، بيروت، ط2، 2000، ص41.

[8] د. دريـة السـيد حافـظ، السياسـة الاجتماعيـة في عـالم متـغير، ص362.

[9] د. سـيد الهـواري، التنظيـم، الهيـاكل والسـلوكيات والنظـم، القاهـرة، مكتبـة عين شـمس، ط4، 1988م، ص19.

[10] سـعيد بـن سـعيد العلـوي، مصـدر سـابق، ص16.

[11] سـيف الديـن عبدالفتـاح إسماعيـل، المجتمـع المـدني والدولـة في الفكـر والممارسـة الإسلاميـة (مراجعـة منهجيـة)، المجتمـع المـدني في الوطـن العـربي ودوره في تحقيـق الديمقراطيـة (نـدوة)، مصـدر سـابق، ص291

[12] ــ وحيـد عمـر مطـر، المجتمـع المـدني .. قـراءة في الدلالـة، طرابلـس، مجلـة فضـاءات، العـدد المـزدوج 20ـ، ص44.

[13] ــ حسـنين توفيـق إبراهيـم، بنـاء المجتمـع المـدني: المـؤشرات الكميـة والكيفيـة، النـدوة الفكريـة لمركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، مصـدر سـابق، ص694.

[14] عدنـان عويـد، دلالات المجتمـع المـدني ومعطياتـه، شـبكة المعلومـات الدوليـة

[15] حسـنين توفيـق إبراهيـم، مصـدر سـابق، ص695.

[16] د.إحسـان محمـد الحسـن، موسـوعة علـم الاجـتماع، بيروت، الـدار العربيـة للموسـوعات، ط1، 1999 م، ص295.

[17] د. مولـود زايـد الطبيـب، علـم الاجـتماع السـياسي، منشـورات جامعـة السـابع مـن أبريـل، ط1، 2007 م، ص149.

[18] د. دريـة السـيد حافـظ، مرجـع سـابق، ص367

[19] د. جانبـي فروقـة، المجتمـع المـدني في ظـل العولمـة، جريـدة الشرق الأوسـط، العـدد 8800، 2003م

[20] سـميح محسـن، دور المجتمـع المـدني في التحـول الديمقراطـي، مجلـة أصـوات، المركـز الفلسـطيني لحقـوق الإنسـان، 2007م

[21] د. سـعد الديـن إبراهيـم، المجتمـع المـدني والتحـول الديمقراطـي في الوطـن العـربي، القاهـرة، مركـز ابـن خلـدون، التقريـر السـنوي 1993 م، ص13.

[22] د. أمـاني قنديـل، إلى أي حـد يمكـن الحديـث عـن مجتمـع مـدني متطـور في مصر؟ ورقـة مقدمـة إلى مؤتمـر مسـتقبل التطـور الديمقراطـي في مصر، جماعـة تنميـة الديمقراطيـة القاهـرة، 2 – 3 نوفـمبر 1997 م، ص3

[23]عبدالغفـار شـكر، دور المجتمـع المـدني في بنـاء الديمقراطيـة، الحـوار المتمـدن، العـدد 1013، 2004 م

* دينـار شـيخاني، كاتـب وناشـط في مجـال حقـوق الإنسـان والمجتمـع المـدني

(*) منقول بقدر محدود من التصرف

اصـدارات

(1)

_عنـوان الإصـدار: أحلام حـي علـوان. (روايـة)

_المؤلف: محمد علي محسن (*)

_تاريـخ الـنشر: الطبعـة الثانيـة - فبرايـر 2025

_ الحجم: 142 صفحة

_النـاشر: مؤسسـة النيـل والفـرات للطبـع والـنشر والتوزيـع - القاهـرة.

((عن مضمون الرواية

أولاً: العنوان ورمزية الدلالة:

يتـجلى للقـارئ مـن خلال عنـوان الروايـة "أحلام حـي علـوان" بوصفـه أول عتبـات النـص امتـزاج الخـاص بالعـام، حيـث يمكننـا أن نحمـل عنـوان الروايـة وفقـا لاسـم بطلـة الروايـة واهـم شـخوصها "أحلام" وارتباطها بـ "حـي علـوان"، وهـذا مـالم يكـن المؤلـف يرمـي إليـه، وإن كان ذلـك جائـزا مـن المنظـور البسـيط، أمّـا إذا نظرنـا إلى العنـوان بعمـق وحللنـا رمزيتـه فـإن "أحلام" تـصير رمـزا للوطـن وأحلامـه، و "علـوان" رمـزا للدخيـل الغريـب الظـالم "المسـتعمر" الـذي يتحكـم بمـصير الوطـن وأهلـه دونمـا رحمـة أو شـفقة

وذلـك مـا تؤيـده مواضـع عديـدة في النـص كقـول المؤلـف: (في الحالـتين علـوان مـات ولم يمـت، غـادر المـكان ولم يغـادر ... قيـل إنـه أخطبـوط ... مـازال فينـا ويسـتحكم بمصائرنـا إنـه بقلـوب وأذرع كـثيرة تتعـدى مـا لـدى الأخطبـوط)(ص137)

وفي ذلـك إشـارة واضحـة إلى رحيـل المحتـل وعـدم رحيلـه، فهـو وإن رحـل فقـد كانـت ومـا زالـت لديـه أذرع كـثيرة يسـتحكم مـن خلالهـا بمصائرنـا، وهـذه رمزيـة جريئـة مـن المؤلـف، سـيما وذلـك مـا يتطابـق الواقـع قديمـا وحديثـا وحتـى يومنـا هـذا.

ثانيا: السرد:

يظهـر السرد في الروايـة مـن خلال "الـراوي"

أي أن الـحكي يسـتند إلى راوٍ عـاش تفاصيـل الحـدث، والـحكي في الروايـة يمـزج بين الواقـع والأحلام، أو بين الماضي والحـاضر، مـع نظـرة مسـتقبلية

اسـتخدام المؤلـف ضـمير المتكلـم الجمـع "نحـن" في مواضـع كـثيرة مـن الروايـة، الأمـر الـذي يوحـي يوحـي بـأن السرد جماعيًـا

يعكـس مشـاعر وتجـارب مجموعـة مـن الأشـخاص المرتبـطين بـ "حـي علـوان".

لا يخلـو السرد مـن عنـاصر الحـنين والغيـاب، فيتنـاول المؤلـف فكـرة الأمـل والترقـب، حيـث يذكـر النـص "لم نفقـد الأمـل، فما زلنـا نترقـب ونتـحين عـودة أحلام". وهـذا يـشير إلى أن السرد يُعالـج صراعًـا داخليًـا أو خارجيًـا بين "الماضي وأحداثـه ورجالـه" و"الغـد الأفضـل"، مما يضيـف طبقـات مـن التعقيـد إلى الحبكـة

ثالثا: الحبكة:

القلـب الأسـاسي للحبكـة يـدور حـول شـخصية "علـوان" ذلـك الدعـي "ابـن الزنـا" الـذي لا ينتمـي إلى الحـي "الوطـن"، وتعاملـه مـع القـاسي مـع سـكان الحـي "الحـبشي، محفـوظ، سـلطان، أحلام" وغيرهـم مـن شـخوص الروايـة، واسـتطاع المؤلـف أن يُظهـر قسـوة ذلـك الدخيـل وبطشـه ومكـره بأهـل الحـي، وذلـك الأمـر وإن دام زمنـا طـويلا فقـد تمكـن أبطـال الحـي لا سـيما "جمعـة وأحلام" مـن دق أول مـسمار في نعشـه مـن خلال كشـف حقيقتـه وبالتـالي تحطيـم أسـطورة ذلـك المسـتبد الـذي لم يكـن أحـد مـن سـكان الحـي يجـرؤ على التحـدث معـه، مـا بالـك بالوقـوف في وجهـة.

وإجمالا فـإن المؤلـف قـد كان موفقـا في عـرض عنـاصر الروايـة مـن الاسـتهلال والتعريـف بالشـخوص ثـم الانتقال إلى بسلاسـة إلى الحبكـة، إلا إن التوفيـق جانبـه قلـيلا عنـد وصـول لنهايـة الروايـة "حـل العقـدة"، حيـث بالـغ كـثيرا في نهايـة الوحـش الآدمـي علـوان

وختامـا فقـد كان لـدى المؤلـف مسـاحات واسـعة في النـص لاسـتخدام أسـلوب الحـوار بين الشـخصيات إلا إنـه لم يسـتغل تلـك المسـاحات، وظـل يسـتخدم اسـلوب السرد، مـع إن الحـوار في الروايـة بين الشـخصيات يزيـد متعـة القـارئ ويـكسر رتابـة الأسـلوب السردي الممتـد، كما إنـه يُضفـي على العمـل مسـحة بديعـة مـن جمال))

(د.عباس الزامكي المحرر الأدبي للمجلة)

قالوا عن الرواية:

رائعـة هـي قراءتـك، وأروع منهـا تلـك الروح التـي التقطـت جوهـر الروايـة ببـصيرة نافذة.

لقـد لامسـتَ عُمـق "أحلام حـي علـوان" لا كحكايـة عابـرة، بـل كمـرآة لوطـنٍ منـكسر، وأخلاق تتهـاوى، ووفـاء يُقـاوم كل ذلـك السـقوط

مـا كتبتَـه ليـس مجـرد انطبـاع، بـل شـهادة قـارئ حقيقـي أدرك أن القصـة ليسـت عـن "علـوان" فقـط، بـل عنّـا جميعًـا حين نصنـع الطغـاة ونتواطـأ مـع القبـح خوفًـا أو طمعًـا

دمت قارئًا نبيلاً، يُنصف الأدب والفكرة.

اللواء. د/ سعيد الحريري.. كندا

.....

(*) صحفـي واديـب يمـنين صـدرت لـه بالإضافـة إلى هـذه الروايـة ثلاثـة أعمال ابداعيـة روائيـة:

ـ رواية حقل الفواد 2007.

ـ رواية الشرق اشجان 2009.

ـ رواية عائدون 2022.

(2)

_عنـوان الإصـدار: ملائكـة السـيدة ماريـا (روايـة)

_المؤلف: عبد الفتاح إسماعيل الخضر(*)

_ تاريخ النشر :2025- الطبعة الأولى.

_الناشر: مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء.

_الحجم210: صفحات، مقاس 20×14..

المحتويات:

احتـوت الروايـة بالإضافـة إلى الإهـداء المكـرس لروحـي الشـهيدين: عمـر باطويـل،

وأمجـد عبـد الرحمـن، على 40 مقطعـا توزعـت على عـدد مـن العناويـن الداخليـة، منهـا _ الطفولـة اولاً واخيراً. _ المناظـرة (1) _ المناظرة (2) _ الانتفاضـة والعـودة. _ الصفقـة الذهبيـة. _ الـولادة..

* عن محتوى ومضمون الرواية:

أولاً: الحبكة:

اعتمدت الحبكة على تقنيات أهمها:

1- التنـاوب: اسـتخدمت هـذه التقنيـة لتنـاوب الأحـداث في الروايـة، حيـث بـدأت الروايـة بالمشـهد الأول آلام ومخاضـات مـا قبـل ولادة السـيدة إلهـام، ليبـدأ المشـهد الثـاني وصـول السـيد آرثـر إلى العاصمـة الكمبوديـة بونبونيـه، ثـم المشـهد الثالـث اللقـاء الغرامـي بين طاهـر وسـاريتا. ثم ينقطع السرد ليسـتأنف المشـهد الأول وهكـذا..

2- التضـمين: فالحكايـة الأصـل قد اسـتوعبت حكايـات فرعيـة تُـحكي ضمنهـا.. فالحكايـة الأصـل رحلـة السـيدة ماريـا التخاطريـة قـد انفجـرت إلى بـؤر سرديـة فرعيـة مـن قبيـل المناظـرة (1) و(2)، وكذلـك قصـص الأطفـال الداميـة (تفاحـة- بلـور- مـادلين- كريشـنا)، وأيضـاً مؤتمـر الطفـل الإنسـاني المعنـون ب(الطفولـة أولاً وأخيراً)

3- الحلـم: تظافـر الحلـم واللاوعـي والتخاطر في بوتقـة واحـدة للتعـبير عـن معانـاة الطفلـة كريشـنا التـي سردتهـا المعلمـة بريتـا لماريـا وكوكـب في الأجـزاء (32-31-30) أثنـاء لقاءهـا بـهما في بنجلـور، وهنـا يـأتي قلـق الحلـم كونـه جـزءًا مـن الحقيقـة، أن لم يكـن هـو الواقـع الكابـوسي نفسـه...

ثانيا: الفكرة:

الروايـة ذات طابـع فلسـفي بصبغة إنسـانية، تحايـث سرديتهـا مـا يـدور في هـذا العـالم مـن خـراب، فالتخاطـر عـن بعـد عـالم مـن النقـاء الروحـي والصفـاء الذهنـي والـسلام النـفسي

المطلـق بـديلاً عـن الأيدولوجيـات والأديـان والمذاهـب التـي غـدت مصـادر لتغذيـة الصراعـات في هـذا العـالم

ثالثا: الشخصيات:

حسـب مـا تسـتدعيه الضرورة السرديـة انقسـمت شـخصيات الروايـة إلى ثلاثـة عـوالم:-

عالم التخاطر ويمثله:

ماريا الزعيمة الروحية لعالم التخاطر.

إلهام صاحبة الولادة القادمة.

ساريتا المعلمة والاخصائية النفسية.

طاهـر شريـك سـاريتا والمتمـرد على التابوهـات

الأطفـال (مـادلين - بلـور - تفاحـة - كريشـنا)

الدكتور بديع والممرضة.

عالم المافيا:

السيد آرثر عراب الصفقات المشبوهة.

المهطراوي الرجل الأمني.

الأشكنازي رجل دين.

سـكس - أفيـون - بنـدق - تشـليح وغيرهـم..

الدبلوماسية:

السيد عنان زعيم الخط الثالث.

رابعا: الدلالات:

الروايـة تبحـث عـن خلاص في عـالم أعمـي، فالتخاطـر رمزيـة للمدينـة الفاضلـة التـي يناضـل مـن أجلهـا البشر، ويمكـن أن نستشـف مـن هـذا العمـل الـروائي الـدلالات التاليـة التـي جـاءت على هيئـة جدليـات منهـا

السياسة والدين.

الوجود والماوراء.

الدين والعلم.

اللاهوت والفلسفة.

الحرب والسلام.

العقل والنقل.

خامسا: القضايا التي تناقشها الرواية:

تناقـش الروايـة قضايـا كبرى مـن قبيـل: الإرهـاب الفكـري - تجـارة الجنـس - تهريـب الـسلاح - الـسلام العالمـي وغيرهـا... وتطـرح تسـاؤل مـصيري، كيـف يمكـن أن يكـون هنـاك عـالم يسـوده الـسلام بعيداً عـن الموت والشـقاء المركـب الـذي تعيشـه البشريـة... وقـد يكـون الإجابـة على السـؤال الإشـكالي في نهايـة الروايـة (الـولادة)، فالـولادة رمزيـة لـخلاص الموجـود الـبشري لعـالم أكثر نقـاء وسلام... فالرحيـل في نهايـة الروايـة كان رحـيلان، الأولى: رحيـل إلهـام إلى الأبديـة البيضـاء، والرحيـل الثـاني: سـفر طفلها إلى عـالم المدينـة الفاضلـة مدرسـة إثـراء بيئـة الطفـل

(*). روائي وناقـد رئيـس منتـدي الحداثـة والتنويـر الثقـافي

.....

3)

عنوان الاصدار : الحقل المحترق. (رواية)

_ المولف/الكاتب. ريان الشيباني(*)

_ تاريخ النشر: 2021

_الناشر :دار خطوط وظلال

_الحجم:224 صفحة.

_المحتويات.

تتكون الرواية من قسمين

رئيسين.

تتنـاول الروايـة فترة تاريخيـة حساسـة في اليمـن، وهـي أواخـر الحكـم العـثماني وبدايـة ظهـور الدولـة المتوكليـة، مـن خلال سرد متخيل يـوازي الأحـداث التاريخيـة لتلـك الحقبـة

تـدور الروايـة حـول شـخصية (آق ديلـك بـك)، آخـر والٍ عـثماني على اليمـن، الـذي يُـعين حـاكمًا عسـكريًا على بلـدة "قـدار" في مـا يُسـمى بـ(العربيـة السـعيدة). تسـتعرض الروايـة تفاصيـل حياتـه منـذ ولادتـه في ليبيـا، مـرورًا بتجربتـه في فرنسـا، حتـى وصولـه إلى اليمـن. تُسـلط الروايـة الضـوء على الصراعـات السياسـية والاجتماعيـة في اليمـن خلال تلـك الـفترة، مـن خلال تفاعـل (آق ديلـك بـك) مـع شـخصيات محليـة مثـل أمير المؤمـنين تـاج الديـن بـن سراج وابنـه عبدالمطلـب

ويتميـز آق ديلـك بـك الـوالي العـثماني بشـخصية معقـدة، إذ يعـاني مـن اضطرابـات نفسـية وازدواجيـة في أصولـه العائليـة، حيـث وُلـد مـن أم مسـيحية وأب مسـلم. تُعـرض الروايـة تفاصيـل حياتـه الشـخصية والمهنيـة، بمـا في ذلـك تعيينـه واليًـا على اليمـن

أمـا تـاج الديـن بـن سراج الديـن الفاتـح، فهـو الحاكـم المـحلي ويسـبغ عليـه لقـب (أمير المؤمـنين)، وتتميـز شـخصيته بالاسـتبداد والفسـاد، ويُظهـر الروايـة كيـف يتحـول مـن قاطـع طريـق إلى ملـك

تعتمـد الروايـة على سرد غير تقليـدي، حيـث تتداخـل الأزمنـة وتُعـرض الأحـداث بترتيـب غير زمنـي، مما يُضفـي على الروايـة طابعًـا حداثيًـا. تُسـتخدم اللغـة بأسـلوب شـاعري،

وتُدمـج الروايـة بين الخيـال والواقـع، مما يُبرز التناقضـات الاجتماعيـة والسياسـية في اليمـن خلال تلـك الـفترة

(* أديـب. يمنـي. يكتـب الروايـة والشـعر والقصـة القـصيرة

.....

(4)

*مـن المؤلفـات القانونيـة للأسـتاذ الدكتـور يحيـى قاسـم سـهل

صـدر للباحـث والأكاديمـي ا، د. يحيـي قاسـم سـهل (*)19 مؤلفـا قانونيـا.. وذلـك حتـى اواخـر عـام 2024

. وسـنقدم هنا....وتباعـا عـرض موجـز لبعض هـذه المؤلفات.

(1) المدخـل لدراسـة العلـوم القانونيـة. (نظريـة القانـون) نظريـة الحـق

صـدر في القاهـرة عـام 1997

يتكـون الكتـاب مـن 358صفحـة. وتضمـن قسـمين رئسـيين. هما:نظريـة القانـون، ونظريـة الحـق

(2) ضمانـات تأديـب الموظـف العـام في تشريعات: اليمـن، العـراق، مصر، فر نسـا

يتكـون الكتـاب مـن 233صفحة،وهو عبـارة عـن رسـالة الماجسـتير تقـدم بهـا الباحـث إلي كليـة الحقوق-جامعـة بابل_العـراق عـام 1998

(3)السـهل في الماليـة العامـة والتشريـع الضريبـي اليمنـي

صـدر ت الطبعـة الاولى عـام 2000،عـن دار الشـوكاني... صنعـاء. وهـو كتـاب جامعـي مقـرر لمسـاق السـنة الرابعـة في كليـة الحقـوق جامعـة عـدن، ويـدرس منـذ الغـام 2016 في كليـة الحقـوق. ج.. الحدبـدة، ويـرس ايضـا في كليـة الشريعـة والقانـون ج. الاحقـاف حضرمـوت

(4) السهل في تاريخ القانون.

إصدار جامعة عدن. عام 2001

يتكون من 193صفحة

وهـو مقـرر الفصـل الاول السـنة الأولي لـطلاب كليـة الحقـوق. ج. عـدن

(5) السـهل في تاريـخ القانـون اليمنـي

إصـدار جامعـة عـدن عـام 2003

مقـرر لـطلاب السـنة الأولي، الفصـل الثـاني كليـة الحقـوق، ج، عـدن

(6) فصـل الموظـف العـام: دراسـة مقارنـة.

_صـدر الكتـاب عـن دار الصـادق صنعـاء 2006

الكتـاب هـو رسـالة الدكتـوره قدمهـا الباحـث لكليـة الحقـوق جامعـة الجـزائير عـام 2005. ونـال بهـا درجـة الدكتـوره(مشرف جـدا) اي مرتبـة الشرف الأولى...

.....

يتبع في العدد القادم

(*) استاذ القانون الغام كلية الحقوق جامعة عدن.

.....

الناصية
مجلة "فكرية ثقافية"

تهدف إلى الإسهام في نشر فكر وثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لقضايا المواطنة والدولة المدنية، وتشجيع الإبداع الأدبي بنشر الإبداعات الأدبية والثقافية للأدباء والمثقفين اليمنيين وغيرهم.

قواعد ومحددات النشر:

تنشر مجلة «الناصية» الدراسات والأبحاث والمقالات والموضوعات التي:

_ تتسم بالعمق والدقة والموضوعية وتضيف جديداً للمعرفة.

_ تتلاءم مع قضايا ومجالات اهتمام المجلة وتوجهاتها وسياستها العامة.

_ تتناول المجلة القضايا السياسية من منظور فكري، وليس بالأسلوب الصحفي المباشر.

حجم المواد والموضوعات التي تنشر في المجلة:

_ يشترط في البحث ألا يزيد حجمه عن «5000/6000» كلمة وألا يكون قد نُشر من قبل.

_ يشترط في الدراسة ألا يزيد حجمها عن «4000/5000» كلمة.

_ الموضوعات المترجمة «بحث، دراسة، تقارير،» عن لغات حية ينطبق عليها الشرطان المحددان أعلاه من حيث الحجم.

_ يشترط في المقال ألا يزيد حجمه عن «1500/2500» كلمة.

_ موضوعات عرض الكتب يشترط ألا يزيد حجمها عن «1500/2000» كلمة وألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من عامين، ويُستثنى من ذلك الكتب التراثية، وذات الأهمية والقيمة المعرفية العالية والهامة.

*يحق لهيئة تحرير المجلة إجراء تعديل في حجم الدراسات والبحوث والموضوعات في حالات معينة وفقا لإمكانيات النشر.

*ترسل الدراسات والموضوعات إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني.

(mjltalnasy@gmail.com)

أو خدمة الواتساب

00967774782936 00967774106325. مطبوعة في ملف (word) مرفق بها اسم وعنوان الكاتب وعمله ومؤهله العلمي.

*تحتفظ المجلة لنفسها بحق إجراء قدراً محدود من التعديل في الموضوعات التي تصل إليها بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر، بالتنسيق مع الكاتب وموافقته.

* الدراسات والبحوث والمقالات، والنصوص الخ، التي ترسل إلى المجلة لا تُعادُ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

*الموضوعات التي نُشرتْ في المجلة يحق لكاتبها إعادة نشرها في كتاب فقط، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنشر

مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

عنواننا:

_عنواننا: اليمن. _المقر الرئيسي، عدن.
_هاتف: 02260082.
_جوال. 009677778087240009677331710 39
_البريد الإلكتروني: amjdmwsst@gmail.com
ـ رابط صفحة "مدونة" المؤسسة في الانترنت.
https://www.facebook.com/ مؤسسة-أمجد-الثقافية-والحقوقية100990208428465-/
_ الرئيس الدوري للمؤسسة. محمد عبد الرحمن.
هاتف + واتس: 00967777808724. واتس: 00967714367122
إيميل.abdm8626@gmail.com

من نحن؟

_ مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية: هيئة مدنية_ أهلية_ نوعية_ ثقافية_ فكرية_ بحثية_ انسانية، غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة وليست لها أية ارتباطات حزبية أو سياسية.
_ تعمل في مجال التنوير، والتنمية الثقافية، ومناصرة الحق في التعليم والثقافة، ونشر ثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان.
_ تأسست بتاريخ 21/يونيو /2018م، وتم إشهارها وبدء ممارسة أنشطتها في 24/اغسطس/2020م
_ حاصل على تصريح التأسيس تحت رقم(297) صادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية،

أهدافنا ومجالات عملنا:

تهدف المؤسسة للإسهام في:
1 - تعزيز التنمية الثقافية الشاملة، والمشاركة المجتمعية في التنمية الثقافية.
2 - نشر وتنمية ثقافة المواطنة والمدينة وحقوق الإنسان.
3 - تنمية وتعزيز حقوق الإنسان الثقافية، وتعزيز أعمال وانشطة المناصرة للحق في التعليم، والحقوق والحريات الثقافية، وحرية الفكر والابداع.

تركز المؤسسة عملها في القضايا التالية:

_قضايا التنوير والثقافة المدنية.
_قضايا الحق في التعليم والثقافة.
_قضايا الثقافة العامة، وتنمية المواهب الإبداعية الأدبية والفنية.

*برامجنا الأساسية:

تؤطر المؤسسة انشطتها في برامج رئيسة تتصل
بالتربية المدنية والمواطنة للشباب والطلاب.
ونشر ثقافة السلام وحقوق الإنسان.
و الأنشطة الثقافية العامة.
كما تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً للمطبوعات لما لها من أهمية في نشر وتنمية الفكر والثقافة، ولذلك فهي:
_ تصدر مجلتا هذه "الناصية"،
_ تسعى لنشر وإصدار مجموعة من الإصدارات تحت عنوان "الكتاب غير الدوري" تتصل بقضايا (التنوير، المواطنة، الدولة المدنية، التعليم والثقافة).
_ تعمل مستقبلاً على إصدار مطبوعة "مجلة" دورية خاصة بثقافة الطفل.

روح واهنة

عمل فني من تنفيذ م\ آيات مبارك